الظواهر النفسية الخارقة

بين العلم والفلسفة والدين

يتضمَن خطّاطَة مَنهَجية مقترحَة لدَراسَة القُوَى الخَفية للإنسَان ، والمتَجلية في اليوجا والتَنْويم المغنَاطيسي والسِّحر والتصوف ومَا يُسَمّى باسْتِحضار الأرواح ، وإعادة تقييم للتراث وما يرد فيه عن الخَوَارق بصِفَة عَامة .

مزاوي المحجوب
مجاز في علم النفس

الظواهر النفسية الخارقة
بين العلم والفلسفة والدين

فهرس الكتاب

الإهـــــــــــــداء

إلــى كــل طالــب حـقيقــة حـريص عـلـى تصـحيـح فـكــره واعــتـقـاده كـلـمـا تــبــيــن لـه الــحـــق...

- المؤلف

كـــلـــمـــة شـــكـــر

يـتـوجـه الـمؤلف بالشكر العميم
إلـى الأساتـذة : عبد الحـي بن الغازي ،
عـبـد الصمد الديالمي ، محمد الداشمي ،
المدرسيـن بكلية الآداب والعلوم الإنسانيـة
بفاس ، وإلى الأستاذ سعيد العلوي مـولاي
الصادق مدير الإعدادية الجديدة بخنيفـرة ،
والدكتور التـهامي محمد الوكيلي والدكتـور
حسن حنفي .... علـى تشـجـيعاتـهـم
ومـنـاقـشاتـهم القيـمـة ...

تـــــوطـــــئـــــة

هذا البحـث يمكـن اعتباره خطاطـة منـهجيـة مقترحة لدراسة القوى الخفية للإنسان . وهو يتضمن تقييما للعلم والفلسفة والدين انطـلاقا مـن معطـيات البـحـث فـي القوى الباطنية . كـما يتناول الرحلة العقائدية لكاتبه وهمومه الفكرية والدينية والوجودية بصفة عامة . ولذلـك فهـو يسعى إلى تحقيق أهداف متعددة في نفس الوقت . وهذا ا يفسر استطرادات وتوسعـات وردت في بحث قررنا أن يكون موجزا بقدر الإمكان . ويشفع لتوقفنا عند بعض القضايا التي يجرنا إليها الحديث ، أننا نطرح موضوع القوى الباطنـية أو القـوى الـخـفيـة ، لأول مـرة فـي إطـار مشروع منهجي أصيل ، مما يستوجب المبادرة إلى طرح ما يتعلق به من قريب أو بعيد ، من إشكاليات . ونأمل أن يقوم باحثـون آخـرون باستكشاف هـذا المـوضـوع الخـصـب الـواعـد ، الذي هو كما يقول كولن ويلسون ((قضية ثورية)) .

مــقــدمـــــة

بقلم/ عبد الحي بن الغازي محلل نفساني ز أستاذ
علم النفس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس

يتناول هذا الكتاب الظواهر النفسية غير العادية ، بما فيها ظواهر الحاسة السادسة والتنويم المغناطيسي وتأثير العقل على المادة ، وما إلى ذلك ... إنه موضوع حيوي مطروح بإلحاح عند الغربيين في السنوات الأخيرة ، حيث صدر العديد من الدراسات والأبحاث حول القوى الخفية للعقل الإنساني . إلا أن ما يمتاز به هذا الكتاب الذي نقدم له ، هو أنه يقيم نوعا من المناظرة والحوار بين العلوم الوضعية (الإنسانية والطبيعية) من جهة ، وبين الأبحاث الروحية والنظريات اللاهوتية والصوفية من جهة ثانية . ذلك أن مؤلف الكتاب يؤمن بأن الانغلاق الفكري وانعزال الأنساق الدينية والعلمية والفلسفية عن بعضها،لن يؤدي إلا إلى المزيد من التباعد وسوء الفهم . ومن أجل تجاوز الصراعات والخلافات اللامجدية ، يدعوا المؤلف إلى الحوار والانفتاح ورحابة الصدر ، ومناقشة الأنساق من الداخل ، حتى يسبق الفهم النقد والتجاوز . وقد أتاح له تكوينه وتنوع قراءاته ، الإحاطة بمختلف جوانب هذا الموضوع الفتي . فهو يعكف منذ سنوات ، كما عهدناه في الجامعة كطالب من طلابنا ، على دراسة التنويم المغناطيسي واليوغا والباراسيكولوجيا والمذاهب الدينية والروحية والفلسفات الشرقية ، وكل هذا الرصيد الثقافي المتنوع ، يدعو إلى الحوار والتأمل والموازنة بين الآراء والمواقف العلمية والدينية والفلسفية ، في سبيل صياغة نظرية عامة عن الإنسان وإمكانياته ، والطبعة وقواها .

إن المؤلف لا يخفي أسفه إزاء كثير من الدارسين ذوي التخصصات المختلفة تجاه مواضيع غامضة ومهمشة كالسحر والخوارق والروحانيات ، حيث يكذبون ويرفضون ، بكل تسرع ، ما يرد في الكتب القديمة وبعض الأنساق الفلسفية والصوفية ، وما يقال في الأوساط الشعبية عن القوى الخفية للإنسان ، دون أن يعتمدوا على أي تحليل علمي أو عقلي لهذا الموضوع . ولكن المسألة في نظر الأستاذ مزاوي المحجوب ليست مسألة تصديق أو تكذيب اعتباطيين ، فلا يتعلق الأمر بمجرد رأي شخصي يمليه المزاج والذوق ، أو التمذهب الفكري والعقائدي ، بل إن الموضوع يتطلب دراسة معمقة رصينة ونزيهة ، ولا تزال تفتقر إليها المكتبات العربية وربما الغربية أيضا ، حيث أن الكتب المنتشرة هنا وهناك لا تتناول الموضوع إلا من جانب واحد يكون علميا فقط أو دينيا على سبيل المثال .

أما هذا الكتاب فقد اقترح فيه المؤلف منهجا متكاملا لدراسة تلك القوى الخفية ، والحسم في

شأنها واستخلاص كل ما يجب استخلاصه منها علميا ودينيا وفلسفيا . ويتضمن المنهج المقترح ثلاثة مستويات للبحث يحكمها الترابط والتفاعل :

أولها : مستوى البحث البارسيكولوجي . ويتضمن مستويين ثانويين هما : مستوى التحقيق والتجريب ، ثم مستوى التفسير والتنظير .

ثانيها : مستوى البحث عن نظائر في التراث والثقافة الشعبية والفلسفية ، ويقيس فيه الباحث الخوارق الواردة في القطاعات الثلاثة المذكورة ، على ما يثبته مستوى التحقيق والتجريب البارسكولوجي من ظواهر نفسية جانبية .

المستوى الثالث هو البحث عن طريق الحدس (الذي يقوده العقل طبعا) ، ويميز فيه المؤلف بين الطريقة الأولى دينية محضة : يسعى فيها الممارس إلى الاتصال الباطني النوراني أي إلى الاتصال بقوى النور الفوقطبيعية . أما الطريقة الثانية فهي غالبا ما تكون لائيكية وتتيح للمطبق ما يسمى بالاتصال الباطني الظلماني أي اتصال قوى العقل بقوى الطبيعة .

وينتظر المؤلف من الشباب والمثقفين إسهامات تسير في هذا الاتجاه بتنفيذها للمقترحات التي يتضمنها الكتاب ، كما ينتظر ردودا ومناقشات أو مقترحات مخالفة ، لأن من شأن ذلك أن يجعل الحوار أكثر ثراء ومردودية .

إن القوى الخفية التي يتحدث عنها مزاوي المحجوب ويحاول تفسيرها والتنظير لها ، هي ذات بُعد طاقوي فيزيائي وبُعد معرفي وقيمي . ولذلك فالمنتظر أن تقلب نتائج هذا البحث كثيرا من الآراء والأفكار الشائعة والمحترمة في الأوساط الجامعية والثقافية . ويقول المؤلف إن هذا هو ما قاده إليه اجتهاده وبحثه ، ويبين لنا في صفحات هذا الكتاب كيف كان ينتقل من مذهب إلى آخر ويجول بين النظريات والأفكار باحثا عما يسميه ((الحقيقية)) أي((التصوير السليم للعالم)) ومحاولا التأكد مما إذا كانت الحقيقة واحدة أم متعددة ، ذاتية أم موضوعية .

وسبب اهتمامه بهذه الإشكالية الآنفة الذكر يرجع إلى موضوع القوى الخفية نفسه . حيث أنه أدرك وهو في غمرة البحث والتقصي ، وجود بُعد معرفي وأنطولوجي وقيمي للقوى الخفية يتجلى ، على سبيل المثال ، في ظاهرة الكشف الصوفي والاتصال الباطني الديني وما يسميه بـ ((الخطابات الجانبية)) أي الخطابات المحصلة عن طريق الحدس .

وتأسيسا على هذه الاعتبارات ، فإن الموضوع المدروس في هذا الكتاب ليس مستقلا عن قضايا أخرى ساخنة .. فمسألة القوى الخفية للإنسان أو (إمكانيات الإنسان على مستوى القوة والمعرفة) لا تشكل إلا حلقة واحدة من سلسلة يعتزم المؤلف معالجتها بالتدريج ، ويبلغ عدد مسائلها خمسة : القوى الخفية للإنسان * مستويات الوعي * الرؤية على

العالم * الحقيقة * الاختلاف (الفكري والعقائدي) . ويبرز لنا عبر هذا الكتاب كيف ترتبط في بحثه هذه المواضيع الخمسة وكيف يقود الواحد منها إلى الآخر بصورة حتمية ، إلى أن نصل إلى إشكالية الاختلاف وهي تحتل مكانة مرموقة في حقل اهتماماته .

وهكذا يسرنا أن نقدم للقراء الكرام تلميذنا وصديقنا الأستاذ مزاوي المحجوب : فهو من مواليد قرية أغبالو إسردان بإقليم خنيفرة . تابع دراسته الابتدائية بمسقط رأسه وبومية ، ودراسته الثانوية بميدلت والرشيدية ، ثم انتقل إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس حصل على إجازة في علم النفس بتفوق . وقد اتبعنا أبحاثه واهتماماته منذ سنوات ، وأشرفنا على بحث قدمه للجامعة حول موضوع التنويم المغناطيسي الوثيق الصلة بقضايا هذا الكتاب . وإنه ليشرفنا أن تتجسد في هذا الباحث ثمار جهود أساتذته وأن يكون دليلا على علم النفس يؤدي رسالته في بلدنا .

الخطاطة المنهجية المقترحة

1/ المستوى الأول : مستوى البحث الباراسيكولوجي ، ويشمل مستويين ثانويين : التحقيق والتجريب + التفسير والتنظي

⬇

2/ المستوى الثاني : مستوى البحث عن نظائر في التراث والثقافة الشعبية والفلسفة . ويشمل تقويما بنتائج المستوى الأول ، لمعطيات العلوم الإنسانية وللنظريات الفلسفية والدينية والموقف من التراث بصفة عامة

[خطاب عقلاني –موضوعي-وضعي]

⬇

3/ المستوى الثالث : مستوى البحث بقوى العقل [مستقل عن المعطيات العلمية] : البحث عن طريق تغيير الوعي العادي والسعي به إلى الاتصال الباطني الشعوري . يشمل تقويما للمستويين الأول والثاني ، عبر خطاب حدسي . كما يتضمن نوعين من البحث :

البحث بالاتصال الباطني الديني	البحث بالاتصال الباطني الغير الديني
التطبيقات الدينية الإسلامية (الصلاة - قراءة القرآن – الذكر) الاستقامة	اليوجا - التصوف - السحر إلخ تطبيقات غير دينية ، أو دينية في الظاهر ولكن يشملها التغيير الخفي .
خطاب حدسي موضوعي : (العلوم الدينية الباطنية)	خطاب حدسي : (الكتابات الباطنية)

* نتائج مختلفة بحسب الاعتقاد المنطلق منه . والتطبيقات المستعملة .
* الاتصال الباطني الديني يمكن من فهم مختلف أشكال البحث والاتصال ، وإدراك وجوه الانحراف والأخطاء والنقص فيها .

الفـصـل الأول :

المستويان : الأول والثاني
أو الباراسيكولوجيا والتقويمات المنبثقة عنـها .

دعانا إلى الكتابة في هذا الموضوع الخطير ، إحْسَاسُنا بأنه لا يحظى بالاهتمام فـي أوساطـنا الفكرية ، وكثيرا ما يقترن لدى الشباب والمثقفين بالخرافات والأوهام التي عـفـا عنها الـزمـن وأصبحت عائقا في وجه التقدم ، والتنمية ، والتمدن ، وسائر القيم التي أصبحت معايير يقيس بها كل فكر وكل سلوك .

ونحن إنما نعرض لهذا الموضوع مخاطبين كل من كان همه البحث عن الحقيقة ، وكل باحث نزيه في أمور الذات والعقل ، ولا يُقَيِّدُه مذهب أو اعتقاد مسبق ينفره من الحقيقة ، أو يـدفعه إلى إغماض عينيه رغم تبين الحق بكل وضوح وجلاء ... أما من يقابل الموضوع بهزة كتف ساخرة ، مصنفا له بكل اندفاعية وتسرع ، فلا شأن لنا به ، لأنه يعتقد ما يريده هو ، لا ما يمليه الواقع ، وحسبك بها أنانية وغرورا ...

لقد اتجه الغربيون منذ أزيد من قرن من الزمن ، إلى دراسة الظواهر النفسية الجانبية ، التـي تدخل في عداد ((الخوارق)) ، وحدا بهم الأمر إلى إعادة طرح مواضيع معينة للدراسة كالسحر ، والتصوف واليوجا والتنويم المغناطيسي ، وما يسمى باستحضار الأرواح ، كذلك التنجيم والعرافة بكل أشكالها ، وظواهر الاتصال العقلي عن بُعد **Télépathie** والأحلام التنبؤية ، وغيرها . وقد استخدموا في ذلك المنهج التجريبي بقدر المستطاع في حين كانت تحقيقاتهم وتحرياتهم بالنسبة لبعض الظواهر والوقائع الجانبية الأخرى ، قائمة على شهادة الأشخاص ، وقياس الظواهر على بعضها البعض ، فجاء التحقيق في هذه الحالة شبيها به في الأمور القضائية والتاريخية .
وكانت النتيجة أن أسس علم وضعي يسمى بالباراسيكولوجيا **Parapsychologie** أو علم النفس الجانبي المختص بدراسة الظواهر غير العادية **phénomènes paranormaux** ، والهدف من تأسيسه هو محاولة مقارنة الظواهر المتواضعة على تسميتها ((بالروحية)) أو ((الخارقة))، بالوسائل العلمية الوضعية .
كان هذا العلم الجديد الذي أسس في أمريكا بجامعة ديوك من طرف الدكتور ج.ب راين فـي أوائل هذا القرن ، ميدانا يعمل فيه اختصاصيون ينتمون لشعب علمية مختلفة ، كالفيزياء

والبيولوجيا والرياضيات وعلم النفس . ولذلك فهو علم تركيبي تضافري **interdisciplinaire** تتعاضد وتتفاعل فيه الاختصاصات .
ولهذا العلم مهمتان أساسيتان يسعى إلى إنجازهما :

أولهما التحقيق والتجريب : أي إثبات صحة بعض الظواهر تجريبيا ، كإثبات إمكانية التخاطر : أي الاتصال العقلي عن بُعد ، وإثبات إمكانية تكسير كؤوس زجاجية بتثبيت النظر عليها ، وإمكانية لمس النار دون احتراق .

أما المهمة الثانية فهي : التفسير والتنظير ، أي إبراز الشروط المادية والمعنوية لوقوع هذه الظواهر ، وإعادة إنتاجها ، ثم محاولة صياغة نظرية كلية شاملة تستوعب العقلية منها والفيزيقية جميعا .

ويبدو أن الباراسيكولوجيا تغيرت كثيرا وما تزال تتغير ، في أدائها للمهمة الثانية ، نظرا لصعوبتها وتعقدها . أما المهمة الأولى فقد قطعت فيها أشواطا كبيرة لا يستهان بها .
ويجب أن يكون واضحا أن الباراسيكولوجيا في تقريراتها ونتائجها ، تمثل موقف العلم الوضعي الموضوعي ، الحديث مما يسمى بالظواهر النفسية ((الخارقة)) ، فلا يجوز أن نتسرع ونصدر عليها الأحكام الابستمولوجية التي نصدرها على علم النفس بمعناه المعروف ، أو على العلوم الإنسانية بشكل عامّ .
إنما الذي يهمنا من الباراسيكولوجيا ، رغم فشلها ، لحد الآن في صياغة نظرية شاملة ، هو إثباتها بصفة موضوعية ، لصحة وقوع بعض الظواهر النفسية الجانبية ، وإثباتها أيضا لمخالفة تلك الظواهر للقوانين والنظريات العلمية الحالية .
هذا عطاء لا يستهان به رغم أننا غالبا ما نطالب بالتنظير إلى حد الهوس . فالظواهر التي تدرسها الباراسيكولوجيا ، لا تكون مسلما بها في البداية ، بل تخضع للفحص والتحقيق ، لإثبات وقوعها أولا ، ثم يبدأ الباحثون عملهم بعد ذلك ، في سبيل التفسير والتنظير . أما وقائع الفيزياء كسقوط تفاحة مثلا ، فهي معطاة مباشرة ، ولا تحتاج لأي تحقيق ((قضائي)) ، فلا يماري فيها أحد .
هذا المستوى التحقيقي حول الظواهر ((الخارقة)) بصفة عامة . فأصبح بإمكانك أن تقول دون خجل : ((إنه من الممكن أن تتحطم الكؤوس الزجاجية عن طريق تثبيت النظر)) ، أو تقول دون تردد : ((إن هناك أشخاصا يأكلون الزجاج ويشربون الماء الساخن المحترق ، دون أن يصابوا بأي ضرر)) . نعم تقول دون أن يسخر منك أحد ... لأنك هنا لا تفسر ولا تنظر ، وإنما تصف واقعا مباشرا رصده العلماء بالأعين والأجهزة التي لا تنخدع ، ولا تصاب بالهلوسة .
ولسنا نزعم أن الباراسيكولوجيا قامت بتحقيق جميع الظواهر النفسية الجانبية ، فالمهمة شاقة وتتطلب السير بخطى وئيدة . ولكننا لا نجانب الصواب إذا قلنا إنها قامت بإخراج كثير من الظواهر والأفكار في الأوساط الشعبية من حكم الوهم والخرافة إلى حكم الحقيقة والواقعية .

وبوسعك بعد ذلك أن تغض الطرف عن التفسير والتنظير في هذا المستوى من البحث ، الذي يتمحور حول أنطولوجية الظواهر النفسية الجانبية لماذا ؟ لأنه بإمكانك أن تستدل بمجرد ((وقوع)) هذه الظواهر و((مشروعيتها)) على أشياء كثيرة ذات قيمة ، دون أن تدخل في غمرة النظريات المتناقضة والأفكار الاحتمالية التي تجعل بناءك النظري الذي ستصوغه فيما بعد ، عرضة للثغرات وتسرب الأفكار المسبقة . وذلك عملا بالقولة الصارمة : ((لا نريد جملا بل نريد وقائع .))

لقد اقتطعـي الباراسيكولوجيا من قوى الإنسان الخفية ما يمكن دراسته بالوسائل العلمية العادية ، وأرجأت القسم الآخر الذي يتغذر الآن ، حسب الإمكانية الآلية المتوافرة أن تتم دراسته بموضوعية ، وبشكل لا يدع مجالا لأي شبهة . أما على مستوى التفسير والتنظير ، فقد كشف هذا العلم عن كثير من الحقائق . فبعد تجميع الملاحظات وصياغة المعادلات المتعلقة بالشروط الزمانية والمكانية والنفسية والعضوية ، أمكن الباحثين أن يضعوا أيديهم على كثير من الطرق التي تمكن أي إنسان من استثارة قواه الخفية بصفة اصطناعية(1) لقد تم التوصل إلى ذلك بالاستعانة بالنصوص القديمة : الدينية والصوفية والسحرية ، ومقارنة ما جاء فيها من معلومات بصدد قوى الإنسان الخفية ، بما تكشف عنه الدراسة العلمية الرصينة في العصر الحديث . وهذا يتفق وطبيعة العقلية الغربية البراجماتية ، التي تسعى دوما إلى الانتفاع من المعطيات العلمية وتوظيفها في الحياة اليومية وفي شؤون الصحة والعمل والعلاقات الاجتماعية والمجال الاقتصادي . وأكثر من هذا ، فقد ظهرت مؤلفات لباحثين مختصين ، وتتحدث عن القوى الباطنية في حرب فيتنام وبعض حركات التحرر الإفريقية وحروب هتلر، وعن علاقة هذا الميدان بأنشطة المخابرات السرية ، وبالمجال الاستتراتيجي والعسكري(2) . حيث يستعمل الأشخاص الذين يستطيعون التأثير من بعيد على آخرين أو على المادة بما في ذلك الأجهزة الميكانيكية والإلكترونية ، يستعملون لمهاجمة العدو ، وإلحاق الضرر به ، والحط من معنوياته الأساليب الباطنية ، المختلفة .

هذا ومن المحتمل ، مادامت للبحث في القوى الباطنية صلة بالميدان العسكري وميدان المخابرات ، أن يتم جزء كبير منه في سرية تامة ، وتظل معرفة نتائجه حكرا على فئة قليلة من أولي الأمر ، ويصدرون أوامرهم ويَكْتُمون حقائق خطيرة أمْلت عليهم تلك الأوامر ، حتى لا تصل إلى غيرهم ، خصوصا وأن الصراع الحالي الدائر بين الأمم والشعوب ، يستوجب هذا الاحتكار . فلا ينشر بهذا الاعتبار إلا جزء يسير ... إنه لأمر محتمل على حد كبير ... يشُمّه الباحث من خلال إشارات وتنبيهات توجد في مرجع الباراسيكولوجيا الكثيرة .

---

(1) Voir par exemple : Développez vos pouvoirs invisibles yannik éd marabout.paris 1979
(2) Voir par exemple : la guerre secrète de l'occulte.Jaques Bergier éd : j'ai lu.

ولكن لا علينا من هذا كله ... فليس أدْعى إلى الفرحة والاطمئنان من أن تضطلع فئة من الباحثين عندنا ، بدراسة القوى الباطنية فيلحقوا بالركب ، ويكشفوا عما يحتمل أن يحتفظ به الباحث الغربي في سرية تامة .

وإذا فالخطوة الأولى التي يجب القيام بها ، هي الضبط التجريبي ، ونحن أول من يوافق على أن مجاله محدود ورهين بالإمكانيات المتوافرة حاليا . ولكن هذا القليل الذي يتم ضبطه ، سيفيدنا في إلقاء الضوء على مسائل في التراث والعلوم الحديثة والفلسفة والفكر الإسلامي لا تزال غامضة ، ويكثر حولها الجدل البيزنطي . فمن الأكيد أنه عندما يتم التحقيق في شأن الرؤى والكشف والإلهام ، والحاسة السادسة ، وانفصال الوعي عن الجسد ، سوف يتم أيضا تصحيح أحكامنا المسبقة والاعتباطية التي نصدرها على الكتب الصفراء ومضمونها «السحري» و«الأسطوري» وكذلك على الحدس الصوفي ، والإلهام الباطني وغيرها مما يروى عن المتصوفة والسحرة القدامى واليوجيين والبوذيين . وسوف يتم التحقيق في شأن موضوع كبير وخطير جدا كالكرامات الصوفية التي لا تزال موضوع جدل ، ورفض وقبول اعتباطيين في كثير من الأحيان . (يدور الجدل حول الكرامات كما هو معلوم بين بعض المتصوفة من جهة والمعتزلة والفقهاء من جهة أخرى)

كيف يمكننا التأكد من أن ما روي عن قُدرات متصوفة ما ، هو صحيح لا مراء فيه ؟ يمكننا ذلك باستعمال المقارنة وقياس الغائب على الشاهد ، وتركيب الظواهر البسيطة لفهم المعقدة وطبعا يجب القيام بتصنيف الظواهر التي يتم تحقيقها في إطار البحث الباراسيكولوجي ، لنقيس عليها ما يرد في الأدبيات الصوفية والدينية ، وفي الثقافة الشعبية ، من حكايات عن القُدرات الباطنية ، العقلية منها والفيزيقية . فلا شك أنه كان من الممكن أن نُبثَّ في مصداقية ما روي عن محيي الدين بن عربي وغيره ، حوادث الاتصال العقلي عن بعد والاستبصار والتنبؤ والكتابة التلقائية والتأثير العقلي على المادة لو رجعنا إلى التقارير والوثائق الباراسيكولوجية التي تثبت وقوع مثل هذه الظواهر في عصرنا الحالي . فكيف نقبل وقوعها اليوم وننفي أم يكون من الممكن أنها وقعت بالأمس ، وخصوصا إذا كانت شروط حدوثها متوافرة بالأمس مثلما تتوافر اليوم ؟ إذاً فبعد مستوى الضبط والتحقيق التجريبي ، يكون هذا هو المستوى الثاني ، أيْ مستوى البحث عن نظائر في التراث والثقافة الشعبية والنظريات الفلسفية ... سيتضمن هذا المستوى مهمة التحقيق في شأن الخارق والمعجزة ، والسحري والمقدس والباطني والحدسي ، واللاعقلاني ، وبكلمة واحدة : الجانبي الذي يرد في الحقول السالفة الذكر . كما سيتضمن تصحيحا وتقويما وإضافات لمعطيات العلوم الإنسانية وللمواقف المنبثقة عنها . وهنا سنضطر إلى تصحيح الموقف الذي يمليه التحليل النفسي بصدد الأحلام ، والقائم مثلا على «أن الحلم ، على الدوام هو تحقيق مقنع لرغبة مكبوتة» . ستضيف لنا الباراسيكولوجيا الاستدراك التالي : «أن هناك أحلاما تنبؤية تصف أحداث المستقبل بكل تفاصيلها ، ولا تنطبق عليها قوانين التحليل النفسي ، وأن هناك أحلاما تخاطرية ، يحدثها الاتصال العقلي الشعوري أو اللاشعوري . وتروغ بدورها من القوانين السالفة الذكر » ، و وسوف نصحح موقف الإنسان «العقلاني» الرافض للخرافات والأساطير بصدد مسائل

كالعين الشريرة ، والبيوت والأماكن المسكونة ، وإمكانية التنويم عن بعد . وسوف نضيف إلى الفلسفة شيئا آخر عن الإدراك ، بإثبات وجود إدراك فوق الحسي لا يعتمد في أخذ معطياته على أي من الحواس الخمس ، وكذلك بإثبات أن الوعي لا يرتبط ضرورة بالدماغ . ولَدَيْنا مثلا ، ظواهر التنويم المغناطيسي التي يمكن الارتكاز عليها لإثبات ذلك تجريبيا ، وبمستوى من الدقة لا يرقى إليه الشك .(1)

كما أننا سنقوم في هذا المستوى من البحث ، بتصحيح الحكم السوسيولوجي الذي مفاده ((أن كرامات شيخ الزاوية الصوفية (والزاوية هنا كمؤسسة اجتماعية)ما هي إلا حكايات خرافية مشاعة يقصد بها الرفع من قيمة الشيخ ونفوذه الاقتصادي والسياسي ، الذي هو ، بحق ، الجوهر ، والمحور الذي يقوم التصوف كظاهرة سوسيولوجية)) .

سنصحح هذا الحكم عندما تقودنا الأبحاث العلمية على الكرامات ليست وهما ولا خرافة . فرغم أن البعض يدّعونها ولا يملكونها ، فلذلك لا يطعن في واقعيتها ... وهنا سنلجأ إلى الأدلة والشواهد التي تثبت إمكان حدوث ما يروى عن الشيخ من كرامات . هذا على المستوى النظري فقط . ونَدَعُ مسألة ما إذا كانت هذه الكرامات قد جرت فعلا على يد الشيخ الفلاني ، للبحث التاريخي والتوثيقي ، فذلك مستوى آخر من التحقيق .

هذه أمثلة بسيطة للتصحيح أو التقويم الذي يقوم على معطيات المهمة الأولى للباراسيكولوجيا ، أي التحقيق المخبري والتجريبي .

والواقع أن هذا التصحيح هائل جدا ، ويمكنه عند الوصول إلى مستوى معين ، أن يقلب نظريات بكاملها ، وأنساقا فلسفية هائلة كنا نعتقد أنها ستتحدى الزمن . وقد تتغير في ذلك المستوى نظرتنا إلى الأشياء ، أو مستوى وَعْينا (بالمعنى الفينومينولوجي) أو نظرتنا إلى العالم وموقفنا من الوجود**weltanschaung** ولكن ما الداعي إلى الخوف في هذا كله؟ أولسنا نبحث بعيدا عن أي هدف آخر ، عن أي مصلحة مادية أو معنوية ؟ أولسنا ننشد الحق سواء كان مع الدين أو ضده فذلك لا يهمنا في شيء ؟! أولسنا عاقدين العزم على ألا نبقى أسارى أي مذهب أو اعتقاد ، أو أي حزب أو هيأة ، ونحن نشمر على سواعدنا للدخول في هذا الميدان ، ميدان البحث عن الحقيقة الموضوعية المنزهة عن الأغراض ..؟

نعود إلى مسألة التصحيح السالف ذكرها ، ونعني تصحيح المعطيات العلمية والفكرية الحالية على ضوء المعطيات الباراسيكولوجية التجريبية ، هذا التصحيح يمكنه أيضا أن يشمل خطابات نظرية المعرفة ، والإبستمولوجيا . فبالنسبة للحقل الأول ونقصد المعرفة ، كثيرا ما

---

(1) الوقوف على تقنيات التنويم المغناطيسي ونظرياته التفسيرية نحيل القاريء إلى البحث الذي قدمناه لنيل الإجازة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس ، وهو يحمل عنوان ((فعاليات الإيحاء في االتنويم المغناطيسي)) .

لاحظنا شخصيا ، النفور أو الاشمئزاز الذي يعتري أغلبية الطلبة والتلاميذ ، عندما يتناول المدرس الأنساق المعرفية الحدسية والباطنية بالشرح أو عندما يتحدث عن نمط المعرفة الصوفية وما يرتكز عليه من حدس وكشف وإلهام . فكأن هذه الكلمات ((حدس)) - و((كشف)) - ((إلهام)) -((تجربة جوانية)) ، غير مفهومة عند الطالب . وهو في ذلك معذور ، لأنه لا يعلم شيئا عن الأبحاث الغربية التي تجري عن هذه الظواهر . وقد يصدق ما يروى في الأوساط الشعبية عن الأحلام التنبؤية والاستبصار والعرافة والتنجيم ولكنه لا يعرف وجه الربط بينها وبين الأنساق المعرفية الحدسية فهو في حيرة من أمره ، يلجأ إلى حيلة ((الخروج من باب واسع)) ، كما يقول المثال العامي ليتخلص من قلق نظري ليس بوسع طالب مثله محدود المعلومات أن يتحمله ... وكثيرا ما يشجعه على ذلك موقف الأستاذ ، الذي يغلق الأقفال بسهولة ويحسم بهزة كتف مع هذه المسائل((الميتافيزيقية)) التي لا تزيد عن كونها كلاما فارغا ، يبعد الإنسان عن واقعه ، وعن الوعي بحقله الاجتماعي والتاريخي ، وقضايا عصره ، وهلم جرّا...

إن الأحلام التنبؤية والتخاطرية والعرافة والاستبصار والإدراك فوق الحسي ، عندما تثبت صحتها تجريبيا (وقد ثبتت منذ زمن بعيد)، ستثير ضجة في نظرية المعرفة ، إذ أننا سنتساءل على المستوى النظري : كيف يمكن للإنسان أن يعرف مواضيع مختلفة دون استعمال الحواس الخمس التي هي المنفذ الوحيد ، في حد ما نعلم ، الذي يمكن أن ندرك من خلاله العالم ونعرف المواضيع الخارجية .

وسوف نضيف شيئا جديدا يصحح الكثير من الأفكار الفلسفية الرائجة عن المعرفة وشروطها دون أن تنطوي على حقيقة .

ويقال نفس الشيء بالنسبة للابستمولوجيا التي تعتبر مهمتها هي نقد مقدمات ونتائج العلوم . فطالما لاحظنا شخصيا ، طوال قراءتنا وتحصيلنا في هذا الميدان ، أن النقد الذي يقوم به الابستمولوجيون المعاصرون ، يغفل الظواهر الجانبية بصفة عامة . بل الأغرب من ذلك أنه لا يشار إلى الباراسيكولوجيا بتاتا ، وكأنها غير موجودة أو غير معترف بها وبعلميتها . ونحن بإمكاننا أن نضرب صفحا عن المطلب المستفاد من هذا المأخذ ، فليس هدفنا هو الدفاع عن الباراسيكولوجيا وعن مشروعيتها العلمية على لمستوى الابستمولوجي ... لنفرض أن الباراسيكولوجيا غير موجودة أصلا ...! سيبقى أمامنا مشكل أساسي : أن كثيرا من الظواهر النفسية غير العادية ((لا تخضع للقوانين والنظريات العلمية المعروفة حاليا)) .

سيقال إن هذه الظواهر مجرد خرافات وأوهام ، وسنقول : ((حسنا ، وإذا أثبتت وسائل الضبط التجريبي دليل وجودها بشكل لا يرقى إليه الشك ، فماذا بوسعكم أن تقولوا ؟ لا تقولوا إن التجريبي دليل على أن هذه الظواهر قابلة للمقاربة العلمية الوضعية ، وبالتالي فسوف تنطبق عليها القوانين العلمية الحالية .)) إن هذه مجرد مغالطة ؛ فالوسائل التجريبية في هذه الحالة لا تعمل إلا على نفي الشبهة عن مصداقية هذه الظواهر ووجودها الحقيقي . ولكن عدم خضوعها للقوانين والنظريات الراهنة هو أمر أكيد ... فحتى لو أمكن في المستقبل أن

نكتشف لها قوانين مجهولة نزيح عنها النقاب ، فسوف نعمل إدّاك ، ولا شك ، على إعادة صياغة للمعارف العلمية بكاملها ، وسوف تتغير الجداول العلمية التصنيفية التي تحدد كل أنواع الطاقة المعروفة لحد الآن . ولا شك أن الفيزياء والبيولوجيا والرياضيات ، وكل جهويات العلم البحث سوف تضطر حينئذ لبناء هياكل أكثر مرونة وأكثر استيعابا للظواهر الإنسانية والطبيعية .

ومهما يكن من أمر ، فعلى الخطاب الابستمولوجي المعاصر أن يُعيرَ هذه الإشكالية أهمية قصوى فهذه الظواهر موجودة والعلم الذي يلزمه دراستها وتفسيرها إما أنه ناجح وإما أنه فاشل في تفسيرها والتنظير لها . وفي كلتا الحالتين ، على الباحث الابستمولوجي أن يقوم بتقييم لهذه الجهوية التركيبية التي يطلقون عليها الباراسيكولوجيا . إن العلم في مشكلة إزاء هذه الظواهر ، بنفي الحدة التي تبلغها مشكلة البقاء بعد الموت والتقمص والأطباق الطائرة . ولسنا نعني أن الحل ممتنع بتاتا ومستحيل . ذلك أن هناك مستوى آخر من البحث يتم تحقيقه بالوسائل الباطنية ، وسوف نتطرق إليه فيما بعد . إنما نقصد أن الابستمولوجيا المعاصرة مَعْنِيَّة بهذا الأمر مادامت مختصة بنقد العلم وإبراز حدوده وإمكانياته وما يجوز أو يمتنع أن يتناوله . والغريب أننا لا نجد في مؤلفات غاستون باشلار Gaston Bachelrd ولا Jean Piaget مايشير إلى هذه الظواهر وما تطرحه من مشاكل أمام البحث العلمي ، رغم أنهما يُنْعَتَانِ في الغالب كاختصاصيين في الابستمولوجيا .
سنعيد هنا ما سبق لنا قوله في إحدى المحاضرات التي تناولنا فيها موضوع «التصوف والباراسيكولوجيا» ، من أن العلم يقوم باستخلاص القوانين من ظواهر متعددة ، وانطلاقا من القوانين والحقائق يحاول بناء النظريات.فمن خلال سقوط الأجسام في الفراغ ، وظواهر المد والجزر وغيرها من الوقائع ، يتم استخلاص قانون موحد هو قانون الجاذبية . فإذا فرضنا أنه بعد القيام بعملية استنباط القانون الذي يحكم مجموعة من الظواهر ، وجدنا ظاهرة من نفس النوع لا يمكن تفسيرها حسب القوانين العلمية والمعطيات الحالية ، فماذا نفعل حينئذ ؟ هل نتهم الظواهر«المتمردة» ، أم نتهم البناء العلمي النظري الذي لم يستطع احتواءها ؟ طبعا لا يمكن نفي الظاهرة أو اعتبارها وهما لأنها معطاة مباشرة ، ويمكن التحقق من وقوعها بالآلات والأجهزة فضلا عن الملاحظة الأولية البسيطة . وإذا فالمسؤولية هنا تقع على عاتق العلم ، كبناء نظري ، وكبحث تجريبي عليه أن يقوم باستيعاب واحتواء كل الظواهر ، قبل أن يأخذ صفة العلم الحقيقي . لماذا ؟ لأن هذه الظاهرية غير العادية إذا تمَّ تفسيرها بوسيلة أخرى ، فلربما غيرت النتائج كل ما أنجزناه حتى الآن ، أو هدمته تماما ... ومن يدري ؟ ... وقد يردّ علينا بأن كل ما استخلصناه من هذا التقييم ، أن الحقائق والنظريات ليست يقينية ولا مطلقة وأننا ، بالتالي ،لا نضيف بهذا الحكم الضمني شيئا جديدا مادام الرأي الشاسع اليوم أن نتائج العلم احتمالية ترجيحية ونسبية ، قابلة للتغيير وإعادة البناء بحسب المعطيات الجديدة التي تضاف إلى الحالية بفضل البحث والاكتشاف . ولكن للرد على هذا القوم نتساءل أمام الملأ : حسنا ، وماذا قال العلم عن هذه الظواهر ؟ وهل صاغ لها نظرية شاملة مفسرة حتى نتساءل بعد ذلك عما إذا كانت هذه النظرية يقينية أم احتمالية ، نسبية أم مطلقة ...؟

إن الخصائص الابستمولوجية للباراسيكولوجيا واضحة بينة . فلا شك أنها- من بين العلوم الإنسانية والبحتة- حالة خاصة ، تعاني مشاكل لا تشبه في شيء مشاكل الصِّبغة العلمية عنها ، لأن لها موضوعا ومنهاجا محددين ... وهي تضطلع ، بخلاف غيرها من العلوم ، بالتحقيق في شأن انطولوجية الظواهر النفسية الجانبية قبل أن تتناولها بالدراسة المعهودة في الجهويات الأخرى .

ثمة بُعد فلسفي آخر للموضوع ، يبدأ عندما نتساءل عما كانت هذه الظواهر الجانبية ، في آخر المطاف ، ذات طبيعة مادية أم روحية ... لاشك أن الباحث في الباراسيكولوجيا يجب أن يتحرر من أي فكرة مسبقة أو أي رأي قبلي مفاده أن هذه الظواهر «روحية» صرفة ، رغم أن أي إنسان عادي لا يتردد أثناء حديثه في وصفها «بالروحية» أو«الخارقة» (1) . إن عبارة «الظواهر الجانبية»: (les phénomènes paranormaux)، يستهدف الباحثون من وضعها تجريد البحث من أي رأي مسبق . فليس لديهم دليل على أن هذا الذي يجري هو حدث «فوق الطبيعة» ... ومن هذا الذي بوَسْعِهِ أن يحدد لنا – في إطار العلم الوضعي – الفاصل بين ما هو طبيعي وما يدخل في عداد الخوارق الفوقطبيعية ؟ ... لذا يجب تلافي الشبهات والأفكار الشائعة ... ولقد أشار إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل العالم الأنجليزي **Lyall Watson** في كتابه «الطبيعة الفائقة»(**supernature**)الذي ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان «التاريخ الطبيعي لما فوق الطبيعة » . ويتضح من هذا العنوان ، ما يذهب إليه واطسن من أن كثيرا من ظواهر السحر والقوى الباطنية ، هي أبعد من أن تكون «خارقة» فهي تنتمي إلى مستوى آخر من القوانين والعلاقات ، يمكن الاصطلاح على تسميته بالطبيعة الفائقة **(supernature)** .

إن خطوة هذا البعد الفلسفي تتجلى في مسألة الثنائية الكلاسيكية ، ونعني «المادية والمثالية» . فلا شك أن الانتماء إلى أي من هذين الخطين تلعب فيه التربية والمزاج والوسط الاجتماعي دورا لا يستهان به . وغالبا ما يصدق هذا بالنسبة لانتماء رجل الشارع أو الإنسان الأمي . ولكن بالنسبة للعالم والفيلسوف والمثقف والانتِليجِنْسِيا بصفة عامة ، لا شك أن الانتماء يأخذ صبغة تبريرية ، شرعية على مستوى البراهين والأدلة .

وكثيرا ما ترتكز هذه الأدلة والاعتبارات على العقل والعلم والمنطق . فنجد أحد المنتمين إلى الاتجاه المادي يبرر رفضه المفهوم «الروح» الميتافيزيقي مستندا في ذلك إلى النظرية المسماة بـ«ثانوية ظواهر الوعي» **(Epiphénoménalisme)** ، (2)

أو إلى أبحاث المدرسة السلوكية في علم النفس ، والتي تلغي مفهوم الوعي ، معتمدة على السلوك الخارجي للكائن العضوي . إن هذا موقف وضعي يؤمن بأن المعرفة العلمية بتحديد ما يجب نفيه أو اعتقاده على المستوى الفلسفي . ولكن لا ننس أن أمام التعلم إشكاليات لتم

---

(1) ونحن إنما نصفها «بالخرافة» كما يبدو من خلال عنوان هذا الكتاب،فقط لإبراز مضمونه بوضوح لأن أغلب القراء لن يعرفوا ما معنى «الظواهر الجانبية»

(2) تقوم هذه النظرية على أن الوعي مجرد انعكاس للسيرورات العضوية وليس مستقلا عنها .

تحل ، وأن نتائجه احتمالية موقوتة ، يتم تصحيحها يوما بعد يوم . فهو ميدان محدود ، غير كاف لتدعيم أو تفنيد نظرية فلسفية أ معتقد ديني ، بصفة نهائية قطعية . وحتى لو فرضنا أن المعطيات العلمية يجب أن تصحح ، لوجدها معتقداتنا الفلسفية ، ففي هذه الحالة نقرر بكل إصرار ، أن الكثير من الحجج والحيثيات التي يركن إليها معظم الطلاب والمثقفين ، يمكن الرد عليها وتفنيدها بمعطيات الباراسيكولوجيا ... ولسنا نقصد -بالدرجة الأولى- مستوى التفسير والتنظير في هذا العلم الفتي ، فهذا المستوى هو نفسه احتمالي ، نسبي ، موقوت ينطبق عليه ما ينطبق على معطيات مختلف الجهويات العلمية من أحكام ابستمولوجية . إنما نقصد على وجه الخصوص ، مستوى التحقيق التجريبي ، الذي يكتفي بمجرد إثبات المشروعية الأنطولوجية للظواهر النفسية الجانبية . فمجرد«وجود» هذه الظواهر ، كفيل هو نفسه بإعطاء بعد فلسفي ، بغض النظر عن مستوى التفسير والتنظير .

والفكرة الأساسية فيما تحدثنا عنه مؤخرا ، أن المجهول أكثر من العلوم ، وأنه يجب ألا نَرْكَنُ إلى المعطيات العلمية من أجل تقييم موقف فلسفي ما أو ديني إلا بحذر شديد ... فأولا يجب التمييز بين الحقائق الثابتة والنظريات القابلة للتغيير . فالعلم قد يثبت في الغد ما ينفيه اليوم . ولذلك فالأولى أن نلجأ إلى العقل كحجة ، قبل أن نلجأ إلى العلم ... ونقصد هنا ، العقل بوجه عام ، لا العقل الذي يتمثل فقط في مبادىء المنطق . فهذا الأخير هو نفسه كان على طول تاريخ الفلسفة عرضة للنقد ، ومجالا للتجديد والتغيير ...

فإذا تساءلنا عن الموقع الذي انطلق منه هذا النقد وهذا التجديد ، نكون حينئذ أمام العقل بمعناه العام ، الذي يتجاوز القواعد المنطقية الموضوعة (1) .

لقد أشرنا مؤخرا ، إلى أن معطيات الباراسيكولوجيا يمكنها تصحيح معتقداتنا الفلسفية ، ولا يغرب عن بالنا أن هذا نفسه هو ما أثار ضجة في الاتحاد السوفياتي ، حيث يدور الصراع بين المادية وبين ظواهر كانت تصنف على الدوام بأنها «روحية» ومن المعلوم أن الستالينيين الجدد ، يشنون حربا شعواء على الباراسيكولوجيا ، في حين يطالب البعض الآخر بأن تبقى الأبحاث مستمرة ، ولكن في سرية تامة . وهناك من الباحثين من يزعم أنه نجح في تفسير هذه الظواهر انطلاقا من قوانين المادية الدياليكتيكية أو قوانين الانعكاس البافلوفية ، ولسنا ندري إلى أي حد هذا صحيح ، ونتساءل عما إذا كان مجرد مشروع فقط ...، قد ينسفه الاستمرار في البحث ، واستقرار جميع الظواهر التي هي ، بحق ، متنوعة وكثيرة ، ومتفاوتة في درجة «الغربة» و«والجانبية» بحيث يمكن الاستدلال عليه بالبعض الآخر .

يجب أن يكون البحث مخيفا أو مثيرا للحساسيات والحنين إلى المعتقد القديم ، فقد يقودنا التحري والاستكشاف إلى الوقوف في صف المثالية أو الروحية ، وقد يقودنا إلى حقيقة أخرى مذهلة : أن المادة والروح وجهان لعملة واحدة ، فتكون بذلك الثنائية الكلاسيكية «مادة-روح» متجاوزة ، وندخل في نوع من الفردانية **Singularis me** أو الوحدانية كما يحلو للبعض أن يسميها . وقد نكتشف أن المادة والروح جوهران يدور بينهما الصراع ، وأن منهما لا

---

(1) نقصد هنا العقل بالمعنى العام الذي يأخذه في كتاب «الإنسان والعقل» للدكتور التهامي محمد الوكيلي والأستاذ نور الدين عبد الحق

يختزل في الآخر ولا يرد إليه ... وكيفما كان الأمر سنجد أنفسنا أمام معطيات تغير رؤيتنا إلى العالم متضافرة في ذلك مع نتائج العلوم الأخرى ...
ولنا كامل اليقين أنه لو اكتشفنا في نهاية المطاف أن الظواهر النفسية الجانبية ذات طبيعة مادية فلا شك أن الأمر هنا سيتعلق «بمادية» من نوع آخر غير التي نعرف . بحيث ستكون حينئذ شروط ما هو «مادي» مغاير للشروط والخصائص المحددة لما نضفي عليه اليوم صبغة المادية ، وبالتالي فسيتحطم الحاجز بين المادي و الروحي ، أو العقلي إذا شئتم ... أكثر مما تحطم على يد الميكروفيزاء والنظرية النسبية .

يجب ألا تخيفنا نتائج بحثنا إذا كنا أحرار الفكر. فمن شأن الحق أن يصدم الإنسان في الغالب. وما أصعب أن تدع معتقداتك وأحلامك اللذيذة التي كنت تطمئن إليها ، بمعتقد جاف يقف الواقع في صفه ، ويناصره العقل والعلم ، ولكنه يجعلك تتعذب وتنفقد الحلاوة مؤقتا ..!

نقول هذا ونستغفر الله ؛ فليس لنا دليل على أن الحق في كل الحالات لا يعطي الراحة والاطمئنان ، أو أنه ، أصلا ، ضدهما . وفي اعتقادنا أن الحق لا يضاد الحق ، وأن مشكلة وجودنا لها بالضرورة حل مُرْ}ض ومُريح ... فنحن الآن نتحدث فقط ، انطلاقا من مستوى من مستويات البحث ، وسوف نكتشف أن هناك مستوى آخر(1) قد نحكم في نهاية المطاف بأنه ينسخ المستوى الحالي ، وأنه كفيل بإلغائه ؟ ولكن للسير في طريق واضح ، بعيدا عن الأخطار ، نقترح أن يكون انتقالنا من الأقرب إلى الأبعد ، وألا نهجر وسيلة من وسائل البحث إلا استنفدت أغراضها تماما ، وبدت غير قديرة على تناول ما نرغب في دراسته .

كان هذا باختصار شديد هو المستوى للبحث في القوى الباطنية للإنسان أو بمعنى آخر : مستوى البحث عن نظائر في التراث والثقافة الشعبية والفلسفة . وقد أشرنا إلى النتيجة القيمة المترتبة عنه ، ألا وهي تصحيح وتقويم بعض المواقف الضيقة الأفق ، والتي أملتها علينا العلوم الإنسانية والوضعية ، التي لا تأخذ بعين الاعتبار ما هو «جانبي» ، وبالتالي تفوتها ثماره العلمية والفكرية ، كما سيتم تصحيح موقفنا من بعض المواضيع الواردة في التراث والثقافة الشعبية ، والتي تتعلق بالظواهر الجانبية . فعلى سبيل المثال يمكن تصحيح موقفنا إزاء كل ما هو «جانبي» و«خارق» في مؤلفات شهيرة«كُتُحفة النظّار» لابن بطوطة «وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» لزكريا القزويني ، «وخريدة العجائب الفريدة والغرائب» لسراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي ، وطبقات الشعراني ، ورسائل إخوان الصفا ، وهَلُمَّ جرّا ... وبالمثل يمكن تصحيح موقف التحليل النفسي الذي يختزل «الجذبة الصوفية» في تفريغ الطاقة الجنسية ، وتصحيح موقف المادية التاريخية بصدد مسألة «الجوهر في التصوف» الذي تعتقده اقتصاديا ... بينما تعتبر الجانب النظري والتنظيمي في التصوف داخلا في «الأعراض» الثانوية ... وتعتبر الكرامات مجرد خرافات وأوهام ... ويجب أن

---

(1): نقصد مستوى البحث بقوى العقل أي مستوى الاتصال الباطني الشعوري .

يكون واضحا هنا ، ما نود الدفاع عنه . فنحن لا ننفي أن للتصوف الطرقي وللزاوية كمؤسسة صوفية ، قاعدة اقتصادية وبُعداً اقتصاديا ؛ ولا ننفي أن لها بُعدا سياسيا وقَبَلِيّاً (بفتح الباء) . ولكننا نفند الرأي القائل إن القاعدة «الاقتصادية» هي السبب الرئيسي الذي عمل على إفراز شيء اسمه التصوف في التاريخ الإنساني . كما ننفي بكل إصرار أن تكون الأفكار الصوفية قد ظهرت وقامت بالأساس لتأدية ووظيفة سياسية أو إيديولوجية (بالمعنى) ؛ رغم أننا نعترف بأنها ، فيما بعد ذات صلة بشيء من ذلك . ولاختصار الحجة نقول : إن كل الأفكار والوقائع ، يمكن أن تستعمل في اتجاه أو آخر ، حتى المعطيات العلمية نفسها ، تقوم كثير من الفلسفات باستغلالها بصفة ذكية ، تبعدها عن الافتضاح وانكشاف الثغرات . هذا بالنسبة للعلم نفسه فكيف لا تستعمل الأفكار المجردة في اتجاه أو في آخر ، مادام أنه ليس بالإمكان القول بأن الناس ، دون استثناء ، جادون مخلصون ، ومستمسكون بالحق وحده . إن هماك محاول للدكتور علي زيعور تتم عبر سلسلة من الكتب تحمل عنوان «التحليل النفسي والانثرروبولوجي للذات العربية» ، وتجعل من بين أهدافها تفسير التصوف انطلاقا من نظريات التحليل النفسي . هذه المحاولة في تقديرنا اختزالية . إنها تسخر من العقلية الصوفية وطريقة التفكير الصوفي وتعتبرها بلادة فكرية . وهذا ينمّ عن عدم إدخال هذه الدراسة النفستحليلية «لعلم مستويات الوعي» في الاعتبار ولو فعلت ذلك لغيرت موقفها من التفكير الصوفي كمستوى من مستويات الوعي . فلقد أسس الغربيون في أوائل الستينات علما فتيا يطلقون عليه السّوفْرولوجيا **sophrologie** ،(1) هو علم مستويات الوعي ، أكثر من ذلك فهو فلسفة وحركة اجتماعية ووسيلة بحث في المعرفة ، يمكن أن تتم بها مقارنة الظاهرة الإنسانية في كليتها وشمولها ، بما في ذلك ظاهرة التصوف . ويجب أن يكون واضحا هنا ، أننا لا نبريء كل المتصوفة ، من الوقوع في أخطاء علمية . ونحن عل وعي بما يسمى «بالانحراف في التصوف» ، أو «الشعوذة التي نشأت عن التصوف» ؛ ولكن هذا يطعن في سمعة المذاهب والأفكار ، فليس كل الناس أخيار مخلصين ، فمنهم من هو مستعد لاستغلال الدين والعلم والفلسفة والإشاعة والخرافة عل حد سواء ، فهل هذا يطعن في الميدان المستغل (بفتح الغين) ؟ ألا تلاحون أن كلمة«علم» تستغل هي نفسها في الإشهار التجاري ؟ .

بالإضافة إلى ذلك ، لا نغفل الحكم الذي يصدر انطلاقا من العلوم الدينية الباطنية بوصفه انحرافا واستمدادا من القوى الطبيعية ومن القوى العقلي للشيخ . كما أننا لا نغفل أن كلمة «تصوف» هي نفسها فضفاضة... بحيث تمت نسبتها في مختلف الكتب القديمة إلى السحرة والمتصلين بالباطن على حد سواء . وشتان بين الاثنين ، ولكن هذا كما سيلاحظ القاريء ، مستوى آخر من مستويات التقييم يتم انطلاقا من الدين وأصوله . وهنا يجب أن يكون موقفنا واضحا تمام الوضوح . فدفاعنا عن «وجود الكرامات» وإثباتنا لأنطولوجيتها لا يعني مطلقا أننا ندافع عن التصوف بحذافيره وأننا نصدّ ضربات المهاجمين عن الغثّ والسمين ،

---

(1) أسسه ألفونسوايْثيدو الاسباني ، بعد عودته من الشرق حيث تشبع بأساليب العلاج الشرقية وطرق اليوجا والتنويم المغناطيسي .

والصالح والطالح فيه . فالكرامات ليست وقفا على المتصوف المسلم ، بل نجدها عند اليوجيين والسحرة في مختلف أنحاء العالم ؛ هذا رغم الاختلاف المذهبي القائم بين من يمتلكونها .

نعود إلى موقف الدراسة التحليلنفسية للتصوف ، والتي قام بها الدكتور علي زيغون ...إنها لا تنسب للأدعية الأوراد أي تأثير آخر سوى الإيحاء الذاتي ، وهذا اختزال ... كما تم فيها نفي وجود الكرامات بصفة قاطعة باعتبارها «عقدة حسد النبوة» ، وعن النزوع إلى «الأنانية» و «اجتناب الألوهية» ،... وهذا موقف غريب ، لأن نفس الباحث يعترف في كتاب آخر عنوانه «مذاهب علم النفس» ، بصدد حديثه عن «النفوس الشريرة» وما يروج عنها في الأوساط الشعبية من أفكار ، يعترف بأن هناك ظواهر اكتشفها العلم الحديث تثبت بعض ما يروى عن قوى النفوس ، مثل التّليباتي (التخاطر) ، والتليبسيشي**Télépsychie** ... وغيرها من الظواهر الجانبية . فلماذا لا يستغل هذا الباحث تلك الظواهر التي يعترف بأن العلم قد كشف عنها ، في تحليله لكرامات المتصوفة وكشفهم وإلهامهم ؟ فلو تصفحنا كتاب«الرسالة القشيرية»في التصوف ، وقرأنا في «باب الكرامات»ما ورد عن المتصوفة من ظواهر جانبية لوجدنا فيها ظواهر تخاطرية ، وظواهر سيكوكينِيزْيا (التأثير النفسي على المادة) ، وعلاج جانبي ، وتنويم مغناطيسي ، وباختصار : ظواهر نجد لها مثيلات في الدوائر والأوساط الروحية الغربية ، إلى يومنا هذا ، ونجد إنتاجا لها في مختبرات الباراسيكولوجيا في الاتحاد السوفياتي التي تَعُج بالوسطاء **Médiums** ذوي القدرات غير العادية .
ولو قرأنا الباب السادس من مقدمة ابن خلدون وهو يتناول السحر والشعوذة والطلاسم والروحانيات ، وقدرات ومواهب النفوس لوجدنا أن هذه الظواهر «ممكنة» بالرجوع إلى نتائج البحوث في علم النفس الجانبي . هل تعرفون ماذا يجري اليوم في جامعتنا عندما يتعلق الأمر باتّخاذ موقف من خطابات كهذه ..؟ إن الأساتذة يسخرون أو يهزون أكتافهم إرجاء للمسألة . وأغلبهم يحكمون بكل وثوقية ، بأن هذه محض خرافات وأوهام وأحلام يقظة . وعندما يتحدثون عن الغزالي ويصل بهم الحديث إلى الكرامات ومشروعيتها الدينية ، نجدهم حائرين في اتخاذ موقف مما لا يعلمون عنه شيئا . ولكن أغلبهم يفضلون «الخروج من باب واسع» ، ويحكمون بأن الكرامات مجرد ادعاء ، وأن المعرفة الحدسية مجرد أوهام ضد العقل والعلم . ويكون هذا حكمهم بالنسبة للأنساق الفلسفية الحدسية التي يَصِمونها باللاعقلانية دون أن يدخلوا في أي تحليل جادّ ومنصف . ولا غَرْوَ فالناس أعداء ما جهلوا كما يقول المثل . وكل شخص لا يستطيع أن يعطيك إلا ما عنده . فلو اطلع هؤلاء على ما يقوم العلماء اليوم من بحوث في هذا الميدان الجانبي لوقعوا في فتنة نظرية أكثر من التي هم فيها . وليس بعيدا أن نجد فيهم من «يَسْمعُ بدراسات كهذه» ولكنه لا يربط بينها وبين موقفه من مسائل في التراث والثقافة الشعبية والفلسفة ، وهو موقف يغفل اعتبارات وحيْثيات كفيلة بتصحيحه من الأساس .

إن محاولة مقاربة التصوف بالتحليل النفسي ، التي تحدثنا عنها سالفا ، تغفل معطيات الباراسيكولوجيا ، والسوفرولوجيا . ولو أدخلتها في الاعتبار لصححت موقفها إزاء الكثير من مسائل التصوف وقضاياه . وأكثر من ذلك فبأي أسلوب من أساليب التحليل النفسي تأختذ؟ إنها تجتريء بالتحليل النفسي في شكله الفرويدي ، وتغفل انشقاقاته وتطويراته . وعلى سبيل المثال فإنها تغض الطرف عن أسلوب كارْلْ غوسْتافْ يونْغْ **Jung** ، التحليلي ، الذي تجاوز الأسلوب الفرويدي بصدد القوى الباطنية للإنسان . أو لم يتحدث يونغ في الكثير من مؤلفاته المرموقة عو اللاشعور الجمعي ، والأديان والطقوس ، والفكر الصوفي والسحري؟ أو لم يتحدث عن السيمياء على سبيل المثال؟ فلماذا تغفل الدراسة السالفة الذكر ، كل هذه المعطيات ، علما بأنها تضع كعنوان لها : ((التحليل النفسي والانثروبولوجي للذات العربية)) ؟ أجل ، لو تم أخذ معطيات الأبحاث اليونْغِية بعين الاعتبار ، لغيرت دراسات الدكتور زيعور اتجاهها ، ولتسربت البلبلة إلى كثير من مسلماتها ..

إن هذا موقف خارجي من ظاهرة التصوف ، ليس له سوى مشروعية جزئية ، شريطة أن يأخذ بعين الاعتبار الدراسات التي تنجز حول الظواهر الجانبية ، من أجل تقييم صحيح للكرامات ، والتصريفات . وهذه الأخيرة تعني : ((إمكانية تغيير ما في الطبيعة من قوة تمكن منها الإنسان واستعملها ، وذلك باستعمال أسماء الله الحسنى أو أسماء الملائكة أو الجن أو قوى الحروف . [(1)] كما يجب أن يأخذ هذا الموقف بعين الاعتبار الدراسات السّوفْرولوجية التي تتناول مستويات الوعي بما فيها من نوم ويقظة ، وغشية مغناطيسية ، وبما في ذلك حالات التأمل والتركيز والاستبصار والأمراض العقلية ، والكشف الصوفي وحالات الغيبوبة والسكر والحالات الناتجة عن تناول المخدرات...لا شك أن هذه أداة مهمة لا تسامح في إغفالها ، لأنها أقرب إلى طبيعة تفهم التصوف ، وطريقة التفكير فيه . كما أنها تؤدي إلى فهم أعمق للعلاقة بين سلوك المتصوف ، ووراؤه واستبصاراته الباطنية . فيتم قبول الباحث في حالة استعماله لهذه الأداة القيمة ، لكثير من معطيات التصوف التي يكون قد رفضها حين استعانته بأداة أو منهج آخر كالتحليل النفسي أو المادية التاريخية...وإذا فيجب تلافي النزعة الأحادية في التفسير والتنظير . ويلزم أن يقوم نوع من التضافر بين المناهج...أما الآن فنحن في فتنة نظرية . فالصراع قاءم بين الموقف الداخلي من ظاهرة إنسانية ما ، وبين الموقف الخارجي الاختزالي . وهو صراع نجد له جذوراً- على حد تعبير الأستاذ عبد الصمد الديالمي في مسألة الفِينومِين (الشيء كظاهرة) ، عند كانظ)) .
فالنوم لا يمكن معرفته بالحواس لأنه ليس خارجيا بل داخلي متجاوز لحدودها وإمكانياتها كما يكون التصوف مثلا ، متجاوزا لإمكانيات البحث الموضوعي الخارجي...
لماذا يكون التصوف متجاوزا لإمكانيات البحث من خارج؟ الجواب بسيط...لأنه بكيفية أو بأخرى ، مستوى من مستويات الوعي . لا شك أنك في ميدان كرة القدم تستطيع أن تكون

---

(1)هذا هوالمعنى المعطى لها في كتاب ((الإنسان والعقل)) .

لاعبا في (الداخل) ، ومتفرجا (في الخارج) على حد سواء . بمعنى أنه يمكنك إنتاج خطاب داخلي وخارجي حول اللعب . وأكثر من ذلك فإن للبحث الخارجي في هذا الميدان حظوظا وافرة للاقتراب من «حقيقة» كرة القدم ؛ ولو أن الباحث لا يكتمل إلا بإضافة خطاب اللاعب إلى خطاب المتفرج...ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للتصوف . فغاية ما يمكنك رَصْدَهُ وملاحظته من خارج : التنظيمات والطقوس ، وظواهر الجذبة ، والشطحات ، ووظيفة الزاوية سياسيا واجتماعيا . وتضيف إلى ذلك«ما يكتب عن التصوف» في الكتب المختلفة ، القديمة والحديثة .(وقد أشرنا إلى أن فيها خلطا بين التصوف وما عداه) ... وهنا لابد أن يفوتك شيء مهم لا يمكنك مقاربته...فلا يمكنك التحقيق ولا الحسم في التصوف كحالة وعي .لماذا؟ لأن حالات الوعي لا يمكن الحسم في شأنها«من خارج» بل يجب الدخول فيها ليتم فهمها كاملا . فما عسى أن يكون موقفك مما لم يسبق لك أن عشته أو غُصْتَ فيه من **Meskaline** . أنهم يحسون بمرور الزمن بصفة بطيئة وأنهم يفقدون التمييز بين الذات والعالم الخارجي . فماذا يمكنك أن تقول عن مصداقية هذه الإحساسات . هل تقبلها أم ترفضها كباحث ذي منظور خارجي؟ إنه لا يحق لك أن تفنّد هذه الملاحظات التي سجلها من قاموا بالتجربة . ولا يشفع لك في ذلك اختلافهم حول عنصر من عناصر الملاحظة الاستنباطية أو عدم إيرادهم لكل العناصر في تقاريرهم ، فكيف يجوز لك الرفض إذا اتفقوا حول نوعية رؤاهم وحدوسهم وإحساساتهم . فهل من وسيلة أخرى لتحقق أنت كباحث ، في شأن هذه الأمور الذاتية؟

لا نعني بهذا أن على الباحثين في موضوع التصوف أن يكونوا كلهم متصوفة دون استثناء ..فنحن نؤمن بأن البحث الخارجي بإمكانه أن يعطي بعض الثمار . وإنما يجب حصر مشروعيته في مجالات محددة ، حيث يمكنه البتّ في ما يتعلق بالرؤى والإحساسات الذاتية . وقُصاراه في ذلك أن يقارن بين الملاحظات الاستنباطية لمن انغمسوا في التجربة مباشرة ، فيستنتج شيئا من الاختلاف أو الاتفاق بينهم . هذه هي حدوده . أما أن ينكر صحة الرؤى والإحساسات التي تتم في مستوى من مستويات الوعي دون حجة ذات وزن ، ودون المرور بالتجربة ، فهو أمر فيه جناية وتعسف كبير... وبخصوص إثبات معطيات تجربة هذا المستوى من الوعي ، فإننا إذا اعتمدنا على الملاحظة الخارجية واستعنّا بالمقارنة بين التقارير الشخصية عنها (أي التجربة) ، فيمكننا إثبات تلك المعطيات بصفة ترجيحية . إذ أنه لا يوجد إلا احتمال ضعيف لأن يتم الاتفاق بين مضامين هذه التقارير الذاتية بالصدفة وحدها ، وبالخصوص إذا كانت متعددة بما فيه الكفاية...

نعود إلى العلاقة بين الباراسيكولوجيا والتصوف . قد يقول قائل : مادامت ضد الاختزال الذي تقوم به الدراسة الخارجية كالاختزال الذي يمارسه التحليل النفسي والمادية التاريخية والنظريات المغناطيسية على التصوف ، فَلِمَ لا تأخذ على الباراسيكولوجا نفس الخطأ؟ أو بمعنى آخر ألا تكون دراسة الباراسيكولوجيا للتصوف هي نفسها اختزالية بحيث أنها لا ترى

فيه إلا ما هو غير عادي من ظواهر الوعي ، أو ظواهر يتم فيها التفاعل بين المادة والوعي بصفة جانبية[الظواهر الفيزيقية الجانبية مثلا] ، وتهمل الهيكل النظري والوجود الاجتماعي للتصوف ، كما تهمل موقع التصوف في تاريخ الأفكار ، وسيرورته التاريخية وأشكاله النظرية والاجتماعية التي تختلف بحسب الزمان والمكان ومزاج الأشخاص؟

وأكثر من ذلك ، ألا تقع الباراسيكولوجيا في الخطأ الآتي«اختزال النبوة في الوساطة الروحية **Médiumnité** » ، مع أن التمييز بينهما قائم بالاعتماد على مقاييس أخرى ؟

إن إجابتنا على هذه التساؤلات تتطلب مرة أخرى ، التمييز بين مستوى التحقيق والتجريب من جهة ومستوى التفسير والتنظير من جهة أخرى . فالمستوى الأول يبعد عن كونه اختزاليا لأنه لا يتناول إلا أنطولوجية الظواهر الجانبية ، سواء كانت متعلقة بالتصوف أي في شكل كرامات أو تصريفات ، أو متعلقة به كظواهر المختبر الجانبية ، مع العلم أن هذه الأخيرة يمكن التحقيق في شأنها بصفة مباشرة . أما الأولى فيمكن التحقيق في شأنها عبر مستوى الثاني : مستوى البحث عن نظائر في التراث والثقافة الشعبية والفلسفة وهو مستوى يتجاوز الباراسيكولوجيا بكثير . وإذا كنا نقترح في هذا الكتاب أن يقوم البحث فيه علة معطياتها ، فذلك من باب التمهيد المؤقت الصلاحية ، والذي سوف ينسخه مستوى آخر ثالث...إن الباراسيكولوجيا تبدو أمام ظاهرة التصوف لا اختزالية كما قد يعتقد المعترضون ، لأنها لا تدعي لنفسها الصلاحية التامة على طول الخط ، لتناول كل عناصر التصوف وتفسيرها ، وإنما تبدو ، بحق غير كافية . ويجب أن تتضافر مع أدوات أخرى كالسوفرولوجيا واللاهوت والفلسفة وعلم النفس وخطاب التصوف حول ذاته ، فتصبح كل أداة مثالب ونقائص الأداة الأخرى...

إن الباراسيكولوجيا قابلة لأن تصحح هي الأخرى من طرف جهويات مختلفة بنفس الدرجة التي صححت بها المواقف المنبثقة عن العلوم الإنسانية ، والمناهج الأحادية أو الاختزالية الضيقة التي تغفل ما هو«جانبي» في الإنسان والطبيعة .

والباراسيكولوجيا على وعي بحدودها . فهدفها الأولى هو إثبات أو نفي ما يدور الجدل الفارغ حول وجوده أو عدم وجوده كالكرامات الصوفية والأحلام التنبؤية والتخاطر . أما تفسير ذلك والتنظير له فهو مجال لاحتمالات وترجيحات ، ولو أن ثماره يمكن أن تكون قيمة لأنه مستوى يحرج بتوصيات وتقارير يتم استخلاصها من مجموعة من الملاحظات والتجارب والنصوص . وهذه التقارير تبين الطريق إلى إعادة إنتاج الظواهر الجانبية أو استعمالها في الحياة اليومية استعمالا نفعيا . لاحظ الباحث الباراسيكولوجي بعد دراسته لمجموعة من الحالات الجانبية أن إنتاج ظاهرة ما يقترن بمستوى من مستويات الوعي كالتأمل أو التركيز ، وثبت لديه أنه السبب في إنتاج تلك الظاهرة . فهنا يكون قد كشف علاقة علية حتمية ، كشف عن شيء خفي...و«لا علم إلا بما هو خفي» كما يقول غاستون باشلا . وهكذا يخرج بتوصية مضمونها أن الدخول الإرادي إلى ذلك المستوى من الوعي ، من شأنه أن يولد الظاهرة المدروسة . ونكون هنا ، على الأقل ، أمام مستوى أمبريقي سيتم الانطلاق منه نحو إبراز العناصر الفعالة والعلاقة بينها وبين نتائجها...أي الانطلاق نحو القوانين ، والنظريات...!

الفـصـل الثانـي :

من الظواهر النفسية الجانبية إلى الأنساق النظرية المؤطرة

قبل الدخول إلى المستوى الثالث وهو مستوى البحث بقوى العقل ، يجب أن نستنفد إمكانيات مستوى الوعي العادي الذي يمتلكه الباحث الوضعي . فما زال بإمكاننا أن نستنتج أشياء كثيرة من معطيات الباراسيكولوجيا بصدد البحث في المذاهب الفلسفية والأديان . لكن هذه مسألة لم يحن بعد التطرق إليها ، فلقد توقفنا عند إثبات وجود قوى باطنية ، وعند المطالبة بتصحيح مواقفنا العلمية والفلسفية التي لم تعمل على إدخال هذه القوى في حسابها ، ولكن هناك مسألة جوهرية في هذا الصدد . فقد يلاحظ القارىء أننا كلما تحدثنا عن القوى الباطنية أو ما نسميه الظواهر النفسية الجانبية ، كلما حدا بنا الأمر إلى طرح مواضيع كالتصوف والدين والسحر واليوجا . فما علاقة هذه الميادين بالقوى الخفية للإنسان؟

إن هذه المواضيع هي سياقات ترد فيها الظواهر النفسية الجانبية . وهي أيضا بناءات نظرية تؤطر هذه الظواهر ، وتتبناها جزئيا أو كليا . فهي ترد في التصوف بوصفها كرامات أو تصريفات ، وتأتي في الخطاب الديني بوجه عام ، على شكل معجزات أو كرامات أو قوى باطنية أو تصريفات أو سحر . وفي السحر يتحدث عن التأثير النفسي على المشاهدين ، أو التأثير على قوى الأجسام لعقد المحبة بين الناس أو زرع الكراهية بينهم . كما نَجِدُ في اليوجا حديثا عن الطاقة التي تسمى بالمونداليني **Koundalini**. وهي تتركز في قرار العمود الفقري، ويسعى اليوجي عبر ممارسة لتمارين جسدية وعقلية شاقة ، إلى استثارتها والتحكم فيها . فيكتسب قوى منها ما هو عقلي أو نفسي صرف ، يتجلى في التخاطر والاستبصار والقدرة الفائقة على التنويم الوقتي السريع . ومنها ما يتعلق بالتأثير على المادة ، كالقوى المتجلية في السّيكوكِينِزْيا (تحريك الجماد بقوة الفكر وحده)، والجلب والأخذ الروحيين (استحضار أشياء مادية من بعيد ، وإرسال أشياء حاضرة إلى مكان آخر دون وساطة مادية معهودة). ولكن اليوجي لا يعير هذه الظواهر كبيرَ اهتمام . فهي عارضة تأتي في الطريق علامة على التقدم . والأهم منها والدافع الأساسي إلى ممارسة اليوجا هو التقدم الروحي ، أو الترقية الروحية و«والخلاص الروحي» أو«الاتحاد مع الألوهية أو مع الطبيعة» ، وما إلى ذلك من أهداف سامية . ويقال نفس الشيء تقريبا بالنسبة لموقف التصوف من الكرامات . فهي ليست هدفا رئيسيا عند المتصوفة ولكنها تأتي في الطريق . وهناك على الدوام حكمة وراء ظهورها عند السالك . وقد فصَّل المتصوف المغربي ابن عجيبة الحسني في كتابه : «لإيقاظ الهمم في شرح الحكم» ، فصل الحديث عن أسباب ظهور الكرامات . فقد تكون ابتلاء للسالك أو تثبيتا ليقينه ،

ليقينه ، أو استدراجا أو فتنة . وفي كل الأحوال يجب ألا تقف همته مع الكرامة . وقد أورد المؤلف حوارا بين شيخ ومريده حيث قال هذا الأخير لشيخه ما معناه : ((إني أتوضأ فأجد الماء يتساقط بين يدي قضبان ذهب وفضة)) ، فأجابه الشيخ على الفور : ((أم علمت أن الصبي إذا بكي أعطي خشخاشة يتلهى بها)) . والمقصود بهذا أنه يجب عدم التوقف عند الكرامة أو الاعتزاز بها .

ليكن واضحا هنا ، أننا نأخذ بعين الاعتبار مستوى بحثنا ، وأدواتنا المستعملة . فلحد الآن ما زلنا نستعمل كلمة ((تصوف)) بمعناها المعهود دون إدخال تمييزات وتخصيصات كما سيأتي فيما بعد . ولا زلنا نعتبر الكرامات شيئا إيجابيا دون أن نميزها عن القوى الباطنية التي يعترف المتصلون بالباطن طبقا للطريقة الدينية بشرعيتها ، في حين يحكمون بانحراف أهل الكرامات . هذا التمييز ديني صرف ، وقائم على أحكام دينية ؛ وسوف نتطرق إليه في مستوى لاحق . أما الآن فلا زلنا نبحث بمستوى الوعي العادي المشترك لدى الباحثين الوضعيين . وعلينا ألا نحتج بالأحكام الدينية حتى لا نتهم بأننا نقفز بسرعة إلى الميتافيزيقا ، أو أننا نتعاطف مع الدين منذ البداية .

إنما يحق لنا أن نتساءل عن العامل المشترك الذي يعمل في الدين والتصوف والسحر و اليوجا ، على استثارة القوى الباطنية للإنسان...إن البحث في هذا الأمر يصل بنا إلى اكتشاف أشياء مشتركة بين المنتمين لهذه الحقول السالفة الذكر ، وهي كالآتي :

*الإيمان بحقيقة متافيزيقية فوق الطبيعة .
*الإيمان بوجود آخر للإنسان يعلو على الجسد .
*الإيمان بوجود قوى غير منظورة في الإنسان والطبيعة .
*امتلاك وعي إيجابي يخلق الاطمئنان والإحساس بالهدف لدى الممارس .
*كثرة التأمل والتركيز على ما هو متعال**Transcendental** وما هو باطني جوّانّي . أو الامتداد نحو الداخل على حد تعبير الباحث الأنجليزي **Colin Wilson** .

ويخرج كثير من الباحثين في هذا الموضوع بالنتيجة الآتية : أن العامل الأساسي الذي يقف وراء ظهور القوى الباطنية ، هو، فقط ، الاعتقاد القوي بوجودها وبإمكانية استثارتها . إن هذا الموقف يمكن استشفافه بعد قراءة متمعّنة لكتاب كولن ويلسون الذي يحمل عنوان **The occult** ، والمترجم إلى العربية تحت عنوان ((الإنسان وقواه الخفية)) . لقد ربط هذا الباحث بين النظريات الصوفية والدينية والأدبية والفنية ، وبين نظريات التطور البيولوجي والفلسفة الحيوية وعلم النفي الفينومينولوجيّ (الظواهريّ) . وهو يعتقد أننا الآن في مرحلة من التطور الإنساني يجب أن نعمل فيها على غرس ما يسميه بالمَلَكَةِ ((س)) أو الحاسة التي تمكن البشر من الوصول إلة ما وراء الحاضر . لقد خرج القرار بعد دراسته للقوى الباطنية من خلال

الواقع المباشر ، والأعمال الأدبية والفنية ، ومن خلال النظريات الدينية والصوفية والسحرية ، كما أنه تناول بالدراسة تاريخ السحر وجعله متمحورا حول الأشخاص الذين امتازوا بالقوى الباطنية بمختلف أنواعها وتجلياتها ، وحول المذاهب الدينية والصوفية والفلسفية والسحرية والفنية التي اعتنقها هؤلاء الأشخاص . أما مستوى التنظير فإن **Colin Wilson.** يخرج بالقرار التالي ، حيث يقول : «لقد تقدم التطور الإنساني بسرعة بالغة وأصبحت عملياته أكثر تعقيدا بكثير مما يحتاجه صالحه الخاص . ولكن هذه العمليات يمكن أن تبسط . ويستطيع الوعي أن يتحول إلى الداخل ، إلى فهم العمليات الحيوية والدوافع الكامنة وراء التطور . إن عدو الحياة الرئيسي ليس هو الموت ، وإنما النسيان ، الغباء ، إننا نفقد اتجاهنا بسهولة كاملة وهذه هي العقوبة العظمى ، الجزاء الأكبر الذي كان على الحياة أن تدفعه مقابل نزولها إلى عالم المادة : نوع من فقدان الذاكرة» .

«إلا أن الخطوة التالية من مناقشتنا هذه هي الخطوة الحاسمة . فالكون مليء بكل أنواع الطاقات . فالمادة طاقة ، أكثر أنواع الطاقة قدرة على المقاومة وأشدها صلابة وقوة . وإذا كانت الحياة قد حققت درجة من غزو المادة ، أليس من السخف والعبث أن نفترض أنها لم تنجح بأشكال من الطاقة أكثر طواعية ومرونة؟

ها نحن نعود إلى فكرة دافيد فوستير عن «الكون الذكي» . ولكن ليس من الضروري الآن أن نسأل من الذي يقوم بصنع الرموز وتسجيلها؟ إننا نعرف الإجابة . إنها قوة الحياة نفسها التي كانت تقود حملتها من اجل استعمال المادة منذ بليون من السنين . ويبرز كل هذا بشكل منطقي من الاعتراف بأن الحياة ليست«تَجَلِيّاً» من تجليات المادة وإنما هي قوة مناقضة للمادة .» (1)

نستنتج مما يكتبه كولن ويلسون أن القوة الباطنية ما هي إلا تجل وتمظهر للسيطرة التدريجية التي تمارسها الحياة على المادة . ومفهوم الحياة هنا يشمل ما نسميه «الروح» و«العقل» و«النفس» . فالحياة نفسها«ذكية» و«حكيمة» تعرف كيف تغزو المادة المناقضة لها . وكيف تتخللها عبر سيرورة التطور .

إن هذا الباحث لا يقوم بتمييز دقيق بين«الروح» و«العقل» و«النفس» و«الحياة» كما يفعل اللاهوتيون والباطنيون وبعض الفلاسفة ، مع أن الفرق قائم بينها ، على الأقل كمفاهيم نظرية . وبصدد حديثه عن «الهدف الإيجابي الذي يستطيع الإنسان أن يندفع نحوه إلى الأمام بدلا من أن يُدْفَعَ من الخلف» ، يأخذ على الدين- رغم اعترافه بأنه كان على الدوام تعبيرا عن هذا الهدف- أنه كان راضيا عن التناقض التالي : «إنكار العالم» بشكل ما ، من جانب «الروح» دون محاولة لفهم السبب في ضرورة هذا . (2)

---

(1)«الإنسان وقواه الخفية» . ترجمة سامي خشبة صفحة 428 . الطبعة الثالثة ؟بيروت 1980 .
(2))«الإنسان وقواه الخفية» ص 429 .

وهو ينادي في مؤلف آخر بإيجاد دين عالمي من طرف نخبة واعية تفهم أصوله ومبادئه على حقيقتها ، ، في حين يجب أن يكون محلّى بالسكر بالنسبة للعامة . والظاهر أنه يقصد أن يكون مطعما بالأساطير حتى تقبله العقول الضيقة...وتنسجم هذه الدعوة مع الوعي الإيجابي الذي يهيب بنا الباحث إلى تحقيقه عن طريق الدين حتى نستثير طاقاتنا الخبيئة ، ونرفع من سرعة الذبذبة في كياننا ، ومن مستوى «الوعي» ، حيث نضع أيدينا فوق «المعنى» . ويشير الباحث أكثر من مرة إلى ضرورة فهمنا لطرق عمل الوعي : «...فإذا ما تحقق فهمها لَأَمْكَنَ توجيهها نحو تقبل المزيد من الحقيقة . وتتطلب هذه العملية التركيز والدقة وهما الفضيلتان المميزتان لصانع الساعات الماهر.» (1)

ولا يتسع المجال هنا لنقد موقف كولن ويلسون من قوى الإنسان الخفية وأبعادها الدينية والفلسفية ، وهو موقف ينبثق عن مشروعه الفلسفي الذي يطلق عليه مؤقتا«الوجودية الجديدة» . غير أننا نود الإشارة إلى ملاحظة مهمة وهي : أن البحث في القوى الباطنية يقود كولن ويلسون إلى التشديد على مستوى الوعي الذي يولدها . فمستوى الوعي هذا ، في تقدير باحثنا يتجاوز مجرد اكتساب قوى باطنية واستغلالها في غمرة الصراع من أجل الحياة . إنه بكلمة واحدة ، الهدف الأسمى للوجود الإنساني .
ولا يقود البحث هذا المفكر إلى الرضا عن أي دين في شكله الأورْثوذوكْسي أو الكلاسيكي . أو لم نُشر إلى ما يأخذه على الدين من نقص في هذا الميدان...؟ لكننا نعتقد أنه على صواب عندما يربط بين الظواهر الجانبية ومستوى الوعي . وهو ليس أول من يكتشف ذلك . فلا شك أن تغيير السلوك بشكل ما يعتبر ضروريا لاستثارة الظواهر الجانبية ، وهذا التغيير يمكن أن ينصب عاى السلوك الجسمي بقدر ما يمكنه أن ينصب على السلوك العقلي أو طريقة التفكير... إن المتصوفة يشيرون إلى أن «العيوب حجاب الغيوب» ، وأن تحسين السلوك يعتبر شرطا لانكشاف الحقيقة أمام السالك . والكثير من مصطلحاتهم كالصحو والسكر وما إلى ذلك من أحوال إنما يتعلق بالوعي ومستوياته . ويكفي القول في هذا بأن التصوف مقامات وأحوال . كما أن الهنود والبوذيين يفصلون القول في الطرق التي يتم بها تغيير مستوى الوعي من أجل ظهور القوى الخفية . وتشمل هذه الطرق تطبيقات مختلفة كالتأمل ، والتركيز ، والذكر ، والدعاء ، والتنويم الذاتي والاسترخاء والتنفس العميق والاتصال الجنسي والحركات والأوضاع الجسمية المدروسة ، والتغدي بأشياء خاصة . والحقيقة أن الغربيين استفادوا من النصوص القديمة لليوغا والتّانْتْرا والطاوية والبوذية وكل أنواع التصوف ، وذلك في سبيل صياغة أساليب إكلينيكية وعلاجية كالسوفرولوجيا ، والعلاج الديني ، والعلاج بالتأمل ، والدعاء(2) ، والاسترخاء الذاتي . وقد تم الالتجاء إليها بالاستعانة بالأبحاث الباراسيكولوجية التي تدرس العلاقة بين سيرورات الوعي والبنى والوظائف العضوية . إن هذه الأساليب بإمكانها التأثير عن طريق تغييرها لمستوى الوعي . وفي التصوف نجد نفس المبدأ حيث يؤدي الذكر المتواصل والمراقبة والاستقامة والتركيز

---

(1) «الإنسان وقواه الخفية» ص431 .
(2) راجع مثلا Joseph Murphy la prière guérit Ed Dangles

«على الذات الإلهية» إلى الدخول في «أحوال» و «مقامات» وبالتالي إلى انطلاق القوى الباطنية من عقالها ، وإلى حدوث الكشف.. الذي هو في الحقيقة مستوى للوعي تظهر فيه الأمور مغايرة لما يراها عليه الإنسان العادي ، مما يتيح للسالك أن يرى ويعرف الكثير مما يخفى عن غيره . ومن هنا كانت لعملية تغيير مستوى الوعي قيمة معرفية أيضا . ويمكن أن نطلق على المعرفة المحصلة عن طريق هذا التغيير «المعرفة الجانبية» . وتصنف على المستوى الفلسفي بأنها حدسية أو باطنية .

هذه المعرفة الجانبية ، هي في الواقع واجهة من واجهات القوة الباطنية ، لأنها ، بكل بساطة ، لا تعتمد في قيامها وانبنائها على الوسائل المعرفية العادية(العقل والحواس)، ولكنها في نفس الوقت مشروعة حينما يتم التحقق من صحتها بالعقل في مستواه العادي : أي العقل الديكاتي بمعنى آخر .

إن المعرفة الجانبية تعتبر معرفة كامنة حسب الدين والمذاهب الغنوصية والصوفية . فهي ليست حكرا على إنسان دون آخر ، وكل من طبق شروط البلوغ إليها يحتمل إلى حد كبير أن يصل . ولكن التفاوت والتفاضل من شأن أية قوة أو معرفة . «فالله يعطي العبد بقدر همته» كما يردد المتصوفة...وفي رأيهم أن الله يرزق من يشاء بغير حساب . فقد يرزقه «العلم اللدني» (1) دون شرط توفير الأسباب اللازمة . فها نحن أمام مسألة توقيف للعقل لأن الله يعلم ونحن لا نعلم في عطائه أو منعه . وهنا نجد أنفسنا على عتبة الدخول إلى ميدان يتجاوز الأسباب . أو بعبارة أخرى : يتجاوز العلم المادي . ولكن لنقل أن هذا هو رأي المتصوفة والمتدين لا رأي الباحث الوضعي الذي يجوز له ألا يتبنى هذه الأحكام مادام في المستوى الثاني من البحث .

إن المعرفة الجانبية ، كما أسلفنا ، هي كل معرفة يتم تحصيلها بوسائل غير عادية ، ومضمون الأحلام الجانبية ، كما أسلفنا ، هي كل معرفة يتم تحصيلها بوسائل غير عادية ومضمون الأحلام التنبؤية يدخل في إطار هذه المعرفة . وهنا يتعلق الأمر بومضات تتم فيها معرفة أحداث مفصلة قبل وقوعها . ويقال نفس الشيء بالنسبة لومضات التخاطر **Télépatie** لكن المعرفة الجانبية قد تتجاوز ذلك بكثير فيتعلق الأمر بإنتاج نصوص . وهذا شيء يعرفه الجميع ، «فالكتب المنزلة» تعتبر من هذا القبيل(2)، وكذلك أنتاج كثير من المتصوفة مثل «الفتوحات المكية» لابن عربي ، فهو يقول إنها ألهمت إليه إلهاما ، وكثير من القصائد الصوفية وأدعيتهم وأذكارهم الملهمة باطنيا .

ولكن قد يشك الباحث في كون هذه النصوص والخطابات جانبية بالفعل . وهو في ذلك معذور فما المانع من نفي صبغة الإعجاز والجانبية عن هذه الإنتاجات؟ ولماذا لا تنسب إلى أصحابها؟

لن نرد على هذا الاعتراض المحتمل ، بإبراز الإعجاز العلمي أو البياني أو العقلي لهذه

---

(1) إن المتصلين بالباطن بالطريقة الدينية ينفون وجود علم لدني من عند الله مباشرة ، فأي علم يكتسب بالكشف إنما هو مما علم الله الأنبياء ويؤخذ بواسطة شخص مجهول يعرفه كل المتصلين بالباطن وقد يسمى بالمهدي أو الخضر.

(2) يجب ألا يفهم من هذا أننا نضع في نفس المنزلة ، الكتب المقدسة والانتاجات الجانبية للوسطاء فمن شأن تقييم كهذا أن يدفعنا إلى اختزال النبوة في الوساطة الروحية . هذا التصنيف أول ومؤقت .

الخطابات ، لأن ذلك سيثير الشبهات حول تبريرنا . بل سنلجأ إلى الباراسيكولوجيا مرة أخرى لنبرز أن المشكلة قائمة بالفعل...وأن في عصرنا الحالي وسطاء أمليت عليهم أعمال فنية وأدبية رائعة يستحيل أن يكونوا هم مؤلفيها . والعلماء يشهدون أن أشخاصا معينين حينما يكونون تحت وطأة التنويم المغناطيسي يتحدثون عن أشياء غريبة يستحيل أن يكون مصدرها هو لا شعورهم ، لأنها تتجاوز بكثير ، كل ما في مستودعهم من خبرات ومعلومات...

هذه معرفة جانبية..ولإعطاء مثل لها ، نورد حالة السيدة بديعة حرم الدكتور سلامة سعد الطبيب النفساني في مصر ، والتي ما انفكت تملى عليها منذ سنة **1949** قصائد تنسب إلى «روح أمير الشعراء أحمد شوقي» . ومن الأعمال الأدبية التي أمليت عليها رواية شعرية تحت عنوان «عروس فرعون» تقع حوالي الألف ومائتي بيت من الشعر ، وقصيدة مطولة تبلغ مائتي بيت ، وعنوانها«هذا نداء الخلد يهتف عاليا» ، بالإضافة إلى قصائد تناولت أحداثا وقعت بعد موت الشاعر أحمد شوقي وقصائد أدبية تناولت مختلف المناسبات الاجتماعية والدينية والسياسية والوطنية...

والسيدة التي أمليت عليها هذه الأعمال الأدبية عن طريق الإلهام ،«لا تتمتع بثقافة علمية عالية ، وإذ أنها بالكاد ، بلغت المرحلة التكميلية التي لا يمكن معها الإلمام بأصول الشعر وأوزانه وقوافيه ولا باللغة التي صيغ فيها هذا الشعر وهي على ما هي عليه من عمق وصعوبة» . **(1)**

وقد أجمع أكثر من عشرين ناقدا عربيا على أن هذه الأعمال لا يمكن أن تكون إلا من إنتاج شوقي . فلا يستطيع أحد التمييز بينها وبين أعماله الأدبية الأخرى فيما يخص اللفظ والمعنى والموسيقى والأوزان والصيغ الإنشائية ورصانة القوافي وجزالة التعبير . ولمعرفة المزيد عن الموضوع ، نحيل القارىء إلى كتاب«التقمص» لأمين طليع ، فهو يبسطه في ثلاثة فصول صغيرة أولها فصل يحمل عنوان«روح أحمد شوقي في مصر» . أما قصيدة : «هذا نداء الخلدعاليا» فهي منشورة في الصفحات الأولى لكتاب «الإنسان روح لا جسد» **(2)** وهو من تأليف الدكتور رؤوف عبيد الأستاذ بكلية الحقوق عين شمس .

لقد أوردنا هذه الحالة على سبيل المثال فقط ، ونظائرها في الواقع كثيرة جدا وتعج بها مراجع الباراسيلولوجيا . ونود تنبيه القارىء إلى أننا في هذا المستوى من البحث لا نريد أن نتسرع فنستنتج من هذه الظاهرة «أن الروح خالدة»أو«أن الذي يملي تلك الأعمال الأدبية على الوسيطة هو بالفعل«روح أحمد شوقي».» إن مثل هذه الاستنتاجات هي محل خلاف بين نزعتين رئيسيتين في الباراسيكولوجيا وهما : النزعة إحيائية ، والنزعة الروحية . ولكن أيا من الاتجاهين لا ينفي أن الظاهرة جانبية ومحيرة بالفعل...إنما يقوم الخلاف على مستوى التفسير والتنظير لا على مستوى إثبات الوقائع...

---

(1) «التقمص» أمين طليع ص 140 منشورات عويدات بيروت 1980
(2) الإنسان روح لا جسد الطبعة الثالثة دار الفكر العربي القاهرة 1971

ولكن الوقائع أكثر ثباتا وصمودا من النظريات . فيا ترى إلى أي شخص يمكن أن ننسب هذه الأعمال الأدبية التي أمليت على الوسيطة الآنفة الذكر!؟ إنه لا مهرب من هذا الأمر مادامت تلك الأعمال معطاة جاهزة...وخارجة من القوة إلى الفعل ، فالوسيطة لا تتمتع بمستوى ثقافي يسوغ لنا أن ننسب إليها هذه القصائد ، وفي نفس الوقت فإنه من المغامرة أن تنسب إلى«شخص ميت لا يزال متصلا بنا من العالم الآخر» . ولهذا تدخل تلك الأعمال في «الخطابات الجانبية» التي يتم إنتاجها في مستوى فوق مستوى الوعي العادي . ومجرد التصنيف طبعا لا يحل المشكلة...! فكيف أمكن الوسيطة أن«تعرف» كل هذا الرصيد الهائل من العبارات والتراكيب والمعاني والألفاظ بالنظر إلى مستواها الثقافي...؟

ذلك ما يثبت وجود معرفة جانبية تتجاوز الإمكانيات المعهودة(1) لمن ينتجها . وهذا ما نلاحظ وجوده في الدين والتصوف حيث إنه تنتج معارف لا ينسبها الشخص إلى نفسه ، أو ينسبها إلى نفسه ولكنها تتجاوز إمكانياته العادية .

نعود إلى علاقات القوى الباطنية بالمعرفة . لاشك أن العلاقة الأولى بين الموضوعين تتمثل في وجود معرفة جانبية يتم تحصيلها بالقوى الباطنية لا بالوسائل العادية . وقد يتم تحصيلها تلقائيا لأنه ليس من الضروري إن يكون كل الوسطاء والأشخاص الذين عاشوا هذه التجربة قد توصلوا إليها بصفة قصدية وعبر تمارين معينة . فهناك أشخاص يتمتعون بالقدرة على الاستبصار ومعرفة المجهول منذ ولادتهم أو بعد حادث مثير في حياتهم ، وما على الباحث إلا إن يجرب فيسألهم عن أسراره وأموره الشخصية ، ليتأكد من ذلك . وبالتالي فإن هذا النوع من المعرفة الجانبية يمكن ضبطه والتحقيق في شأنه بالوسائل العادية لإثبات أنه صحيح وموجود . أما العلاقة الثانية بين القوى الباطنية فهي تتمثل في وجود نصوص تنظر للحقيقة الكونية تم إنتاجها بصفة جانبية حيث أن المعلومات الواردة فيها تحكمها الدقة والتناسق المنطقي والجمالية ، ولكنها «ميتافيزيقية»، تتعلق بأشياء لا يمكن حسب الإمكانيات العلمية الحالية أن نبت في شأن صحتها ومصدرها ، كأن تتعلق بالآخرة أو البرزخ أو الملائكة أو العرش والكرسي ، فغاية ما يمكننا القيام به أمام نص جانبي من هذا القبيل هو أن نقارنه بنصوص جانبية مماثلة لتتبين لنا موضع الاتفاق والاختلاف بين ما ورد فيها . لكن هذا الإجراء نفسه غير كاف . فمن الممكن أن يكون الاتفاق راجعا إلى نوع من العلاقة التخاطرية اللاشعورية ، ولو أن هذا الاحتمال ضعيف . أما الاختلاف ، أن وجد ، فهو بالفعل حجة على منتجي هذه النصوص . ولكنه ليس دليلا على أنها كلها باطلة . فما المانع من أن يكون أحدها صحيح المضمون ويكون اختلاف النصوص الأخرى معه ناتجا عن سوء فهم وتأويل لما يرى باطنيا...؟ إنما يجب أن نبحث عن ضمانات لذلك . وإذا فلا يمكن حل إشكال محتمل كهذا ، إلا باللجوء إلى المستوى الثالث من البحث ، وهو مالم نصل إليه بعد .

---

(1) نقصد الإمكانيات التي ينسبها التحليل النفسي للاشعور .

إن التصوف والدين والسحر هي أولا وقبل كل شيء رؤية معينة للعالم **Weltanschaung** ، ترتكز بشكل أو بآخر على نظرية في المعرفة . فيجب إلا نجتزىء بالقوى الباطنية كلما عزمنا على مقاربة ميدان من هذه الميادين . ونحن إنما نشدد على الواجهة المسماة ((بالقوى الباطنية)) بصدد حديثنا عن هذه الحقول ، لأنها محور بحثنا هذا...أما المهم في الدين والتصوف واليوجا فهو في الحقيقة ((الرفع من مستوى الوعي لإدراك الحقيقة والعمل بمقتضاها)). ها نحن نعود مرة أخر إلى مستوى الوعي . فهو أهم من الكرامة في التصوف ، وأهم من مجرد اكتساب القوى الباطنية عند المتصل بالباطن بالطريقة الدينية .

لكن ما يحير الباحث في هذه المرحلة من التقصي ، هو أن عملية ((الرفع من مستوى الوعي)) هي نفسها تمظهر لقوى باطنية ، حيث أن الانتقال إلى حالة عقلية عليا إنما يتم حسب العلوم الدينية الباطنية ((بالرفع من مستوى قوى العقل)) . فالمعرفة هنا نفسها قائمة على ((قوى معينة))، كلما تم تزايدها أو تغييرها أو كلما تغيرت نوعية المعرفة أو نوعية المشاهدة والاتصال الباطني(1).

ولتلافي الشبهات سنعود للانطلاق من مستويين . ونسجل هنا حقيقتين أساسيتين :
أولهما : أن الاختلاف قائم ولو جزئيا بين الأديان والمذاهب الصوفية والفلسفية ، التي تؤطر القوى الباطنية للإنسان . فعلى سبيل المثال ، نجد حديثا عن الكرامات عند اليوجيين والمسيحيين والمسلمين ، رغم الاختلاف الاعتقادي حول طبيعة الذات الإلهية والعلاقة بينها وبين الإنسان والعالم . بالإضافة إلى الاختلاف فيما يخص الحكم الديني على هذه الكرامات .

الحقيقة الثانية : إن مستوى التحقيق والتجريب ، الذي يعتمد فيه الباحث على الدراسات الباراسيكولوجية ، سيؤدي بنا الاستمرار في الخروج باستنتاجات من معطياته إلى الوقوف أمام قضايا خطيرة تمت إلى العقائد بصلة وثيقة ، كقضية التقمص (عودة الروح بعد الموت إلى الأرض في جسد آخر) والبيوت المسكونة واستحضار الأرواح والأطباق الطائرة ومثلث برمودة وألغاز الحضارات القديمة المتعلقة بالأهرام مثلا ، ومنجزات الإنسان القديم التي لا تزال وسائلنا رغم التقدم السريع ، عاجزة عن إنجاز مثيلات لها . وذلك مما نجده في مؤلفات أنيس منصور كـ ((الذين هبطوا من السماء)) و((الذين عادوا إلى السماء)). وحقا أن ما يرد في مثل هذه المؤلفات يبث البلبلة في نفس الباحث الجاد الذي يهمه التحقيق في شأن العقائد والمذاهب المتنوعة .

بأي نتيجة نخرج من الحقيقتين السالفتي الذكر؟ إننا نستنتج أن التحقيق في شأن هذه القضايا الخطيرة التي يقود إليها التوسع في البحث الباراسيكولوجي ، سيؤدي بنا إلى اتخاذ موقف صائب من العقائد والمذاهب المختلفة . ذلك أنها تقرر حقائق ميتافيزيقية وإنسانية وطبيعية ، يمكن البث فيها بالاستعانة بمعطيات البحث الباراسيكولوجي . ولكن يجب الحذر في القيام بهذا العمل ، فليس لمعطيات بحثنا أن تصحح من هيكل عقيدة ما ، إلا ما يدخل في اختصاص الباراسيكولوجيا . كما يجب الحذر من أن تكون هذه المعطيات المصححة (بكسر الحاء) احتمالية ترجيحية...

(1) راجع كتاب ((الإنسان والعقل)) للدكتور التهامي الوكيلي والأستاذ نور الدين عبد الحق .

هل يمكن أن تتحقق هذه الشروط؟ وهل هناك حقيقة علمية ليست احتمالية ترجيحية؟ أو لم يسبق أن قلنا بأن الاعتماد على نظرية علمية ما ، لتفنيد أو تدعيم مذهب أو دين ، يجب أن يتم بحذر شديد لأننا في تلك الحالة نحاول تصحيح معطيات تدعي لنفسها الإطلاق ، بمعطيات يعترف أصحابها بكونها نسبية قابلة للإضافات والتطوير والتغيير؟

مرة أخرى ، لتلافي الشبهات ، يجب أن نكتفي بدلالة الوقائع وحدها ، وندع النظريات بين قوسين . فلا شك أن الاكتفاء بالتحقيق والتجريب اللذين يرفعان الشبهة والشك عن واقعية الظواهر الجانبية يمكنه أن يقودنا إلى الطريق الواضح . فحينما نقارن ما يراه الوسطاء من أشياء خفية بواسطة الجلاء البصري ، بما نراه من خلال الآلات والأجهزة الحساسة بما نقرؤه في النصوص الدينية والصوفية والسحرية القديمة عن حقائق تتعلق بهذه الظاهرة ، فلا بد أن نخرج بنتيجة لا غبار عليها ، هي التي توصل إليها كولن ولسن في كتابه السالف الذكر ، إلا وهي : أن المزاعم الأساسية للنزعة الغيبية هي مزاعم صحيحة .

فرغم اختلاف الشكلي الموجود بين العقائد والمذاهب الروحية ، فإن الإقرار بوجود القوى الباطنية في الإنسان ، والإقرار بالمعرفة الجانبية ، وبضرورة الرفع من مستوى الوعي العادي ، هي أمور مشتركة فيما بينها . وكثير من الباحثين يخرجون بالحقيقة التالية : «أن أهم ما في الأديان والعقائد الروحية ليس سوى ما هو مشترك بينها من عناصر وأفكار» ، بحيث يكون هو الجوهر ، وتكون الأشكال الدينية والمذهبية التي تختلف بحسب الزمان والمكان ومزاج الأشخاص ، مجرد تعبيرات مختلفة عن هذا الجوهر ، قد يثور الجدل بينها حول تفاصيل ليست ذات أهمية ، مادامت لا تخل بالأساس .

غير أن الخلاف بين الأديان مثلا ، قد يشمل مسائل خطيرة لا يستهان بها كالتقمص ، وطبيعة الذات الإلهية . فهنا يلزم الباحث أن يغوص في أعماق الأديان والنظريات والمذاهب الروحية والصوفية باحثا عن الحقيقة . لأن كل مذهب أو دين له موقف معين من القوى الباطنية ومن قيمتها المعرفية . وإذا اقتضى الأمر أن ينطلق الباحث مستعينا بالقوى الباطنية نفسها ، فما المانع من ذلك؟

إلا أنه قبل الشروع في رحلة كهذه ، يجب التذكير بمعطيات المستوى الثاني من البحث . فهو يقودنا ، كما أسلفنا ، إلى الاعتراف بصحة «النزعة الروحية» ، وبوجود أمور في طياتها لا نستطيع التحقيق في شأنها انطلاقا من العلوم الوضعية . وغاية ما يمكننا انجازه في هذا المستوى هو المقارنة بين النظريات الروحية ونقدها انطلاقا من المعطيات المتينة للتحقيق التجريبي وهنا نشير إلى أن هذه الخطوة قام بها باحثون كثيرون فأسسوا ما يسمى بعلم الروح الحديث ، المعتمد على التجربة والاستدلال العقلي فحسب . وقد انضم إلى هذه الحركة مفكرون وفلاسفة يعتنقون الأديان . كما نشر بعضهم كتبا وتقارير أمليت عليهم من طرف أرواح باحثين التحقوا بالعالم الآخر ، ومن طرف فلاسفة ومفكرين اتصلوا بهم لكي يفيدوا البحث العلمي بحقائق تتعلق بالحياة في المستويات العليا للوجود . والفكرة الأساسية لهذا

التيار الهائل : أن للإنسان طبيعة روحية ، ووجودا روحيا هو الذي يقف وراء الظواهر النفسية الجانبية .(1) وتزخر مؤلفات الباحثين في هذا الموضوع وتفاصيل عن رحلة الروح بعد الموت ، في العالم الآخر ، والثواب والعقاب ، ومعنى الموت والألم ، والتسيير والتخيير والخلق والضمير والإيمان بالله والخلود وما إلى ذلك من قضايا وجودية ، بل وعن موقع عالم الروح نفسه . ولدينا مثلا كتاب «الإنسان روح لا جسد» للدكتور رؤوف عبيد فهو نموذج لهذه الكتابات التي تعرف بالحركة الروحية ونظرياتها وموقفها من العلم والدين والفلسفة .

ليلاحظ القارىء أن البحث في القوى الباطنية للإنسان يقودنا حتما إلى البحث في «الحقيقة» الفلسفية ، وذلك لارتباط الموقف من الوجود أو الرؤية إلى العالم ، بالقوى الباطنية المتوصل إلى استعمالها . إن المستوى الثاني من البحث ، والذي نحن بصدده ، يوصلنا إلى حقائق عامة لا تزال في حاجة إلى الدراسة . فعلى سبيل المثال نتوصل إلى أن «النزعة الروحية» لها أسس صحيحة على المستوى التجريبي لأن الظواهر النفسية الجانبية تقف في صفها إلى حد كبير . كما نتوصل إلى أن إعادة إنتاج هذه الظواهر مرتبطة إلى حد ما ، بممارسة نوع من السلوك الصوفي ، إن جاز التعبير ، كالتأمل والإيحاء الذاتي وغيرها . ونجد في هذا الصدد كتبا ودراسات لباحثين غربيين ، تبسط في صفحاتها طرقا وتطبيقات من شأنها استثارة القوى الكامنة والملكات الخفية(2) ومن بين هذه الطرق التركيز والتأمل والاسترخاء والحركات الجسمية والتنفس العميق والوعي بالجسد ، والتنويم المغناطيسي وتناول عقاقير الهلوسة وممارسة الجنس بطرق خاصة .

فإذا استعنا بنتائج بحثنا وسعينا إلى دراسة الأديان والمذاهب فما عسى أن تكون الحقيقة؟ ذلك ما سنحاول الإجابة عليه في الفصل اللاحق .

---

(1) وهذا موقف نجده في الكتب القديمة في صورة ما يسمى بتصريفات الروح في الأكوان والعوالم ، والأشياء .
(2) اقرأ على سبي المثال :
Développez vos pouvoirs invisibles Yaaik Bourdoiseau /ED . Marabout Prris 1979

الفـصـل الثــالــث :

الحـقـيـقـة بـيـن الـمـذاهـب والأديـان

قد يستنتج الباحث أن الجوهر في كل الأديان هو الإيحاء الذاتي . وقد يتوصل إلى هذه الحقيقة إثر تحليل سيكولوجي لمسائل كـ«الإيمـان» و«الاعتقاد» و«اليقين» ، وهي الأسس الأولـى لـكل دين . ولعل ما يشجع الباحث على الخروج بهذا القرار ، نتائج الدراسات التي تناولت الإيحاء الذاتي والتنويم المغناطيسي . أو ليس كثير من الناس يشفون أنفسهم من أمراض خطيرة مثلا ميؤوس منها ، بطريقة**Emile Coué**، والقائمة على تكرار عبارة كالآتية:

«يوما بعد يوم تـتـحسـن صـحـتي من كل الوجوه» وعلى تخيل الشفاء وهو يتحقق ، وتـركـيـز العقل على ذلك؟...

أوليس بإمكان المنوم أن يحـقـق لـدى الوسـيـط ما يـحـيـر الأذهان من ظواهر كلها تقوم علـى اعتقاد الجازم بصحة كل ما يقوله المنوم؟ فإذا ما أوحى لـه بأن يـده تـحـتـرق ، نـراه يـصـرخ ويستغيث كما لو كان ذلك صحيحا . وأكثر من ذلك فإذا أيقظ المنوم وسيطه قبل أن يوجه إليه إيحاء مضادا فإنه يجد في يده فقاعات جلدية مملوءة بسائل مائي ، وكأنه احترق فعلا!

هذا نموذج بسيط لما يمكن أن تنتجه «قوة التصديق» ، أو قوة الاعتقاد من ظواهر يتضح من خلالها سيطرة العقل على الجسم وقدرة الإنـسان علـى تـجاوز حـدوده الـزمانـيـة والـمكانـيـة والحسية . حيث يمكن بعض الوسطاء مثلا ، أن يتحدثوا بكل تفصيل عـن أحـداث جـرت فـي الماضـي ويصفوها بكل دقة مع أنهم لم يشاهدوها ولم يسبق لهم أن سمعوا عنها شيئا من قبل . كما يمكنهم الإخبار عما يجري في أماكن بعيدة أو تحديد هوية الأشياء التي يـحـمـلـها الـمـنـوم بيده مع أن الوسيط مغمض العينين ، والمنوم ، وراء حجاب لا يسمح بـرؤية أي شـيء . لـقـد قام العلماء بتجارب من هذا النوع تـثـبـت إمكانيات الإنسان الباطنية ، فاتضحـت صلـة هـذه الإمـكـانـيـات بـالـلاشـعـور(1) ، غـيـر أن هـذا الـمـفـهـوم الأخـيـر يأخـذ بصدد الباراسيكولوجيا والروحانيات معنى مـمـا يأخـذ فـي الـتـحـلـيل الـنفسي..فهو لن يـعـود مجرد مستودع للخبـرات السابقة ، بل سيتجاوز ذلك ليكون ذا صـلـة بالـحاسة السادسة بكل أشكالها ، وذا صلة بطاقات مجهولة لم يتم بعد تصنيفها حسب الجداول العلمية الحالية . ولـهـذا اتـجـه كثـيـر مـن الأطـبـاء النفسانيين في الغرب إلى استيحاء طرق علاجية من الشـرق ، هدفها شحن اللاوعـي بـفـكـرة

(1) ليست لكل القوى الخفية صلة باللاشعور . والدليل على ذلك أننا نجدها عند الحيوانات أيضا . فمن هذه القوى ما هو قائم على تحسس الجسم لمواد معينة كما هو الشأن في ظاهرة القنقنة مثلا(الإحساس بوجود الماء والمعادن في جوف الأرض .

ما ، من شأنها عند توافر «النصاب القانوني» أو تنطلق من القوة إلى الفعل فتؤثر في السيرورات العضوية تأثيرا بينا أو تثير حواس وطاقات مجهولة يتم بها تحطيم حواجز الزمان والمكان والجسد .

إلا أن اختزال الأديان والمذاهب في الإيحاء الذاتي يمكن أن تترتب عنه نتائج خطيرة ليس لدينا من الحجج ما هو كاف لمساندتنا . منها أن للأديان صدقا ذاتيا لا موضوعيا . وبهذا الاعتبار يكون كل ما يقال لنا عن «الغيب» شبيها بما يقوله المنوم للوسيط حيث أن النار التي يوهمه بأنها تحرقه ، ليس لها وجود «إلا في عقل الوسيط» ، كما لا يكون لفكرة «الله» و «الجنة» و«الجحيم» و«الملائكة» ـ وهي كلها حوافز لنوع ما من السلوك والتفكير ـ أي وجود واقعي إلا في أذهاننا...هل يمكن قبول هذه الفكرة؟

إن العالم النفساني الأنجليزي سيرل بيرت يشير في كتابه«علم النفس الديني» إلى أن تفسير الشفاء بالإيمان على أساس الإيحاء مجرد طريق وضعها الله للوصول إليه والاستمداد من قوته . هذا بالإضافة إلى أن مستوى البحث بقوى العقل(1) كفيل بإبراز الخطأ الكامن في هذا الاختزال . حيث يقوم الباحث بدراسة معمقة لكل من قوى الحقيقة وقوى الخيال ، وحدود العقل وإمكانياته ، والحدود بين الذاتي والموضوعي . إن هذا المستوى التقويمي يحسن إرجاؤه حتى حين ، بعد إبراز إمكانيات المستوى الثاني . ونذكر بأننا ما نزال لحد الآن نتناول التقويم الباراسيكولوجي الذي ينصب على الفلسفة ، مما يدخل في نطاق ما أسميناه «البحث عن نظائر في التراث والثقافة الشعبية والفلسفة» ، أو تقويم نتائج الفلسفة والعلوم الإنسانية . فهذا الإجراء الأخير يلتحق مباشرة بالبحث عن النظائر كما يتضح من سير هذا البحث .

نعود على ما يخرج به بعض الباحثين من نتائج انطلاقا من معطيات المستوى الثاني :

(1) أن للإنسان بعدا روحيا أثبتته التجارب المخبرية .

(2) أن الروح خالدة لا تنتهي بالموت بل تصعد إلى مستويات عليا للوجود .

(3) أن الروح رغم وجودها في هذه المستويات ، يمكن الاتصال معها بما يسمى «استحضار الأرواح» أو بأية وسيلة أخرى كالتخاطر والإلهام والأحلام .

وهكذا تأسست الحركة الروحية ، ووضعت لها أسس عقدية منظمة . ويتضح من أقوال رواد هذه الحركة أن أرواح الموتى نفسها ساهمت ولا تزال مساهمة في التسيير والتنظير ، حيث تتصل بالأحياء في جلسات روحية متعددة ، وتعطي معلومات دقيقة عن العالم الآخر ومستويات أنماط العيش فيها ، وتعطي تأويلا روحانيا لما ورد في الأديان من أفكار كالثواب والعقاب والقيامة والآخرة ، وتعبر عن إيمانها بوحدة الأديان ومشروعيتها جميعا في الإيصال إلى الخالق . وقد أجمع الروحيون على مبادىء سبعة ترتكز عليها هذه الحركة ، ويوردها الدكتور رؤوف عبيد كالآتي :

---

(1) نقصد المستوى الثالث الذي يبحث فيه أمثال الدكتور محمد الوكيلي والأستاذ نور الدين عبد الحق .

(1) الإيمان بالله رب العالمين وأبوته للبشر أجمعين .
(2) أخوت الإنسان للإنسان .
(3) صحة الاتصال بالأرواح .
(4) دوام الحياة الإنسانية .
(5) صحة مسؤولية الإنسان الخلقية عن أعماله .
(6) صحة الثواب والعقاب
(7) أن باب التقدم مفتوح لكل روح إنسانية .

وهذه الحركة تعطي لنفسها مشروعية تأطير ظواهر الوعي نظريا حيث يقوم فيها الباحثون بتفسير اللاشعور والأحلام والأمراض النفسية والعقلية ، والظواهر النفسية والعقلية ، والظواهر النفسية الجانبية طبقا لمبادىء ومسلمات هذه الروحانية الحديثة التي تسعى أيضا إلى احتواء المعتقدات الدينية ، مشيرة إلى عدم تناقض الحقائق التي كشفتها مع ما جاء في الأديان من مبادىء وأفكار . وجدير بالذكر أيضا أن هذه الحركة قائمة على نتائج الأبحاث الباراسيكولوجية المخبرية وعلى معطيات الاتصال بالأرواح التي أملت في هذا الشأن مؤلفات مطولة على الوسطاء . وهناك أنساق روحية أخرى تسير في نفس الاتجاه ولا تختلف عن الحركة السالفة إلا اختلافا طفيفا لا يخل بالجوهر ، غير أنها لا تعتمد على المعطيات العلمية التجريبية في بناء مشروعيتها وضمان مصداقيتها وإنما تلجأ إلى ضمانات أخرى يتوقف الكشف عنها على البحث بقوى العقل .

كنموذج لهذا التيار نقدم الكاهن البوذي : اللاما ، لوبسانغ رامبا **Lobsang Rampa** الذي لجأ إلى الغرب بعد استيلاء الشيوعيين على بلاده التيبت ، وشرع في نشر أفكاره الروحية عبر كثير من المحاضرات والدروس ، وكذلك عبر مؤلفات ذات شهرة عالمية مثل :

Les secrets de l'Aura ((أسرار الهالة)) (1) . ويبسط في هذا الكتاب التقنيات التي يلزم اتباعها للتمكن من رؤية الهالة الملونة التي تحيط بالأجسام العضوية ويمكن من خلالها يبين علامات الصحة والمرض والحالة النفسية للكائن ، وكذا درجة التقدم الروحي لديه ، وذلك بتأويل كيفية تراتب الألوان وطغيان لون على الألوان الأخرى ومدى كون هذه الألوان فاتحة أو غامقة . كما يتحدث فيه عن التمارين الموصلة إلى إمكانية الخروج من الجسد والصعود بالجسد النجمي إلى مستويات من الوجود لها قوانين زمانية ومكانية خاصة . وهذه المستويات تمكن الإنسان من رؤية الماضي والحاضر والمستقبل والاتصال مع الموتى ، ورؤية كل ما يقع في العوالم المختلفة(2) من أحداث ،وقراءة الكتب الموجودة في مكتبات بعيدة ، وكل ذلك يتم بالجسد النجمي الذي يمكننا من اجتياز الحواجز المادية . ونجد في الكتاب أيضا ، الحديث عن كيفية التنويم الذاتي وأهداف استعماله وصلته بالروحانيات وعلم النفس . ومن كتبه الأخرى التي شرح فيها التركيب المادي والنجمي للمخلوق البشري ، كتاب **Le troisième oeil**

---

(1) صدر هذا الكتاب أصلا بالأنجليزية تحت عنوان ((You forever)) .

(2) يؤكد اللاما رامبا وجود عوالم ظاهرية أخرى غير عالمنا هذا ، ويمكن الاطلاع عليها باطنيا . وأحد هذه العوالم يوجد في باطن الكرة الأرضية ، ويعرف سكانه تقدما آليا مذهلا ؛ وهم يرسلون إلينا ما يسمى بالصحون الطائرة الاستكشاف عالمنا هذا .

أو«العين الثالثة» ، وهو أول كتاب نشره رامبا فأثار ضجة كبرى عند الغربيين لكشفه عن كثير من أسرار وروحانيات الشرق وبلاد التيبت على الخصوص ، ولعل أكثر ما يتفق في البوذية مع الأديان الأخرى ، جانبها الأخلاقي ودستورها السلوكي . حيث تبدو وكأنها تخرج لنا بما هو مشترك بين الأديان من وصايا تتعلق بالسلوك :

أولا : عامل الناس كما تريدهم أن يعاملوك .
ثانيا : لا تحكم على جارك أو قريبك ولا تنتقد الناس .
ثالثا : كن دقيقا ومضبوطا في جميع أعمالك وعلاقاتك .
رابعا : لا تجادل في الدين ولا تهزأ أو تنتقد دين غيرك .
خامسا : تقيد بدينك بأمانة وكن متساهلا نحو الأديان والمعتقدات الأخرى .
سادسا : لا تقرب السحر والسحرة وما يشابههما .
سابعا : امتنع عن تناول المسكرات والمخدرات(1)

ويؤمن البوذيون بأن الروح خالدة ، وأنها تستعمل مختلف الأجساد في نزولها إلى مستويات مختلفة للوجود . على سبيل المثال فالجسد المادي خاضع للقوانين الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية لأنه مركب من مجموعة ذرات أو خلايا . وله جهاز إرسال واستقبال هو الدماغ غير أن هذا الجسم مسير لا سلكيا من طرف«الذات العليا» التي تبقى بعيدا عن هذا العالم المادي ، ولكن في اتصال معه عن طريق الجسد . ويربط هذا الأخير بالذات العليا**Surmoi** ، خيط فضي لا يراه إلا الوسطاء وبعض الحيوانات ؛ ويتصل بالجسد المادي في مكان السرة كما يتصل به الحبل السري تماما .
والجسم المادي يحتوي على أجسام نجمية متعددة متحايثة الوجود بحيث تدخل فيه دون الزيادة في حجمه . وأحد هذه الأجسام هو ما يسميه المتصوفة بالجسم الروحاني ، وهو الذي نتصرف به في الأحلام ، حيث يخرج من الجسد المادي مؤقتا ثم يعود إليه في اليقظة . وقد يفارقه إلى غير رجعة بالموت فينقطع إذاك ، الحبل الفضي الرابط بينهما .

ويتضح من هذا كله أن هناك مستويات تراتبية للوجود نحن الآن في واحد منها ، وسوف ننتقل إلى الأخرى بعد الموت(2)،وكلما ازددنا طهارة وتقدما روحيا كلما كنا أهلا للتصاعد في هذه المستويات التي هي متداخلة ومتحايثة انطولوجيا حيث أن الفاصل بينها هو فقط ، الاختلاف في«الذبذة» . وتبعا لهذه الحقيقة فأرواح الموتى موجودة معنا في كل مكان ، إلا أن الاتصال معها يتطلب منا رفع سرعة اهتزازاتنا لتكون«موجاتنا» ذات طول واحد مع «موجاتها»...
ويتضح هنا الاتفاق الموجود بين معتقدات الحركة الروحانية الحديثة ، والبوذية والتصوف

---

(1) التقمص ، أمين طليع .ص 32
(2) كما يمكننا الدخول إليها قبل الموت بإجراء تمارين الخروج من الجسد .

(حيث يعتقد أن الطهارة وشفافية الروح بالأعمال الطيبة كفيلة بجعل المتصوفة يرى من عالم الغيب ما لا يراه غيره). وطبعا فهذا الاتفاق ليس كليا . فالبوذيون مثلا يؤمنون بالتقمص في حين أن هناك أديانا لا تؤمن به . والتقمص هو عودة الروح إلى هذا العالم في جسد آخر أو حيواني حتى تتطهر وتزداد رقيا . ويتكرر هذا التجسد عدة مرات حتى يصبح الإنسان أهلا للصعود إلى مستويات عليا فيها من اللذائذ الروحية ما لا نستطيع تصوره ونحن في هذا العالم الضيّق ، أي«ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» . وينتهي هذا ، الصعود التطهري بالفناء في الذات الكلية**NIRVANA**والتخلص من الرغبة التي هي سبب العذاب والشقاء . وسيكون التصاعد في مستويات الوجود الراقية هو ما يسمى في مختلف الأديان بـ «الجنة»، في حين أن العودة للتجسد في هذا العالم الأليم الشقي هو ما تشير إليه الأديان باسم«جهنم» .

إن الأديان حسب اللاما**Lobsang Rampa**واحدة رغم اختلافها الشكلي . إذا كان بعضها ينفي وجود التقمص أو حراس العوالم المسؤولين عنها ، فليس ذلك من باب الضرورة البيداغوجية مجرد أشكال وقوالب تقوم على حقيقة واحدة : على القوانين البسيطة للحياة . إذا فالأديان فلقد سبق للصين القديمة أن ارتمت إلى هاوية التخلف بسبب اعتقاد عامة الناس فيها بالتقمص . فكانوا يرجئون التكفير عن خطاياهم الحاضرة إلى «حياة مقبلة»، وهكذا دواليك . فكلما عادوا إلى التجسد ، قطعوا الوعد من جديد مؤجلين حساباتهم وواجباتهم . ولذلك كما يقول رامبا ، اتجه الكهنة والزعماء الروحيون في بعض الأديان إلى إخفاء هذه الحقيقة حتى يسرع التقدم الروحي لدى العامة الذين قد يضرهم الاعتقاد بوجود التقمص . وذلك بأن دفعوهم إلى الاقتناع بوجود حياة واحدة فقط يجب استغلالها للخلاص وإلا كان المصير هو العذاب الأبدي .

ولكي نفهم اللاما رامبا وأمثاله من البوذيين يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ما يقررونه من أن الأديان مجرد أشكال وقوالب موضوعة ، يمكن للإنسان الذي قطع أشواطا كبرى في التقدم الروحي أن يتجاوزها لأنها مجرد مقررات بيداغوجية يحسن تقديمها للعامة الذين قد يتضررون بالحقائق الكبرى «كما يتضرر الجعل بالورد(1)» . ولعل هذا يثير في أذهاننا مسألة «مراتب الناس» التي وردت عند أمثال الغزالي وابن رشد حيث يشيران إلى وجود حقائق دينية لدى الخاصة يجب إخفاؤها عن العامة .

إن البوذيين يذهبون إلى أن الكثير من الأساطير الدينية في حاجة إلى تأويل . فالعامة يفهمون معانيها السطحية مكتفين بذلك ومقتنعين ، لضيق عقولهم ، أو لنقل لأن التطور الروحي لديهم مازال في بدايته . أما الخاصة المستنيرون فيفهمون من هذه الأساطير والقصص المأثورة حقائق هي في الواقع جوهر الدين ، ولكن هناك عقولا لا تتحملها . ويمثل رامبا لذلك بقصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة المحرمة . وهي قصة سنأتي على التأويل البوذي لها فيما بعد .

(1)هذه العبارة تنتسب إلى الغزالي ، وقد قالها عن العامة الذين لا تطيق عقولهم الحقائق الدينية الكبرى .

ولإيضاح موقف رامبا من الأديان والوحي والعذاب الأبدي نقتطف من مقدمة كتابه «كهف القدامى» ، ما يلي :

«...إن كثيرا من الناس ينغمسون في الكلام الفارغ . فقوانين الحياة بسيطة ، ومن غير المفيد أن تحصر في مذاهب صوفية أو أشباه أديان . كما أنه لا داعي لأن نتحدث عن«وحي إلهي». فأي شخص يستطيع أن يصل إلى هذا الوحي نفسه إذا تعب من أجل ذلك .»

«ليس هناك أي دين يحتكر لوحده مفاتيح الجنة..لن يعذب أي إنسان عذابا أبديا بسبب دخوله إلى الكنيسة وقبعته على رأسه ، ومن غير أن ينزع حذاءه من رجليه . في التيبت يمكننا أن نقرأ على أبواب أديرة البوذيين«هنا ألف راهب وألف دين» .»

«اعتقد ما شئت ، فما دام دينك يوصلك بأن«تعالم الآخرين بما تحب أن يعاملوك به»، فإنك ستكون من المفلحين الناجين في يوم الحشر الأخير ».

«حسب بعض الناس ، فإن العلم الداخلي لا يمكن تحصيله إلا باتباع دين معين والخضوع لأوامره ومتطلباته . أما قوانين الحياة فتقول : ابحث وسوف تجد».

نستشف من هذا النص ، النزعة إلى تحطيم الهوة بين الأنبياء والرسل ، وغيرهم من الناس ، باعتبار الوحي في متناول الجميع مبدئيا . وأكثر من هذا ، فإن في مواضع أخرى من كتابات رامبا ما ينبىء عن تحطيم الهوة أيضا بين اللاهوت والناسوت . فعندما يصلي الإنسان أو يدعو الله بحرارة فهو في الحقيقة يخاطب : «ذاته العليا» ولا أحد غيرها . فالناس طالما أنهم لم يتقدموا روحيا إلى مستوى معين ، يحسن بهم أن يؤمنوا بإله رحيم مستقل عن ذواتهم ، قد يعتبرونه أبا أو آلهة تكون بمنزلة الأم ، وذلك لكونهم لا يحسون بالطمأنينة إلا في جو عائلي والدي ، ملؤه العطف والحنان . أما الإنسان المستنير فإنه يخاطب ذاته العليا مباشرة فهي أذكى منه وأعقل ، وأدرى بصالحه وطالحه . وهي التي يطلق عليها العامة لفظ «اللـه». كما يحسن بالعامة أن يؤمنوا بوجود ملك حارس يحصى أعمالهم الحسنة والسيئة . والحقيقة أن هذا الملك ليس سوى ذواتهم العليا أيضا .

والبوذيون يرون أن فكرة «اللـه» في ذهن الإنسان قائمة على تصور ذاتي حيث يسبغ عليه الشكل الإنساني ، والصفات الإنسانية لأنه يطمئن لهذا التشابه بينه وبين الذات الإلهية ، ويفخر بكونه خلق على صورة اللـه . والحقيقة في نظر رامبا أننا في مستوى من الوجود ومن التجارب الإنسانية المحدودة ، لا يسمح لنا بتصور موضوعي للذات الإلهية . فلا شك أنه لو كان للحصان أن يتصور الله ، لتصوره على شكل حصان كبير . كما يذهب إلى أن لكل عالم إله الخاص أو حارسه المكلف به . وحارس عالمنا هذا يطلق عليه «المانو» **MANU** . وبالمثل فإن لكل بلد حارسه أو المانو المضطلع بتسييره وتوجيهه . وهو عبارة عن روح إنسانية متطورة بلغت مرتبة هي في عداد الألوهية بالنسبة لنا .

وإذا فكل ما يرد في الأديان من معلومات عن الغيب والذات الإلهية ، ليس البوذيون ضده ولا يحكمون بعدم صلاحيته ، وإنما يقررون أنه رمزي في حاجة إلى تأويل أعمق من طرف

المستنيرين . وله قيمة بيداغوجية بالنسبة للحساب الأخروي ، فلا أحد يحاسب الإنسان سوى نفسه . ولن يجد محاسبا أشد منها صرامة . فهو الذي يقرر العودة للتجسد ، وما سيمر به من آلام ومحن . أي أنه هو واضع مقرره الدراسي إن جاز التعبير. ومن المنتظر طبعا أن يثير هذا الموقف العقائدي حساسيات دينية . والكثير سيرمونه بالكفر والانحراف والشرك بالله . وحقا فإن يطرح إشكاليات عقائدية إذا ما قارناه بالتصور الإسلامي مثلا . فالفرق بين الخالق والإنسان والعالم واضح يبرزه علم التوحيد ، ولو أنه يحتمل خلافا في إطار علم الكلام حول مسائل كالذات والصفات الإلهية . كما أن التأويل الذي يقدمه رامبا للنعيم والعذاب في الآخرة سيثير ضجة عند جمهور المسلمين إذا استثنينا بعض المتصوفة الذين يعطون للبعث والثواب والعقاب معنى روحيا مجازيا . ذلك أن بعث الأجساد المادية والنعيم والعذاب الحسيين مسائل واردة في القرآن لفظا إلى درجة أن كاتبا إسلاميا مثل مصطفى محمود يقدم دلائل نصية على إمكان أن تكون معنوية ، ثم يتحفظ في النهاية فيقول إن العذاب والنعيم الحسيين واردان في القرآن لفظا . غير أن البوذي ، في مثل هذا الموقف ، سيتجه إلى القول بأن كل ما ورد في القرآن عن الثواب والعقاب الحسيين ، يجب أن يفهم في إطار بيداغوجي فهو مقدم للعامة الذين لا يخيفهم إلا النيران المحرقة ولا يدفعهم إلى الاستقامة والتقوى سوى الرغبة في القصور والحور والمأكولات الشهية . وتكون بذلك لذائذ الجنة وعذاب جهنم «فوق التصور» بالنظر إلى تجاربنا وخبراتنا الحالية التي تتم في عالم محدود الأبعاد .

تلاحظ ، بكل جلاء ، وجوه التشابه بين النظرة البوذية وبعض الاتجاهات الصوفية في الإسلام . فحتى مسألة تحطيم الهوة بين اللاهوت والناسوت نجدها واردة عند بعض أعلام التصوف الإسلامي حينما يتحدثون عن وحدة الوجود والحلول والاتحاد والذوبان والفناء في الذات الإلهية . ومسألة تحطيم الهوة بين الأنبياء والرسل وغيرهم من الناس نجدها عند بعضهم ممن يذهبون إلى أن الولي قد يتجاوز مرتبة النبوة . ويستدلون في هذا الإطار بأن الخضر عليه السلام لم يكن نبيا وإنما كان وليا وآتاه الله من العلم ما لم يؤته موسى عليه السلام (1). والولاية طبعا هي درجة مفتوحة أمام الجميع . كما يتجلى نفس الاتجاه في موقف الفرابي مثلا من النبي والفيلسوف فيما يخص الأفضلية . فالأول في نظره يعتمد على الوحي والخيال في حين يتصل الثاني بالعقل الفعال وهو في كامل وعيه ، متمتع بكل قدراته العقلية والمنطقية .

ولو قرأنا «قصة رامبا» **Rampa** التي يعتبرها حقيقية وواقعية ، لوجدناه يتحدث عن وقائع هي أغرب من الخيال . فهو يحكي لنا عن طفولته ومحنته ، ويروي كيف أجريت له عملية فتح العين الثالثة ، حيث أحدث الرهبان البوذيون ثقبا في جبهته لكي يتمكن من رؤية الهالة المحيطة بالأجسام ، وقراءة الأفكار وغيرها من القدرات الجانبية . كما يتحدث عن كيفية تجسده الأخير : فلقد كان يعيش على الأرض بجسم آخر ، غير أن هذا الجسم بعد تعرضه لحوادث أليمة ، لم يعد صالحا لأن يستأنف رامبا الحياة بواسطته ، وأثناء جولة روحية خارج

---

(1) نجد في سورة أهل الكهف قصة موسى مع عبد من عباد الله ، أوتي من العلم أكثر مما أوتي موسى عليه السلام ويقال إنه الخضر .

الجسد ، اتصل رامبا في عالم ذي أبعاد أخرى (عالم الأرواح) بمعلمه المتوفى سابقا : **Mingyar Dondup** ومعلمين روحيين آخرين ، فأخبروه بأنه لم ينجز بعد مهمته في الحياة بأتمها وأنه من المستحسن أن يستأنف الحياة بواسطة جسد آخر ما يزال صالحا للاستعمال ، يوجد صاحبه آنذاك ــ في حالة النزع الأخير . وقد اقتنع رامبا بذلك ففصل معلموه الروحيون حبله الفضي عن جسده الذي لم يعد صالحا للحياة وربطوه بجسد الرجل الأنجليزي . وبعد مدة تقدر بسبع سنوات ، يتمكن رامبا تدريجيا من تبديل جزيئات هذا الجسد الغريب عنه بجزيئات جسده القديم فتعود آثار جروح هذا الأخير لتظهر مرة أخرى في الجسم الجديد مما يدل على أن ملكه عاد إليه .

ما هي المهمة التي عاد إلى الأرض لتأديتها قبل تصاعده في المستويات العليا؟ إنها تتمثل في أن يعلم الناس كيف يرون الهالة بتمارين خاصة ، وكيف يخرجون من الجسد لرؤية الماضي والحاضر والمستقبل ، والاتصال بعالم الغيب . وتتمثل كذلك في أن يتقدم خطوات إلى الأمام بالأبحاث التي تجري حول هاتين الظاهرتين .

تحدثنا منذ قليل عن التأويل البوذي للأفكار والمباديء الواردة في الأديان الأخرى ؛ وكنموذج لهذا التأويل ، نورد موقف اللاما لوبسانغ رامبا من خطيئة آدم وحواء ، وهو قائم . لقد ورد في الكتب المقدسة أن الشيطان تمثل لحواء في ثعبان فأغواها مع زوجها ليأكلا من على ما يسمى بقوة الـ**Koundalini**ثمرة شجرة المعرفة ، فبدت لهما سوءاتهما وهبطا إلى الأرض . فما عسى أن تكون هذه الشجرة؟ إن المفسرين يختلفون في هذا الصدد . فمنهم من يعطيها معنى حقيقيا فيقول إنها شجرة الحنطة أو الليمون أو التفاح . ومهم من يعطيها معنى مجازيا . وعلى سبيل المثال فالدكتور مصطفى محمود يرى : ((إنها رمز للجنس والموت اللذين تلازما في قصة البيولوجيا حينما أخذت الكائنات الحية بطريقة التلاقح الجنسي لتتكاثر فكتبت على نفسها طارىء الموت...ولم تكن الكائنات قبل ذلك تتجدد وتعود إلى الشباب بالانقسام الذاتي)) **(1)**

ويضيف قائلا : ((كان التلاقح الجنسي هو الشجرة المحرمة التي أكلت منها الحياة فهوت من الخلود إلى العدم . وبالمثل كان زواج آدم وحواء هو زواج اثنين من الخالدين في الجنة. وفي مثل لم تكن توجد وظيفة للنكاح والتلاقح الجنسي . فالخلود حقيقة قائمة ولا حاجة للنسل واستمرار الحياة)) . ويستدل الدكتور مصطفى محمود على أن الشجرة رمز للجنس بكون آدم و حواء ((طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ليواريا سوءاتهما (والسوءة هي العورة)، فيقول : ((والخجل من الأعضاء التناسلية لا يأتي إلا بعد تذوق اللذة منها ، ولهذا لا يخجل الطفل من أعضائه التناسلية ولا يغطيها على حين يخجل البالغ من ذكر اسمها))**(2)**كما يستدل على ذلك بكون القرآن يخاطبهما بعد الأكل من الشجرة على أنهما جمع فيقول : (اهبطوا بعضكم لبعض عدو)الأعراف**24** .على حين كان الخطاب في الآيات نفسها قبل الخطيئة إلى مثنى(فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة)الأعراف**19**.ويستنتج الكاتب ما يلي : أن

---

(1) القرآن محاولة لفهم عصري . ص 66
(2) نفس المرجع . ص 67

الأكل من الشجرة أدى إلى التكاثر(1)، فتمت المخاطبة بصيغة الجمع بعد الخطيئة . وأخيرا يستدرك مصطفى محمود قائلا إنه لا يمكن القطع في هذه المسائل وإنها : محل نظر واجتهاد لا أكثر ، ونحن مأمورون بهذا الاجتهاد أمرا » .

لقد أوردنا موقف الدكتور مصطفى محمود لإبراز أن المشكلة حتى في إطار إسلامي ، وأنها لم تحسم على مستوى التفسير القرآني . أما او شئنا التأويل الذي يورده رامبا وهو يسرد قصته ومغامراته فهو كالآتي : أن الخطيئة هي بالفعل جنسية . وأن الجنة ليست سوى هذا العالم الذي كان حينئذ مليئا بالطمأنينة والسلام ؛ «لا يخشى فيه الإنسان شيئا لأنه لا يفهم شيئا» .ولكن كيف حدثت هذه الخطيئة؟ وما هي نتائجها اللاهوتية أو الانتروبولوجية؟(2)

يقرر اللاما رامبا أن في الإنسان قوة جبارة تسمى بالـ**Koundalini** تتركز في قرار العمود الفقري وجزئيا في الأعضاء التناسلية . وهي في حالة كمون عند أغلبية الغربيين . أما الشرقيون منذ القديم أنه إذا ما أطلقت من عقالها فإنها تزود الإنسان بقدرات«خارقة» ، وذلك بتصاعدها عبر العمود الفقري إلى الدماغ ، ومن ثم إلى العالم النجمي الروحاني .

تسمى هذه القوة أيضا عند الشرقيين بـ«النار الثعبانية» وهي أشبه ما تكون بثعبان ملتو . (لاحظ ورود فكرة الثعبان في قصة آدم وحواء) . وإذا ما تم إخراجها من حالة الكمون . بممارسة الجنس أو بأي طريقة أخرى ، فإنها تعمل على تنشيط مراكز القوة في الجسم كالسرة والحنجرة ومكان العين الثالثة في الجبهة . كما تعمل على فتح ما يسمى زهرة اللوتس **Lotus** وهي نقطة موجودة في أعلى الرأس ؛ فتتصاعد عبرها إلى العالم الروحاني. وهكذا يكتسب الإنسان قوى جسمية وروحية (أو عقلية) غير عادية ، ويستطيع السيطرة على غيره.

أين تتجلى هذه القوى؟ إنها تبرز من خلال ظهور ملكات كالتخاطر والاستبصار والقدرة على رؤية الهالة المحيطة بالأجسام وقراءة الأفكار ، ومعرفة الأمور الغيبية ، ومن خلال قدرات فيزيقية غير عادية كالطيران في الهواء والمشي فوق الماء والسيطرة على المادة . لكن ما وجه العلاقة بين هذا كله وبين قصة آدم وحواء؟

لقد كان الزوجان في سعادة ، أو في الجنة حسب ما تقول النصوص الدينية . لكن حواء ، يوما ما ، سمعت بقوة الكونداليني ، فسعت إلى اكتسابها ، وذلك بأن أغوت آدم ومارست معه الجنس(الخطيئة)، فاستثار الإثنان معا قوة الكونداليني . وأصبح بإمكان كل واحد منهما أن يعرف أفكار ونيات الآخر ، وأن يشاهد هالته وشكله النجمي . ومعنى هذا : العري والافتضاح وانكشاف الأسرار . ولهذا السبب جاء في القصص الدينية أن ثياب الجنة سقطت عنهما فأصبحا عاريين يخصفان عليهما من ورق الجنة . كما أن استثارة القوة بالممارسة الجنسية جعلت آدم وحواء في اتصال مع العالم النجمي ، وجعل معرفة الأمور الغيبية في

---

(1) نفس المرجع السابق ص 67 : ليس ضروريا أن نعزو سبب المخاطبة بصيغة الجمع إلى وجود الذرية . فقد يفسر ذلك بكون المخاطبين في الآية هم آدم وحواء والشيطان . والثلاثة في عداد الجمع طبعا .

(2) نقول«انتروبولوجية» إذا افترضنا أن الله هو الذات العليا للإنسان .

متناولهما . ومن هنا جاء في النصوص الدينية أن حـواء أكلـت ثمـرة شجـرة الـمعـرفـة . وحسب ما يقول رامبا فقد كان افتضاح سريرة كل من آدم وحـواء ورؤيـة كـل مـنـهـمـا لـهـالـة الآخر شيئا لا ينبغي السعي إليه في تلك المرحلة من تطور الروح الإنسانية ولذلك اعتبر إثـما وخطيئة في مختلف الأديان .

أما كيف يستثير الجنس قوة الكونداليني ، فذلـك يـتـم بـجـعله لجزيئات الجسد تأخذ اتـجاها واحدا ، مما يزيد في مغناطيسية الجسم ، فيؤدي إلى إطلاق القوة من عـقالـهـا . وهـناك طـرق أخرى غير الجنس بإمكانها تحقيق نفس الهدف . انطلاقا مـن هـذه الحقائـق يـتـجـه رامـبا إلى تأويل كثير من الظواهر الدينية ؛ فلقد سعى الكهنة ورجال الدين فيما بعد ، نظرا لخطورة قوة الكونداليني ، على التنفير من الجنس ومن الزواج ، واعتبارهما خطيئة تـسـبـبـت فـي سـقـوط الإنسانية . وينطبق ذلك على بعض المذاهب المسيحية . ويعتـبر رامبا الكاثوليكية الـرومانـيـة أقرب إلى الحقيقة بإباحتها للزواج ، لكنه يأخذ عليها الجهل بالسر الكامن فـي الـمسألـة لأنـها تبيح الجنس باعتباره وسيلة ضرورية لإنجاب والتكاثر ليس إلا ، كما يشير إلى أن الـحـقـائـق السالفة تجعلنا نفهم لماذا كان بعض القدماء يعبدون«الجـنـس» أو«القضـيـب» ولماذا يـسـتـعين الهنود وغيرهم بالممارسة الجنسية في طقوسهم الدينية التي تستـهـدف الـتـرقـيـة الـروحـيـة . ويحذر رامبا من أن تكون الاعتبارات السالفة ، دافعا إلى الـدعـارة والإفـراط فـي الممارسـة الجنسية . فيجب أن تتم هذه الممارسة مع امرأة واحدة فقط ، وفي إطار شـرعي . كـما يـجـب أن يتم فيها التركيز على الملاعبة والملامسة الجسدية بقدر ما يتـم علـى الـمشاركة العاطـفـيـة والتفاعل الوجداني . وفي ظل هذه الشروط يحتمل إلى حد كبير أن تستثار قوة الكونداليـنـي .

لقد أسهبنا في الحديث عن التأويل البوذي لخطيئة آدم ، لأنه منـبـثـق عـن نـظـرية فـي الـقـوى الباطنية ، عريقة القدم في الشرق ، وذات صيت ذائع في الأوساط الروحية الغربية ومـراكـز الأبحاث في القوى الباطنية ، بل إن هناك من صمم آلـة تـمـكـن مـن اسـتـثـارة وتـصـعـيـد قـوة الكونداليني دون التعرض لأي خطـر ، وذلـك في ظرف أسبوع أو أسبوعين . ونـجـد إشـهـار لهذه الآلة في بعض المجلات المتخصصة في الروحانيات وطرق الموازية .

هذا ولا ننكر أننا قد توقفنا لنلاحظ التماسك ، والمنطقية اللذين يمتاز بـهـما التأويل الـبـوذي لقصة آدم وحواء كما وردت في النصوص الدينية . فهو -على الأقل- من أحـسـن ما قـدم فـي هذا المجال من تأويلات . ومما يزيده تماسكا ، تلك الجمالية الـمـلاحـظـة فـي تـقـابـل مـعـانـي النصوص والحقائق المتعلقة بقوة الكونداليني ، وكذا ورد نفس الأفكار في النص وفي التأويل دون أي كلفة (الثعبان-المعرفة-العري وسقوط الثياب- الخطيئة)، بالإضافة إلى المساندة التي تقدمها الوقائع التاريخية الدينية التي أشار إليها رامبا . ولكن التماسك والمنطقية والجماليـة لا تعني بالضرورة ، اليقين الذي ليس بعده شك . فإذا كان هذا التأويل صحيحا لا نقاش فيه ، فلا شك أنه سيثير ضجة في أوساط المتدينين لأنه سيضطرهم لأن يبحثوا للـحـقـائق الـعـلـيا عـن مكان في ارض ، وعن تأويل أرضـي...وستغدو المعاني الميتافيزيقية المجردة ،مجـرد غـطـاء يخفي حقائق بسيطة هي أقرب إلينا من حبل الوريد لكنها خطـيرة ، وتـكـون خـطـورتـها هـي السر في صياغتها الأسطورية .

نعود إلى قوة الكونداليني لنشير إلى أنها واردة في كثير من الفلسفات الشرقية كاليوجا مثلا . ومع أنها مرتبطة بالجسم العضوي ، فيبدو أنها ليست طاقة فيزيقية صرفة . إنها أشبه ما تكون بالطاقة الأرغونية**orgonique** التي يتحدث عنها ولهلم رايش ، والطاقة الأوديمية لدى كارل فون ريشنباخ . ولهذا يمكن ، في آخر المطاف أن نضع نظرية الكونداليني في نفس الخانة التي نضع فيها مسألة الوخز بالإبر وما تقوم عليه من أسس فلسفية أو بيولوجية ، فلا شك أن نقط الوخز التي يبلغ عددها أكثر من ألف نقطة ليس لها أي أساس تشريحي . ومع ذلك فلا يمكن أن تنكر فعاليتها وتأثيرها على المستوى الفيزيقي . ومن المحتمل جدا أن يكون لنظرية الوخز بالإبر**Acupuncture** نفس الأسس . ذلك أن مراكز الطاقة في النظريتين واحدة(1) . ولو تأملنا الرسوم التوضيحية التي توضع عادة في المقدمة النظرية لكتب اليوجا ، لوجدنا مراكز للطاقة على طول العمود الفقري ، تقابلها تشريحيا مجموعة من الغدد تتموقع في نفس الأمكنة مما يثير نوعا من الحوار بين النظريتين معا من جهة ، وبينهما وبين علم الفيزيزلزجيا من جهة ثانية . وينتظر أن يخرج هذا الحوار بحقيقة صائبة عن إمكانية وجود «قاعدة عضوية» للقوى الباطنية .

نعود الآن إلى موقف رامبا لنتساءل : «ما هي الوسائل التي تمكن البوذي من «معرفة الحقيقة» ومن المعرفة بصورة عامة؟ لا شط أن أغلب هذه الوسائل يمكن استخلاصه مما ذكرنا سالفا . فرامبا نفسه يدعونا إلى ممارسة تمارين تطلعنا على حقيقة تكوين الإنسان ، وعلى ما جرى ويجري في الكون من وقائع . وأهم هذه التمارين يتمثل في الخروج من الجسد . وبعده نجد التخاطر واستحضار الأرواح وقياس الأثر الروحي**psychométrie** (معرفة تاريخ الأشياء بمجرد لمسها ، وكذلك تاريخ الأشخاص الذين سبق لهم أن لمسوها أو استعملوها). هذا بالإضافة إلى استبصار والتنجيم . كل هذه الوسائل تمكننا من معرفة المجهول الخفي بصفة يقينية . ويدربنا عليها رامبا في كتابه : «أسرار الهالة» .كما يشير في ثنايا الكتاب إلى ما يسمى بـ«الحوليات الأكاشية» بوصفها مرجعا تاريخيا وكونيا يمكن كل من يخرج من جسده من معرفة واسترخاء ما جرى في الكون منذ أن وجد هذا الأخير ، وذلك وهو مائع شفاف يتخلل كل المواد وينطبع عليه كل ما حدث في الوجود . ويتنبأ اللاما رامبا بكل تفصيل . تنسب هذه الحوليات الأكاشا**AKASHA**بأن العلماء سيلجؤون في القرن المقبل إلى استعمال الحوليات الأكاشية لدراسة التاريخ . لقد عرف هذه الحقيقة المستقبلية بطرق باطنية . وبصدد التنبؤ يشير أيضا إلى أن الكتابات البوذية تتحدث عن مصلح أو نبي اسمه**Maitreya**سيأتي لتأدية مهمته بعد خمسة ملايير وستمائة وست وخمسين مليون سنة من غوتاما بوذا . فالملاحظ أن الماضي والحاضر والمستقبل يمكن أن يمتد إليها الوعي حسب هذه المعطيات البوذية . وذلك يدخل في إطار المعرفة الجانبية كما أسلفنا .

---

(1) أي نظرية الكونداليني ونظرية الوخز بالإبر .

كيف يمكننا التأكد من أن ما يقوله رامبا صحيح؟ إننا لا نملك أية وسيلة فعالة سوى القيام بالتمارين التي يسطرها في كتبه عسى أن نخرج من الجسد أو أن نرى الهالة . أما الاكتفاء بدراسة نصوص رامبا من الخارج ومقارنتها بنصوص أخرى باطنية فليس من شأنه إلا أن يضع أيدينا على حقائق ترجيحية . والحقائق الترجيحية الاحتمالية قد تشفي غليل الباحث العلمي ، لكنها لا تشفي غليل الباحث في موضوع الدين والعقيدة ، أي الإنسان الذي يبحث عما يجب أن يؤمن به الناس ويصدقوه ويعملوا بمقتضاه لأنه حق . وحتى في حالة توصله إلى أنه لا حقيقة هناك ، أو أن الأمر يتعلق«بحقائق» هي متعددة بقدر ما تتعدد الرؤوس ، فهو يبحث عن شيء يضمن له هذه«الحقيقة» نفسها حتى لا تدخل في باب الظن والاحتمال .

يبقى إذا أن نطبق تمارين رامبا . ولكن المشكلة التي يصطدم بها الباحث في هذا الصدد ، هي وجود شروط أخلاقية تعتبر ضرورية للوصول إلى ما يتحدث عنه صاحبنا من قوى باطنية . فكل من يدخل الميدان بنية غير خالصة ، لن يصل إلى أية نتيجة ، لأننا هنا أمام قوانين عادلة ،وأمام أرواح نقية طاهرة تعرف عن طريق التخاطر كل ما يروج في نفوس الآخرين . فها نحن إذا أمام «عائق إبيستمولوجي(1)» يمنعنا من المعرفة الموضوعية ، فلا شك أن قلة من الناس هي التي بمقدورها أن تبحث بقوى العقل وتسعى بكل إخلاص للتحقيق في شأن ما يقوله صاحبنا ، ولكن من الذي سيصدقها بعدئذ؟ أما أن تفند بكل وثوقية ما يقوله رامبا ، وفقط بناء على معطيات مستوى الوعي العادي ، فهو أشبه بأن ننكر وجود ألوان لمجرد أننا عميان . وإذا فهذا الموقف البوذي يطالعنا بحقائق يعتبرها جوهرا وأساسا لكل الأديان . وتكون هذه الأخيرة أشكالا مختلفة لذلك الجوهر ، تتفاوت من حيث درجة الاقتراب منه والإحساس به ، ولكنها في آخر المطاف طرق مشروعة كلها ، بدون استثناء للإيصال إليه .

ولو حولنا في آخر المطاف ، اكتشاف العوامل الأساسية التي تقوم عليها استثارة القوى الخفية ، أي العوامل التي تقف وراء فعالية التمارين التي يقدمها رامبا ، لوجدنا قوانين أساسيتين يشير إليهما بالتصريح . وقد أورد ذلك في حوار قام بينه وبين أحد أساتذته الروحيين عندما كان ناشئا متعلما . لقد شرح له أستاذه كيف أن أكبر قوة في العالم هي التخيل فكلما شحنا اللاوعي بتخيلنا لموقف أو حدث ما ، كلما سعى اللاوعي ، متغذيا بقوة التخيل إلى تحقيق ما هو متخيل . ومن هنا كان من المستحسن إلى حد كبير أن نردف الصلاة أو الدعاء بتخيلنا لما نطلب تحقيقه من ذواتنا العليا . وما يقال عن الخيال والقوة الكامنة فيه ، ينطبق على التفكير أيضا . فلا شك أن التفكير المركز ، حسب رامبا ، يمكنه أن ينتج ما يسمى بـ«الأشكال الفكرية» أو«القوة الفكرية» . وهي قوة عقلية متجولة يمكن عند تصاعدها وتكاثفها أن تؤثر على الإنسان والطبيعة ، كما يمكنها أن تتجسد وتصبح عبارة عن

---

(1) يتمثل العائق الابستمولوجي عند غاستون باشلار في عوامل ذاتية داخلية ، ناتجة عن طبيعة التكوين النفسي والعقلي للباحث . أما نحن فنطلقه على كل ما من شأنه أن يقف حجر عثرة أمام المقاربة العلمية سواء كان داخليا أو خارجيا ، كأن يكون راجعا لطبيعة الموضوع المدروس ، أو وجود شروط أخلاقية كالاستقامة أو قصور ومحدودية الإمكانيات الآلية المستخدمة في الدراسة .

إكتوبلازم **Ectoplasme** (وهو مادة بخارية تحتوي على كلورير الصوديوم وخلايا آدمية ، تظهر عادة في جلسات تحضير الأرواح وتتشكل لتأخذ صورة الشخص المطلوب استحضاره وينطلق رامبا لتفسير بعض الأحداث التاريخية على أساس أنها نتيجة لنشاط «الأشكال الفكرية». فهذه الأخيرة ، كان الفراعنة القدامى على علم ودراية بكيفية استعمالها ، وعن طريقها استطاعوا بناء الأهرام التي تعجز وسائلنا التكنولوجية الحالية عن بناء مثيل لها . كما استطاعوا تحنيط أجساد الموتى بكيفية تتجاوز إمكانياتنا الآلية ، بحيث يسجنون فيها هذه «الأشكال الفكرية» . والكثير من الحوادث التي تواضع الدارسون للعلوم الغيبية على وصفها بأنها نتيجة «للعنة الفراعنة»، ما هي إلا تمظهر لنشاط «الأشكال الفكرية». المسجونة سابقا . فلقد تداول الباحثون حدثا شهيرا يتمثل في كون قرابة أربعين عالما أثريا سعوا إلى استكشاف أسرار الهرم الأكبر وكشفوا عن جثة الملك توت عنخ آمون وفحصوها وحلوا عنها الضمادات . وأثناء هذا الاستكشاف العلمي ، وجدوا ورقة صغيرة مكتوبا عليها : «سيطوي الموت بجناحيه كل من يقلق راحة الملك». والمقصود بالملك هو توت عنخ آمون . وفعلا ففي ظرف سنة تقريبا بعد هذا الحدث ، كان كل المكتشفين عرضة لمخالب الموت أو الاضطرابات العقلية الشديدة . ذلك ما يحكيه كتاب «لعنة الفراعنة» للكاتب الألماني **philipp vandenberg** . ويفسر رامبا هذه الحوادث الأليمة بأنها انعكاس لنشاط الأشكال الفكرية الدينامية التي صنعها الفراعنة بالتركيز ، لحماية الأهرام وجثث الملوك . وقد كان من لا يعرفون عنها شيئا ضحية لفعالياتها . والمستنتج من هذا كله أن كل ما نتخيله وكل ما نفكر فيه له فعالية باطنية . فالتخيل والتفكير يعتبران طاقة دينامية من المستحيل أن تضيع . ففعاليتها مستمرة على الدوام . وقد تجلب للناس الشر كما يمكن أن تجلب لهم الخير .

أما القوة التي تأتي في المرتبة الثانية بعد «التخيل» في «الجنس». وهذا الأخير نفسه يتوقف على التخيل ، فلولا تخيل الذكر للأنثى وما يجده معها من لذائذ لما كان يسعى لتحقيق ذلك الهدف واقعيا . وفي هذا الصدد يبرر رامبا الفكرة القائلة بأن الحيوانات تمتلك قدرة على التخيل وتتمتع بملكات عليا كالذكاء والتفكير ، ويعطي لنفسه صلاحية إثبات هذه الفكرة مادام له اتصال تخاطري مع الحيوانات بحيث يحورها ويفهم خطابها .

أما لماذا يعتبر الجنس هو القوة الثانية في الكون فلأنه إذا مورس بدراية تامة وبطرق خاصة كفيل بأن يستثير قوة الكونداليني فيكتسب الممارس مختلف القوى الباطنية كما أسلفنا .

إن أهم ما يطبع مذهب رامبا هو قوله بوحدة الأديان . وهي مسألة تكتسي أهمية قصوى في اللاهوت والفلسفة والتصوف . ونقدم نموذجا آخر للمواقف المتبنية لها ، يتمثل في موقف الفيلسوف الهندي راما كريشنا(**1836-1886**) الذي يعتبر من أكبر فلاسفة الهند ومفكريها وربما أعظمهم على الإطلاق . لقد انتشرت أفكاره وتعاليمه في القارة الهندية .

يقول عنه الأستاذ مصطفى الزين ما يلي : «بالنسبة للمتتبعين سيرته والمعجبين بتعاليمه الروحية والفلسفية والأخلاقية ، يعتبر راما كريشنا من أضخم العقول التي أنجبتها الهند على

مدى تاريخها الحضاري وحتى عصرنا الحاضر . كما أن الكثير من الفلاسفة الغربيين والمشارقة ينظرون إليه نظرتهم إلى أئمة التصوف الإسلامي أو القديسين والمسيحيين كجلال الدين الرومي والقديس بولس وسواهم..لما تتسم به تعاليمه من محبة إنسانية عميقة شاملة بالنسبة إلى المؤمنين به وبتعاليمه فهو فوق مرتبة القديسين والمتصوفين لأنه بلغ في نظرهم مرحلة الاتحاد بالله وأصبح تجسيدا له على الأرض... » (1)
وتعدتها لتصل إلى أوروبا وأمريكا ومختلف أنحاء العالم حيث أقام أتباعه ومريدوه الكثير من المراكز الثقافية لنشر تعاليمه الروحية وأفكاره الفلسفية . ويمكننا من خلال تحليل الاسم أن نعرف شيئا عن اتجاه هذا الفيلسوف . فلفظة«كريشنا» اسم لأحد آلهة الهنود ، وكلمة«راما» معناها في اللغة السنسكريتية : الاتحاد أو الحلول . وبهذا يكون المعنى الحرفي لـ«راما كريشنا» هو«المتحد بالله» . وبالتالي فهو يؤمن بحلول الله اللانهائي اللامحدود في المادة وأحياء ، والمحدودة النهائية ، لأن الله بشكل وبدون شكل في نفس الوقت . وقد جاءت تعاليمه كرد فعل وكتقويم للأشكال المختلفة والمتناحرة للديانة الهندوكية .

يعتبر راما كريشنا من أئمة الديانة الهندوكية ، وهي من أقدم الديانات . يعتنقها أكثر من أربعمائة مليون هندي ، وليس لها كتاب ولا نبي واحد ولا إله واحد . ولهذا فتصنف انطلاقا من المستوى الثالث من البحث على أساس أنها عقيدة لا دين . ولكننا سنتجاوز الآن هذا التمييز ، باعتبار أننا لم ندخل بعد إلى المستوى الثالث . المهم أن هذه «الديانة» قديمة جدا . فقد ظهرت بأربعين أو ثلاثين قرنا قبل ميلاد المسيح . وكانت مجالا لتحوير وتطوير على طول التاريخ . فنجد من الهندوكيين من يؤمن بأربعة آلهة ، ومنهم من يؤمن بثلاثة أو سبعة أو أكثر . وكلهم يقدسون الحياة ومظاهرها ، والطبيعة بصفة عامة ، لأن الله يتجلى فيها . ولهذا فقد يكون من الخطأ أن نعتبر ديانتهم وثنية ، رغم أنها تبدو كذلك لأول وهلة . فالروح هي المقدسة عندهم في الحقيقة ، لكونها خالدة أبدية مثل روح الله ، وفي اعتقادهم أن كل كائن حي له روح ، ومن هنا وجب تقديسه .

لقد جاء راما كريشنا لتصفية الخلافات باكتشاف أهم شيء في الدين وللمصالحة بين مختلف التصورات البشرية للإله ، وكذلك لمحو الفوارق العرقية والدينية والطبقية في مجتمع ساد فيه الاعتقاد بضرورة اعتبار هذه الفوارق والانتصار لها . وأهم ما يميز عقيدة راما كريشنا التي تتجاوز الديانة الهندية الأرثوذكسية هو إيمانه بوحدة الوجود ووحدة الإنسانية ووحدة الأديان ، وتقمص الروح لأجساد مختلفة عبر ولادات جديدة تصاعدية إلى أن تتحد بالذات الإلهية حيث تذوب وتبقى إلى الأبد .

كيف اكتشف راما كريشنا هذه الوحدة؟ يقول سوامي هيسوا رانندا : «بدأت أولى حالات الضيق النفسي في حياة راما كريشنا عندما اعتنق المسيحية وراح يحاول فهم شخصية

---

(1) الحقائق الروحية الكبرى ص5.دار النهار للنشر بيروت 1978

المسيح ، ولما عجز عن ذلك اعتنق الإسلام محاولا فهم ما تنطوي عليه تعاليمه . إلا أنه ترك الإسلام أيضا وعاد إلى جذور الروحانية الهندية وإلى أسطورة(الآلهة الأم)،حتى إذا ما تجلت له هذه في رحلته الطويلة وأبصر الحقيقة الكونية الشاملة**La vérité cosmique** ، انزاحت عن عقله جميع الحجب وسقطت أمام عينيه جميع الستائر ، وأدرك أن جميع الأديان تقود الإنسان في النهاية إلى الله ، شرط أن يكون الإنسان مخلصا وعميقا في إيمانه » .

لقد توصل راما كريشنا إلى أن الإسلام حق . وقال نفس الشيء للمسيحية ، لقد رأى المسيح في نومه ورأى العذراء وابنها على صدرها . وإذا فكل الأديان صحيحة مادامت تقود إلى الله . فخرج هذا الفيلسوف باستنتاجه النهائي قائلا «إن الله حق ، وكل شيء ما عداه باطل ، باطل...»، وكان يقول عن نفسه إنه يؤمن بأصول الأصول . ويقصد بذلك ما هو جوهري وثابت في كل الأديان أو بمعنى آخر : الحقائق الروحية الكبرى التي تقبع وراء الأشكال الدينية الضيقة الاجتزائية . ومن مبادئ«حركة راما كريشنا» ما يلي :

1- أن الله وحده حق .
2- إذا أردنا أن نؤمن بالله فيجب أن يعيش الإنسان من أجل هذا الهدف .
3- الله واحد ، ولكن الله له ألف اسم وله ألف رسم . فالله ألوانه وأشكاله متعددة لا نهاية لها ، ولكن الله نفسه ليس اسما ولا رسما ولا شكلا ولا حجما .
4- اختر لنفسك أي اسم ، واختر من صور الله وأشكاله وألوانه أي صورة وأي شكل وأي لون ، واعبد الله فهو في كل شيء .
5- لم يخطئ أحد من الذين قبلي ولم يخطئ أحد من الطيبين من بعدي ، فهم جميعا قد اختاروا هدفا واحدا ولكن لهم عشرات السبل .
6- الأديان كلها منسجمة ولكننا لا نرى ذلك أو لا نريد أن نرى ذلك .
7- الله يظهر في ك شيء أو كل شيء هو مظهر من مظاهر الله . السماء ثوبه...الأرض ثوبه...هو هذه الأشياء وهو وراءها وأنت يجب أن ترى الله في كل شيء(1).

إن أول ما يستفاد من هذه المبادئ هو توفيق راما كريشنا بين تجسيد الذات الإلهية وتنزيهها . فإن شئت قلت إن الله في داخلنا ، وإن شئت قلت«إنه يتجلى في الطبيعة» أو إنه يحل في الطبيعة ويتجسد في بعض الأشخاص . وبعد ذلك كله عليك أن تعلم أن الله ليس كمثله شيء .

يبدو هذا كله لأول وهلة ، ركاما من المتناقضات . ومما يزيده تناقضا أن راما كريشنا نفسه يؤمن بالإلهة الأم «كالي» التي ذاب في أحضانها واتحد بها ، وأصبح تجسيدا لها على الأرض كما يؤمن بزوجها«شيفا» (2) الذي يجعل انسياب الزمن ممكنا . والإلهة كالي أم ذات

---

(1) ديانات أخرى ، تأليف أنيس منصور ص 131.الطبعة الأولى دار الشروق بيروت 1983
(2) اسم شيفا حسب العلم الباطني ، ما هو إلا تحريف لاسم النبي شيث عليه السلام .

ثمانيـة أذرع تـربض فـوق أسـد وتقـتـل أطـفالها باستمرار ، وفي نفس الوقت تمنحهـم الحـياة وتعمي بصائرهم ثم تمنحهم المعرفة . يقول سوامي هيسوا راننـدا : ((وهذه متناقـضات يـعـجـز عقلنا عن إدراكها . ومع ذلك فإن في التصوير الأسطوري للوجود وكذلك ضمن كل أسطورة بمفردها يكمن الحل الحقيقي لمشاكلنا النفسية والـوجـوديـة الكـبـرى ولـجـمـيـع المـعـضـلات الأساسية التي يمكن للعقل البشري أن يتصورها . هي ركيزة الحياة نفسها.)) .

ها نحن نعود مرة أخرى إلى القيمة البيداغوجية للأسطورة . وهي مسألة وردت بصدد حديثنا عن موقف اللاما لوبسانغ رامبا . فلا شك أن فهم موقف راما كريشنا لا يتم إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار تسامحه إزاء تـصـور الإنـسان لـلــه ، وأشـكـالـه المخـتـلـفة ، وكـذلك إيمانـه بالقاعدة اللامعقولة للوجود . وهذا تجاوز للعقلانية الغربية التي تبني خـطاباتـها انطلاقا مـن مـسـتـوى معين ذي طبيعة علمية حسابية . ولحل ما قد يبدو تناقضا في تصورات وتعاليـم راما كـريـشـنا نورد بعض الأقـوال المأثـورة التـي سجلها تلامذته ، فهي كـفـيلة بتـوضـيح مراميـه . يـقـول عـن وحدة الأديان ما يلي :

((إن الله واحد في جميع الديانات والمذاهب ، ولكن أسماؤه فقط تختلف . فالماء الذي نفسه فـي أي مكان من العالم تطلق عليه أسماء مختلفة باختلاف الشعـوب . ففي اللغة البنغالية يسمونه ((جالJal وفي اللغة الهندية اسمه- باني **pani** أما البريطانيون فيسمونه وويتر **water**)) ،الخ..الخ إن عدم تمكن البشر من فهم لغات بعضهم البعض يجعل عملية التفاهم بينهم أمرا في غاية التعقيد والصعوبة . فإذا ما تجادل أحدهم مع الآخر ليبرهن لـه أن الماء هو((جال)) أو((باني)) أو ((ووتر)) فإن هذا الجدال يكون أمرا في منتهى العقم والسخرية ، كذلك فإن نفس الشيء يمـكـن أن يقال عن الناس الذين يتجادلون ويتخاصمون باسم الدين)) .

يقول أيضا في نفس الصدد منتقدا للتعصب الديني ما يلي :

((لو سألتني أي دين يجب أن أعتنق لقلت لك : اعتنق الدين الذي يعجبك لأن جميع الأديان هي نفسها فيس النهاية . والجاهل وحده يتعصب لدين معين منها . إن جميع الأديان أشكال مختلفة لجوهر واحد)) .

وواضح أن هذا لا يتفق مـع الـنـظـرة الإسـلامـيـة الـقائمـة علـى أن الإسـلام ينسخ ما قبله من رسالات سماوية كالرسالة المسيحية واليهودية . بالإضافة إلى إيمان المسلمـيـن بـأن الـكـتـب السماوية اليهودية ، وإنجيل الـمـسـيـح قـد تـعـرضت للتغيير والدس والتحريف . ويشفع لـهـذا الموقف ، على الأقل ، أن الإنجيل الحقيقي قد انفقد ولم يبق إلا روايات له تتفق وتختـلـف فـي كثير من المسائل . وتأسيسا على مسألة النسخ هذه ، وختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسـلـم {فـمـن يـبـتـغ غير الإسلام دينا فـلـن يقـبـل منه}. هذا رغم أن الموقف المؤمن بوحدة الأديان وتساويها ، قد يفسر صاحبه كلمة((الإسلام)) الواردة في الآية السالفة أنها تعني الإسلام بمـعـناه العام : أي إسلام القياد لله سبحانه .والإسلام بهذا المعنى ، موجود في كـل الـديانات تـقـريـبا .

لنقرأ هذين النصين حتى نقف على تصريح راما كريشنا بتساوي الأديان :
«الرجل المتعصب المقتنع بأن دينه أفضل من جميع الأديان الأخرى يتحدث ويجادل باستمرار عن هذا الدين بلهجة كلها ضوضاء وحدة . ولكن عندما يمتلىء قلبه بالإيمان الحقيقي ويضيء عقله بالحكمة المشرقة فإن جميع أشكال مشاحناته ومجادلاته الدينية تختفي» (1) .
«عندما يكون الإنسان صالحا ومخلصا فإن أي دين يقوده إلى الله . فـ«الشاختيون»و«الفيدانتيون» و«البرهمانيون» يمكنهم جميعا الوصول إلى الله كذلك اتباع الديانتين المسيحية والإسلامية ، شرط أن يكونوا مخلصين لدياناتهم . هناك بعض الأغبياء من مختلف الديانات ، الذين يقضون معظم أوقاتهم في الجدل والمحاكمة حول أي دين أفضل من الآخر . فترى«البرهماني» مثلا يخاطبك قائلا بإصرار : «إذا أنت لم تعبد آلهتنا«كريشنا» فلا أمل لك بالخلاص أو ليس لك أي رجاء إذا لم تمجد إلهنا«كالي»». كما أن بعضهم لا يتورع عن تهديدك بالهلاك والدمار إذا أنت لم تعتنق ديانته الإسلامية أو المسيحية إلخ إلخ . إن الزعم بأن هناك دينا واحدا صحيحا دون سائر الأديان لأمر منتهى الغباء . وهو على كل حال موقف إنساني بغيض . فجميع الأديان هدفها واحد : الإيمان بالله . كما أن هنالك أناسا غارقين في الجدل حول ما إذا كان لله شكل أم أنه بدون شكل!! وأحيانا تصل بهم المناقشات العميقة إلى حد الخصومة...والوقع أنه لا يمكن التحدث عن الله إلا إذا عاينته ، والذين أوتوا هذه المقدرة الخارقة يعرفون جيدا أن الله ذو شكل وبدون شكل في آن واحد ، وأن الكلمات مهما كانت بليغة تظل عاجزة عن وصفه»ذ(2)

إن هذا هو السر في تسامح راما كريشنا مع مختلف تصورات الإنسان للإله ، وما يقال عن صلته بالإنسان والعالم . ولا شك أنه يتفق مع اللاما لوبسانغ رامبا حول الفكرة القائلة : إن عقولنا في الوضع الراهن وفي مستوى الوعي العادي عاجزة عن تصور الإله تصورا موضوعيا(3) ولكن ما عسى أن يكون«اللــه» عندما يتغير مستوى الوعي بالإشراق الروحي؟ حسب راما كريشنا فإن الله ليس كمثله شيء . فهو محدود ولا محدو ، بشكل وبدون شكل لأنه قادر على أن يجعل نفسه كما يشاء . أما بالنسبة للوبسانغ رامبا فإن الله ليس في آخر المطاف سوى الذات العليا للإنسان أو حقيقة الإنسان الباطنية ، وهنا طبعا يختلف الاتجاهان .

---

(1) الحقائق الروحية الكبرى : مختارات من راما كريشنا ص 70.دار النهار للنشر بيروت 1978
(2) نفس المرجع ص 71 .
(3) بالنسبة للعلوم الدينية الباطنية ، وهي تصنف في المستوى الثالث فإنه يجب على المؤمن المسلم أن يجتنب تخيل الله سبحانه لأنه فوق الإدراك البشري ، وكل ما أمكن أن يخطر بالبال فليس هو .

ولكن للتوفيق بينهما لابد من الاتجاه إلى مسألة مهمة طالما أشرنا إليها وهي الطبيعة البيداغوجية لتصورات الإنسان القائمة حول الإله فيبدو أن راما كريشنا ، انطلاقا من هذا الاعتبار ، يقبل جميع أشكال«الإيمان بالله» ، وجميع ما يجعل بينه وبين الإنسان والعالم من صلة . فيكون هذا إيمانا منه بأن المهم هو الإيمان بالله وكفى .

ولو طرحنا المسألة في إطار إسلامي ، فلا شك أننا سنصطدم بحساسيات وأحكام صارمة . فمجرد مس التصور الإسلامي للذات الإلهية يعتبر كفرا وهرطقة . ولعل المطلع على علم الكلام ومجادلاته القائمة حول الإلهيات والطبيعيات سيعجب لهذا التسرع في التكفير والاتهام بالزندقة والذي يطبع مناقشات المعتزلة والأشاعرة مثلا . والخطر الكامن في هذه الأحكام يتجلى في قيام مبادىء الفرق الإسلامية على التفكير المجرد الذي يغلب عليه الطابع السياسي والمزاج الفردي . لهذا نجد المتصوفة متجاوزين لخلافات كهذه ، لشعورهم بأن المسائل تبدو مختلفة بحسب مستويات الوعي . فإن قال متصوف ما ، في حالة الإشراق«ما في الجبة إلا الله» ، قالوا إن هذه شطحة من شطحات ظاهرها كفر وباطنها إيمان ، لأنها تعبر عن «حال من الأحوال» . فلا يلام عاشق إذا قال لمحبوبته تحت وطأة سكرة العشق«إنها القمر» ، أو «نسيم الفجر» . وبالمثل لا يلام عابد إذا شعر من فرط قربه من الله أن الله يحل في جسمه .

وطبعا فالفقهاء وكثير من المتصوفة أنفسهم ليسوا متسامحين إزاء شنيعة كهذه . فهم يحتكمون إلى النصوص ، ويقيسون الحقيقة بمحك الشريعة . ولذلك فقد أصدروا حكم التكفير على كل من يحطم الهوة بين اللاهوت والناسوت ولو على مستوى الشطحات .

إن هذه الإشارات التي نوردها ، لا يجوز اعتبارها تبرئة لذمة التصوف . فلا شك أنه لو أعدنا النظر في كل هذا انطلاقا من العلوم الدينية الباطنية ، فسوف نجد أن المتصوفة القائل بالحلول أو الاتحاد أو الذوبان هو في خطإ . لأنه في الحقيقة يتصل بقوى طبيعية سبق لشيوخه أن استمدوها ، وهذه القوى الظلمانية تغر به فيعتقد أنه إله أو متصل بالإله .

نعود إلى النصوص الواردة عن راما كريشنا والتي يشرح فيها علاقة الذات الإنسانية المحدودة بالذات الإلهية اللامتناهية . يقول : «خطر ذات يوم لدمية من الملح أن تقيس أعماق المحيط ، فحملت خيطا في طرَفِهِ كرة صغيرة من الرصاص وانطلقت في مسار طويل حتى وصلت إلى شاطيء المحيط وبدأت تشاهد اتساع رقعة مياهه اللامتناهية . إنها حتى الآن ، ما زالت هي نفسها«دمية الملح» ومحتفظة بشخصيتها المتميزة . ولكن ما أن وضعت رجلها في مياه المحيط حتى ذابت كليا فيه وأصبحت جزءا لا يتجزأ منه ولم يعد بالإمكان مشاهدتها أو التعرف إليها . إن الملح المصنوعة منه الدمية مستخرج في الأساس من مياه المحيط وها هو يعود ليذوب فيه ويتحد معه من جديد . لقد عاد«المحدود» ليصبح واحدا مع«اللامحدود». كذلك النفس البشرية ، فهي في النهاية كهذه الدمية من الملح . إنها الذات المحدودة المتميزة . أما الذات الإلهية فهي هذا المحيط اللامحدود اللامتناهي».

ثم إن دمية الملح بعد أن ذابت في مياه المحيط لم يعد بإمكانها أن تعود إلى وجودها الفردي لتشرح أعماق المحيط ، وهذه هي أيضا حال عظماء الروحانيين من البشر الذين غاصوا في أعماق الذات الإلهية واتحدوا معها . لقد أصبحوا هم أيضا ((لامتناهين))و((لا محدودين)) ، ولذلك لم يعد بإمكانهم الخروج من الأعماق كي يشرحوا للعالم طبيعة الله اللامحدودة واللامتناهية . وإذا ما قدر لدمية الملح بعد أن ذابت في مياه المحيط ، أن تعود بقدرة الله - وهذا أمر ممكن- إلى وضعها الفردي لتتحدث عن أعماق المحيط ، فإنه لا يمكنها أن تتكلم إلا بلغة المحدود . أي بلغة المنفصل أو المتميز . وهذا يعني أن عليها أن تتصرف كأحد سكان هذا العالم المادي والنسبي . وهذا هو السبب في أن ((السر الكبير)) يتحدى جميع المحاولات التي تبذل لشرحه . فالمطلق و((اللامتميز)) لا يمكن التعبير عنه بواسطة النسبي والمتميز . إن اللامحدود لا يمكن إدراكه أو شرحه بواسطة المحدود . (1)

وبصدد العلاقة بين المحدود والمطلق يقول : ((الشمس الأكبر بملايين المرات من الأرض ولكن بسبب بعدها عنا نراها صغيرة . كذلك الله لا حدود لذاته ، ولكن بعدنا عنه يمنعنا من تكوين فكرة واضحة عن شموليته)) .
ويستمر في إعطاء الأمثلة قائلا : ((إن حارس الليل لا يرى المارة إلا إذا وجه مصباحه نحوهم . ولكن أحدا من الناس لا يستطيع أن يراه إذا لم يوجه مصباحه نحو نفسه . كذلك فإن اللــه يرى كل واحد منا ، ولكنه لا يظهر لنا إلا بمقدار ما يشاء هو أن يظهر نفسه لنا من خلال نعمه علينا)) .
((إن الله موجود في ذات كل إنسان ولكن ليس كل إنسان موجودا في ذات الله ، وهذا هو سبب شقاء البشر وتعاستهم..)) .

نكتفي بهذه النصوص ، فمن خلالها يتضح تصور راما كريشنا للإله وعلاقته بالإنسان والطبيعة . ونلاحظ أنه يقتسم كثيرا من الخطوط مع الاما لوبسانغ رامبا ، حيث أنه يؤمن بوحدة الأديان والتقمص . كما يتفق معه ومع كثير من الأديان والفلسفات الشرقية على ضرورة الاستقامة والتواضع والاستعداد للموت ، ومحبة الآخرين والصلاة والدعاء ، وعلى التحذير من الركض وراء المال والجاه والشهوات ، ومن الاستسلام لليأس والقنوط والخوف باعتبارها عوائق أمام النفس في رحلتها الروحية . ونجد عنده فكرة شبيهة بما يذهب إليه الباحث الغربي - كولن ويلسن- من أن مجرد الاقتناع بامتلاك القوى الخفية قمين باستثارة هذه القوى فعلا حيث يقول راما كريشنا : ((ليكن واضحا معلوما لديكم أنكم تتمتعون بطاقات لا حدود لها . يجب أن تقتنعوا قناعة تامة بذلك ، وعندما ستجدون هذه الطاقات في نفوسكم دون أدنى ريب.)) .

(1) الحقائق الروحانية الكبرى ص 22

ومن ثم جاءت أهمية الإيمان كدرجة عليا من درجات الاقتناع بأن الله خالق كل شيء ، بيده كل شيء وقادر على كل شيء . فلا يعود إذاك للآلام والمحن والشدائد أية أهمية : «إذا كنت تملك فعلا الإيمان القوي ، فإنك ولا شك سوف تحصل على ما تتعطش إليه» .
والإيمان طبعا يمكن تحليله سيكولوجيا فيصبح نوعا من الإيحاء الذاتي يستطيع صاحبه أن يجترح ما يشبه المعجزات . ولكن من الضروري أن ننبه مرة ثانية إلى وصف الإيمان هنا ، بالإيحاء الذاتي لا ينفي بالضرورة الوجود الإلهي ، ولا يعني بالضرورة كون الحقائق الغيبية ذات صدق ذاتي نفسه لغز من الألغاز . وهو مرتبط بظواهر غريبة كالتنويم المغناطيسي الذي لم تفسره بعد نظرية وضعية تفسيرا شاملا .

يعتبر النسق النظري لراما كريشنا من الأنساق المؤطرة للظواهر النفسية الجانبية ، ولكن موقفه من هذه الظواهر وحكمه عليها ، يختلف بحسب نوعيتها . فلا شك أنه يقر بوجود الشفاءات العجائبية «الخارقة» ويعتبرها مشروعة دينا . كما أنه يقر بالإشراق الروحي كمستوى جانبي من مستويات الوعي : «فكثيرا ما كان يغيب عن الوعي أياما مفتوح العينين ، يرى ما لا يراه أحد ويسمع ما لا يسمعه أحد ، وهو في نفس الوقت في غاية السعادة والإيمان . وكثيرا ما جاء تلامذته وأيقظوه ليأكل أو ليشرب» (1) .
ولقد بدأ هذا النوع من المشاهدات أو لنقل ، من مستويات الوعي ، عندما بلغ راما كريشنا ، الباحث عن الحقيقة الميتافيزيقية ، قمة القلق الوجودي ، فقرر الانتحار لأنه يريد أن يذهب إلى ما وراء كل شيء ، إلى ما وراء الوراء على حد تعبيره . وعندما كان على وشك أن يضرب عنقه جمدت يده في مكانها فرفع رأسه ليرى... أمواجا من النور في كل مكان... «حاولت أن أتنفس ولكنني نسيت كيف كنت أتنفس ، وبأي شيء أتنفس . ولم أعرف حتى معنى التنفس ولا وجدت ضرورة له . سقطت على الأرض لا أشعر بشيء حولي...أي شيء.» (2)
إذا فلا شك أن الإشراق كمستوى جانبي من مستويات الوعي ، وكتمظهر لقوى باطنية معينة ، حسب ما نراه في المستوى الثالث ، هذا الإشراق له مشروعية عند راما كريشنا بوصفه رؤية للحقيقة الكونية . ولكن لو استشففنا موقفه من قوى باطنية أخرى كالكرامات لوجدناه يقر بوجودها ولكنه يحكم عليها بالانحراف باعتبار أنها عائق في وجه التقدم الروحي . يقول مثلا : «تجنبوا مخاطبة الذين يقومون باجتراح العجائب وصنع المعجزات لأنهم ضلوا عن طريق الحقيقة . إن أرواحهم أصبحت أسيرة لشباك طاقاتهم الخفية التي هي في حقيقتها فخاخ على طريق الرحلة الطويلة إلى الله.»
إن بعض من لديهم طاقات خفية يحظون بإعجاب كبير من الناس ويتمتعون أحيانا بمراكز اجتماعية مرموقة . وهو غالبا ما يستغلون هذه الطاقات ليوهموا الناس بأنهم معلمون كبار

---

(1) ديانات أخرى ص 133
(2) نفس المرجع ص133-134

وبالتالي يستدرجون إليهم الأتباع والأنصار . إن الذين يلعبون هذه اللعبة الخطيرة أشبه بمحظيي البلاطات . إنهم يبيعون أنفسهم من أجل غايات سخيفة كجمع المال والشهرة والملذات الأرضية . إن مثل هذه الأعمال مضرة للجسد والعقل والروح ، وانحراف عن الطريق القويمة المؤدية إلى الله(1)(GOURU)

يطرح هذا النص مسألة سبق أن أشرنا إليها ، وهي الحكم القيمي على القوى الباطنية للإنسان. وننبه القارىء إلى بحثنا هذا يضطلع بتحقيق هدفين في آخر المطاف :
أولهما إثبات وجود القوى الباطنية وإبراز أنواعها والعلاقات القائمة بينها ، أما الهدف الثاني فهو إبراز الحكم القيمي على هذه القوى .
وهذه المهمة الثانية سيتم فيها التطرق لحكم الأديان والمذاهب على استثارة القوى الباطنية من حيث كونها مشروعة جائزة أو انحرافية . وعلى سبيل المثال فالدين يقر بالفعالية الحقيقية للسحر ، ولكنه يحكم عليه بالانحراف والضلال... كما هو معلوم...ولمعرفة المزيد عن موقف راما كريشنا من«الخوارق»، نورد ما يحكيه عن أحد اليوجيين إذ يقول : «زارني ذات يوم يوغي كبير يدعى«غيريجا» بينما كنت منصرفا لبعض الرياضات الروحية الصارمة في إحدى الغابات . وبعد أن تحدثنا طويلا هممت بالانصراف عائدا إلى صومعتي ، فما كان منه إلا أن رفع يده اليمنى في الفضاء فخرج منها نور أضاء لي طريق الصومعة. ولكنني نصحته أن يكف عن استخدام هذه القوى الخفية وأن يوجه عقله نحو التفتيش عن الحقائق الروحية الكبرى . والحمد لله أنه عمل بنصيحتي وترك هذه الأمور الخطرة والضارة له وللناس» (2).

إذا فهذا إقرار صريح من راما كريشنا بأن استعمال القوى الباطنية هو انحراف عن طريق الترقية الروحية . فالأهم من كل شيء عنده هو الوقوف على الحقائق الروحية الكبرى بواسطة الإشراق الروحي الذي يأخذ به «اليوغي» المعرفة ، ويتعلم المحبة الوجودية ، فيعرف الله ويجعل لنفسه صلةً مباشرة به . يقول : «لا يكفي أن نكون مقتنعين بوجود الله ، فحتى معاينة الله ليست هي الدرجة العليا في الحياة الروحية ، يجب أن تقوم بيننا وبين الله علاقات عائلية وأن تكون صلتنا به مباشرة . بعض الناس سمعوا بوجود الله وبعضهم عاينوه في بعض تجلياته ولكن القليلين منهم «ذاقوه» ... (3)» .

(1) الحقائق الروحية الكبرى ص 57
(2) نفس المرجع ص 58
(3) نفس المرجع ص 92

هانحن نؤوب مرة أخرى إلى مسألة :الرفع من مستوى الوعي . حيث أن الخالق موجود ، ولم يبق لنا سوى أن نذوقه . وهذا لا يتم إلا بتغير مستوى الوعي حتى ينطبع على صفحة الشعور ما لا ينطبع عليها عادة من حقائق كبرى . وإذا كان راما كريشنا يستنكر تأثير الإنسان على الطبيعة بقواه الباطنية ، فالأغرب من ذلك أن يستنكر واجهة أخرى لهذه القوى تتمثل في ظاهرة التخاطر **Télépatie** . فلقد أنكر على أحد تلامذته تعلمه لاستخدام القوى الخفية بحيث أصبح بإمكانه أن ينقل أفكاره إلى الآخرين . وليس لراما كريشنا تبرير آخر لهذا الحكم بالانحراف على مستخدمي القوى الباطنية سوى أنها تقف عائقا في وجه الرحلة الطويلة إلى الله . ولكنه لا يتوسع في المسألة ليبرز لنا كيف تعوق فعلا السير في هذه الرحلة ، وما وجه الانحراف فيها . ولا شك أن أحكام راما كريشنا ستَبدو للباحث متناقضة إذا ما اكتشف يوما ما أن الإشراق الروحي ، الذي يجيزه الفيلسوف الهندي ويستحسنه ، هو نفسه واجهة من واجهات القوى الباطنية ، حيث تتمظهر هذه الأخيرة على صفحة الوعي ليتمكن الإنسان من رؤية ما لا يراه الآخرون وسماع ما لا يسمعونه . إنه لا يمكن أن نرد على مثل هذا الانتقاد السالف إلا بزعمنا أن راما كريشنا يستنكر القوى الباطنية بصفة إرادية وأن يكون هناك نوع من المتاجرة باستخدامها . أما إذا حدثت ظاهرة جانبية – بأمر من الله ، على يد أحد العباد فلا يمكن اعتباره منحرفا عن الطريق لأنه مجرد واسطة في هذا الحدث . لكن ما عسى أن يكون موقف فيلسوفنا الهندي لو أن صديقه اليوغي بدلا من أن ينير طريق الصومعة بيده قد قام باجتراح شفاء عجائبي لأحد المرضى فأنقذه من المحنة ، هل سيحكم بانحراف هذا المعالج ، لاستخدامه القوى الخفية في هذا الشفاء أم أنه سيجيز المسألة ويزكيها باعتبار أنها عمل خيري تم نجاحه بإذن الله وقوته التي لا حدود لها ؟

هذا مجرد سؤال استنكاري حسب . فالمعلوم أن راما كريشنا ليس ضد هذا النوع من الشفاء ، أي أنه يجيزه دون التساؤل عن القوى المستعملة فيه ، وعن مواردها...

إنه لا يمكن أن تتضح لنا حقيقة ما يجوز وما لا يجوز اكتسابه من قوى باطنية إلا بلجوئنا إلى المستوى الثالث من البحث ، وبالضبط ، إلى الاتصال الباطني الديني . ولا شك أن الأحكام التي سيتم إصدارها في هذا المستوى تأخذ بعدا دينيا وقيميّا . ولكن لها تفسيرا باطنيا يجردها من طابع التعسف والاعتباطية ، حيث يعاين الباحث القوى المستعملة بأنواعها المختلفة ، ويعرف أصولها ومواردها وصلتها بالإنسان جسدا وعقلا ، وبالطبيعة وما فوق الطبيعة . أما أحكام راما كريشنا ، فيبدو أنها قاسية ومجحفة بحق القوى الباطنية ، حيث إن فيلسوفنا يشدد فقط على أهمية الإشراق والمعرفة والرفعة من مستوى الوعي لمعاينة الله وإقامة صلة عائلية به دون أن يقيم تمييزا بين القوى المستعملة ويبرز حكمه عليها . ولو استطلعنا موقف اللاما لوبسانغ راما من جديد على سبيل المقارنة ، لوجدناه لا يرفض إلا السحر . كما أنه يمنع المبتدئين في السير الروحي من «استحضار الأرواح» على سبيل الاحتياط فقط لا على

سبيل المنع البات . بل إنه يحبذ استثارة القوى الخفية ، وخصوصا العقلية منها . ويقدم لنا تمارين خاصة في كتابه«أسرار الهالة» ، تمكن الممارس من القدرة على رؤية الهالة المحيطة بالأجسام والقدرة على التخاطر والاستبصار ورؤية المستقبل والسفر خارج الجسد والدخول إلى العالم الروحاني ، وقياس الأثر الروحي **Psychométrie** (معرفة تاريخ الأشياء وتاريخ الأشخاص الذين سبق لهم أن لمسوها أو استعملوها). كما أن رامبا ليس ضد التنجيم ، بل أكثر من ذلك فإنه يحبذ الإلمام به وممارسته لمعرفة مستقبل الأشخاص وقدرتهم . ويسعى الاما رامبا بقرائه وتلامذته إلى إحداث هذه الظواهر المذكورة آنفا ، بصفة إرادية . ولكن علينا أن نلاحظ في هذا الصدد ، أنه لم يورد من الظواهر النفسية الجانبية التي يستحب السعي إلى إحداثها سوى ما هو عقلي متعلق بـ«المعرفة» . أو لنقل بلغة العصر الحالي : ما هو متعلق بالمعلومة **information** .(وجدير بالذكر أن الباحث المعاصر قد يختزل المقولات الأرسطية المتعددة كالمكان والزمان والعدد والنسبة ، في مقولتين أساسيتين هما: المعلومة ولها علاقة بالوعي إذ يقوم عليها أساسا ، والطاقة ولها علاقة بالمادة). وبمعنى آخر فإننا لا نجد بين تمارين وتطبيقات رامبا ما يسعى بالممارس إلى إحداث ظاهرة السيكوكينيزيا (تحريك الجماد بقوة الفكر وحده) أو الطيران في الهواء والمشي فوق الماء ، ولكننا لا نجد أيضا في كتاباته ما يشير إلى اعتباره لهذه القدرات انحرافا عن الطريق المستقيم . إنما نسجل أن تركيزه تم فقط على القدرات«المعرفية» أي التي تؤدي إلى جلب المعرفة . ولعل هذا يستقيم مع قوله بأن أهم شيء في الحياة هو المعرفة التي يعود الإنسان للتجسد على الأرض من أجل المزيد منها ، وللرفع من مستوى المعلومات والاهتزازات الروحية لديه .

ها نحن نجد أنفسنا أمام مسألتين تعتبر العلاقة بينهما جدلية ، ألا وهما : المعرفة والقوة . فلا شك أن كثيرا من الخلافات القائمة بين المذاهب والأديان ، يرجع أصلها إلى اختلاف وجهات النظر حول ما إذا كان من اللازم السعي إلى المعرفة من جهة أو إلى القوة من جهة ثانية . فالمفهوم الأول له ارتباط وثيق بإشكالية الحقيقة . ومن الأكيد أنه يعلو على المفهوم الثاني لأن تحصيل القوة يتطلب معرفة وإلماما بالوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك . كما أن القوة قد تزيد الباحث معرفة ؛ فقد أشرنا إلى أن المعرفة الجانبية حسب المستوى الثالث من البحث ، هي نفسها تمظهر لقوى باطنية يتم تصنيفها وتقييمها بدقة وتفصيل . ولكن في حالة انحراف هذه القوة - والحاكم بالانحراف هنا هو الدين- فإنها تصبح عائقا أمام معرفة الحقيقة . ذلك أنها قد تغر بصاحبها فيعتقد أنه إله أو متصل بالإله مع أنه متصل بقوى الطبيعة فقط . وهذا بالطبع ، خطأ في المعرفة . وعليه فينبغي أن يفهم القارىء جيدا لماذا ربطنا مسألة القوى الباطنية للإنسان بإشكالية«الحقيقة الوجودية» . إن هذا الارتباط حتمي . نجد صورة مصغرة له في ارتباط مقولة الطاقة بمقولة المعلومة . وارتباط المعرفة بالقوة .

إذا فيجب أن تلاحظ الجدلية في العلاقة الآتية : أن المعرفة تؤدي اكتساب القوة . وأن القوة تؤدي إلى اكتساب المعرفة . ولكن مقياس الخير والشر يبقى في آخر المطاف كوسيلة لتجديد

القوة المضرة التي تؤدي إلى انتشار الشر ، أو تؤدي إلى الوقوع في خطإ معرفي ، حيث يتصل صاحبها مثلا بقوى الخيال فيظنها واقعا أو يجول في مواطن الدماغ فيظنها مواطن العالم الباطني . وهكذا نجد أنفسنا أمام أحكام من نوع آخر تجيز أو تمنع استخدام أصناف معينة من القوى الباطنية .

...وبعد...

فليس من دون سبب أن نعرض بالضبط نموذجين للمواقف المؤمنة بوحدة الأديان ونحن نتناول مسألة الحقيقة الوجودية . ذلك أن تلك المواقف تعمل أكثر من غيرها ، على إبراز ما هو جوهري ، مشترك بين الأديان ، وتتجاوز جميع أشكال التعصب والرؤى الضيقة التي تحدو بمعتنق عقيدة ما إلى أن يرى الصواب في عقيدته فقط ويرى الخطأ في كل ما عداها دون أن يقوم بأدنى مقارنة أو أن يطرح أدنى تساؤل عن أصول المعتقدات ووجوه الاتفاق والاختلاف فيها. (1) ولهذا فقط استعرضنا موقف اللاما لوبسانغ رامبا المؤمن بوحدة الأديان بدل أن نستعرض موقف مفكر ديني لا تهمه في شيء معتقدات الآخرين ولا وجهات نظرهم. فالأول ، بدون شك ، سيكون أقرب لتفهم طبيعة وحقيقة الدين لأنه على وعي بمشروعية المعتقد الآخر وبأسباب الاختلاف معه .

يجب أن يفهم طرحنا للمسألة بهذا الشكل على أنه منهجي وبيداغوجي . فلا شك أن الاجتزاء بموقفنا في أحد مستويات هذا البحث ، قد يعمي القارىء عن معرفة موقفنا النهائي من المسألة التي نود مقاربتها . إننا نذكر بهذه الاعتبارات ، وبهذه الخطوط التي رسمناها حتى لا نتهم بأننا نغفل الموقف الإسلامي وكون الإسلام آخر رسالة سماوية تنسخ ما قبلها ، بحيث أنه لا يجوز لأي مسلم ، اليوم ، أن يستبدل الإسلام بالمسيحية أو البوذية مبررا هذا الاستبدال بقوله إن الأديان متساوية تؤدي إلى الله . إنما نشير إلى أننا قطعنا على نفسنا وعدا بأن نتقمص ، ما أمكن ، مستوى الوعي لدى الباحثين في مختلف المستويات لأننا ، شخصيا مررنا بمراحل مختلفة وتطورت طرق تفكيرنا حسب مستوى النضج لدينا ، ونتيجة لحقائق جديدة استفدناها من المعاناة الوجودية والتأمل والقراءة ؛ مما جعلنا على وعي تام بطرق التفكير المختلفة التي تقوم حول القوى الباطنية للإنسان ، وحول الحقيقة الوجودية . ولا نخفي على القارىء أننا ، حتى عهد قريب ، كنا شخصيا من المؤمنين بالحركة الروحية الحديثة ، وبالحقائق التي توردها الفلسفة البوذية حول الله والإنسان والعالم ، والموت والألم ، والتخيير والتسيير . وكنا من المؤمنين بأن المهم هو الإيمان بالقوى الخفية للإنسان باعتبار أن الاختلاف بين العقائد والأديان غير ذي أهمية . كما أننا في هذه المرحلة المذكورة ، كنا متحمسين لعقيدة التقمص وما لمسألة وما يكتب حولها من دراسات في الغرب والشرق

---

(1) ننبه القارىء إلى الاعتبارات المنهجية التي حدث بنا إلى طرح آراء جريئة كهذه . لقد خطرت ببالنا في مرحلة سالفة . ولكننا بالقراءة والبحث والتأمل أدركنا فيما بعد أن الإسلام ينسخ كل الرسالات السماوية ويتجاوز كل المعتقدات بالفعل . ولذلك فليس المسلم بمتعصب ولا ضيق الرؤية ، حينما يقرر هذا التجاوز .

ومتحمسين لمسألة القوى الباطنية واستخدامها ومدافعين عن التصوف وطرقه المختلفة ضد كل ما يصمه بالتخلف واللاعقلانية . وقد أطلعنا على عدد لا يستهان به من السحر والتصوف والغيبيات والعلوم الروحانية . فخرجنا بالاستنتاجات والقناعات المذكورة آنفا . ولكن الفكرة الجوهرية في هذه الاستنتاجات : أن للإنسان بعدا روحيا يجب الانتباه إليه وتسليط الأضواء على دقائقه ولو بالدخول في الممارسات والتطبيقات الروحية نفسها . لقد كان يحز في نفسنا الاختلاف والصراع القائمان بي المذاهب الوضعية والمادية من جهة ، وبين المذاهب الروحية والأديان من جهة أخرى . وأكثر من ذلك فإن الاختلاف على صعيد المذاهب الواحد والفكرة الواحدة كان هو نفسه يشعرنا بقلق شديد . فنحن نريد ألا نؤمن بشيء إلا إذا كان مقنعا للجميع دون استثناء . ولسوء الحظ فإن الحقائق الروحية ليست كذلك . فالتأكد من صحتها والوقوف عليها بصفة مباشرة يتطلب شروطا أخلاقية ليس كل الناس مستعدين لتطبيقها لأنهم مشغولون بأشياء أخرى هي أقرب إلى التناول ولا تتطلب أي عزلة أو تركيز أو استقامة . ولكننا رغم ذلك ، كنا مقتنعين بأن الدراسة الرصينة اللامتحيزة ، كفيلة بإلقاء الأضواء على حقائق سوف تصحح سيرتنا وأدواتنا المستعملة في البحث . أما بخصوص الجدل الذي كان يقوم بيننا وبين الأطراف المحاورة فقد كنا نستفيد مما هو بناء فيه ، ونجعل دبر الأذن وتحت القدم ما لا يستهدف سوى النقد من أجل النقد ، مقتنعين بأن سبب العناد هو قلة المعلومات .

يمكن القارىء إذا ، أن يكتشف أن مستويات البحث المطروحة هنا ، هي مستويات قد مررنا بها شخصيا . ولقد عمل المستوى الثالث ، وهو مستوى البحث بقوى العقل ، على تصحيح كثير من المواقف التي خرجنا بها ونحن نقرأ كتابات وتقارير الباحثين الذين استعملوا أدوات المستويين : الأول والثاني . وسوف نوضح معالم هذا التصحيح لاحقا . ونرى الآن من الضروري أن نبرز للقارىء أسباب انتقالنا عبر هذه المستويات ، وأسباب تغييرنا لأدوات ووسائل البحث كلما اقتضى الحال ذلك..

إن مستوى التحقيق والتجريب يضع أيدينا على الحقيقة التالية «أن هناك ظواهر عقلية وفيزيقية جانبية ، لا تخضع للقوانين والنظريات العلمية الحالية . أو بلغة أدق : أن هذه القوانين والنظريات لم تستطع استيعاب تلك الظواهر ، حيث نجد فيها (خرقا) و(تجاوزا) لقوانين الزمان والمكان والمادة والوعي . ولذلك فقد قام علم وضعي هو الباراسيكولوجيا للاضطلاع بدراسة هذه الظواهر وإبراز ما إذا كانت صحيحة واقعية لا خداع فيها ، وما إذا كان من الممكن اكتشاف قوانين ونظريات لها ، فعدم خضوعها للقوانين الحالية لا يعني بالضرورة أنه لا قاعدة لها ولا قانون» .

وفعلا فقد تم الكشف عن كثير من الشروط والعلاقات المتعلقة بالظواهر النفسية الجانبية ، وذلك بفضل تعاضد كثير من الاختصاصيين المنتمين إلى حقول متعددة . فأمكننا على سبيل المثال : كشف العلاقة بين التخاطر والوراثة ، وبين موجات الدماغ ، حيث يصدر الدماغ مثلا موجات ألفا أثناء عملية التخاطر . كما تم كشف العلاقة بين السيكوكينيزيا أيضا ونوع

من الموجات الدماغية هو موجات**Théta** (ثيتا) . وكذلك بين الحدس والإشراق وهرمون السيروتونين الذي تفرزه الغدة الصنوبرية . حيث لجأ كثير من المجتهدين ممن يجمعون إلى الاطلاع على الباراسيكولوجيا معرفة بالفلسفات والأديان ، لجئوا إلى الكشف عن علاقة محتملة بين الإشراق الذي حدث لبوذا ، وبين شجرة التين التي كان مستندا إليها آن حدوث هذا الإشراق إذ يشير هؤلاء المجتهدون إلى نوع التين الذي تنتجه تلك الشجرة يتوفر على نسبة عالية من هرمون السيروتونين وهو عامل أساسي يقف وراء ظواهر الحدس والإشراق كما أسلفنا . فلعل إشراق بوذا يعود إلى إكثاره من أكل هذه الثمرة المقدسة التي تؤثر على الدماغ وتوصل إلى الكشف الصوفي...؟ كما يكشفون عن العلاقة السببية بين التركيز العقلي وإنتاج السيروتونين في الدماغ حيث أن الأول يؤدي إلى الثاني . وإذا كانت هذه الاجتهادات صحيحة فلا بد أنها ستنير للباحث أكثر من طريق . فالملاحظ هنا أن التقارير والحقائق المخبرية رغم محدوديتها وضيق دائرتها ، تعطي للباحث أدوات لمقاربة النصوص القديمة وكشف أسرارها وخفاياها . هذا نموذج بسيط يمكن أن يفيدنا به البحث في المستوى الأول . فالمعلوم أن الباحث يقوم فيه بأداء مهمتين : أولهما : إثبات أن الظاهرة موجودة فعلا . لا غش فيها ولا خداع ، ولاحظ للصدفة . أما الثانية فهي محاولة التفسير والتنظير . وهي مهمة السير في أدائها بطيئا . ولكن إذا صح بالتحقيق والتجريب أن ظواهر جانبية معينة هي موجودة بالفعل ، وبشكل لا يرقى إليه الشك ، فلابد أن هذه الحقيقة نفسها ستصحح موقفنا إزاء ما نسميه بالخوارق والمعجزات والكرامات لأننا غالبا ما ننفي وقوع هذه الأمور باسم العلم ، ونسخر من كتابات الصوفية حول كراماتهم ، كما نسخر من الكتب السحرية القديمة وما يرد فيها من ظواهر التأثير في الإنسان والعقل والطبيعة . وقد يحتقر بعضنا الدين لمجرد أنه يتحدث عن «خوارق مثل هذه ، لا يعترف بها العلم» ..!

فإذا قمنا بتصحيح موقفنا إزاء هذه الأمور ، إثر القيام بعمليات القياس والمقارنة والاستدلال والاستقراء ، فسنكون حينئذ بصدد البحث في المستوى الذي يستهدف بصفة عامة ، تقوم مواقفنا القائمة حول ما يتعلق بالظواهر النفسية الجانبية في التراث والثقافة الشعبية والفلسفية.

وهل يمكننا الاكتفاء بمعطيات المستوى الثاني من البحث؟ يحسن أن تكون إجابتنا على هذا السؤال بشيء من التفصيل ، فنقول : إن البحث في المستويين : الأول والثاني يقودنا إلى اكتشاف العلاقة بين القوى الباطنية ومستوى الوعي الذي يرافق ظهورها . وهذه حقيقة أولى تلزمنا السعي إلى دراسة مستويات الوعي ، وبالخصوص تلك التي تدخلنا فيها التجارب الدينية والصوفية واليوجية والسحرية ، لنرى القاسم المشترك بين الأنساق النظرية المؤطرة، والذي يقف وراء ظهور القوى الخفية لدى الإنسان . أما الحقيقة الثانية المستخلصة من استقراء مختلف أنواع القوى الباطنية فهي وجود ظواهر عقلية جانبية ذات طبيعة عقائدية كاستحضار الأرواح والتقمص والسحر ، حيث إن الكشف عن واقعية وحقيقة هذه الظواهر يحتم علينا تصحيحا عقائديا ما ، ينصب على ما نعتبره هو«الحقيقة» أي على موقفنا من العالم وتصورنا لما هو الواقع . بالإضافة إلى وجود خطابات جانبية أنتجت في مستوى وعي غير

عادي ، وتدعي أنها تبرز «الحقيقة الكونية» الشاملة ، بمعنى أنها تنظر لإشكالية «الحقيقة» أو تضع حلا شاملا لها . فما عسى أن يكون موقفنا إزاء هذه الخطابات؟إننا نجد أنفسنا هنا أمام مسألة«الحقيقة» ومسألة «العقيدة» . والعقيدة هي ، في نهاية المطاف «رؤية للعالم». فيتضح هنا أن مستوى الوعي ذو صلة بمسألة «الحقيقة». فقد يختلف الناس عن هذه الأخيرة بسبب اختلاف مستويات وعيهم ، ونعطي مثلا بموقف كل من الفقيه والمتصوف ، من أصول الدين ومن تفسير النص المقدس . إن الخلاف هنا يقوم على مستوى الوعي حيث يعول المتصوف على الكشف والإلهان الباطني و «العلم اللدني»، في حين أن الفقيه الذي لا يذوق شيئا من هذا كله ، يصدر أحكاما مخالفة ، فيحكم على النصوص الدينية مثلا ، انطلاقا من مستوى الوعي العادي .

لذلك فقد اتجهنا إلى دراسة العقائد وطرق الرؤية إلى العالم وموقفها من الحقيقة . وكأننا قد سعينا هنا إلى تقييم العقائد والمذاهب والمفاضلة بينها انطلاقا من الحقائق المستخلصة من البحث في القوى الباطنية ومن مستويات الوعي أيضا . فمن المعلوم أن الميدانين السالفين يجمعهما ارتباط وثيق . ويكفينا أن تغيير مستوى الوعي هو نفسه يقوم على قوى باطنية معينة . فإذا تغير مستوى الوعي فلابد أن الحقيقة الوجودية أو الميتافيزيقية ستبدو للرائي مخالفة لما كانت تبدو عليه في مستويات وعي أخرى ، على الأقل في تفاصيل صغيرة . فهذه صورة بسيطة للعلاقة التي تربط مسألة القوى الباطنية بالتحقيق في شأن المذاهب والأديان .

لقد خرجنا من مستويين الأول والثاني من البحث ، بالنتيجة الآتية : أن النزعة الروحانية - بصفة عامة ، ذات مزاعم صحيحة ، وأن مستويات الوعي التي تدعو إليها هذه النزعة هي بالفعل مستويات إيجابية يلزم السعي نحو تحقيقها لأنها تولد المعرفة والقوة معا وتفتح أعيننا على الحقيقة بمعناها الكلي . ولكن ما قولنا في الأديان والعقائد الروحية وما يقوم بينها من خلافات؟ هل نقول إن الخلافات القائمة بين البوذية والإسلام مثلا ، ليست ذات أهمية؟ إذا فما عسى أن يكون المهم في الإسلام والبوذية معا؟ هنا قد يجيب الباحث بأن الأهم والأساسي يتمثل أولا : في إقرارهما بوجود القوى الباطنية وبإمكان استخدامها ، وثانيا : في عودتهما إلى الرفع من مستوى الوعي لمعرفة الحقيقة الكونية ومعينتها ، وثالثا : في قولهما بوجود الروح وخلودها ، وبوجود الذات الإلهية ، مع اختلافهما في تصورها ، وتحديد علاقتها بالإنسان والعالم .

ولكن ما عسى أن نقول بالنسبة للاختلاف حول التقمص والثواب والعقاب وعلاقة اللــه بالإنسان؟

قد يجيب الباحث بأن الخلاف حول هذه المسائل لا أهمية له . ولكنه يشمل هنا- في الحقيقة - مسائل أساسية لا تسامح فيها بحيث يؤدي التكفير والاتهام بالانحراف وبالتاي إلى التنافر والتناحر . ونعلم إلى أي درجة يقف التعصب الديني والعقائدي وراء كثير من الحروب والفتن . ونحن يسوؤنا أن ينطلق هذا التعصب من أسس خاطئة ويثير الفتنة فوق ذلك . ولذا نريد أن يقوم نوع من الحوار بين الأديان والمذاهب يتمحور حول مسألة الحقيقة الميتافيزيقية

والاختلاف في تصورها ، والأسباب التاريخية والنظرية لهذا الاختلاف .

وهناك احتمال ثان في الحكم على الخلافات العقائدية : فقد نتبنى موقف رامبا فنختزل مقياس الحكم في القاعدة الذهبية القائلة : «عامل الآخرين بما تحب أن يعاملوك به». وتبعا لذلك تكون كل أشكال الدين مقبولة وليست منحرفة مادامت تأخذ بعين الاعتبار هذه القاعدة . فيكون الاختلاف العقائدي قائما على حيثيات بيداغوجية ، باعتبار أن الكهنة ورجال الدين حسب هذا الزعم – يخاطبون الناس على قدر عقولهم . وقد يصورون لهم «الله» خارج الذات مستقلا عنها بينما هو في الحقيقة ليس سوى الذات العليا للإنسان، فيحاول هؤلاء الناس أن يفرضوا على الآخرين تصورهم لله مع أنه تصور بيداغوجي ، مبسط ، أملاه عليهم الكهنة . فيصمون بالكفر كل من يخالفهم .
وقد يلجأ الباحث إلى مقياس آخر اختزالي للحكم على الخلافات العقائدية ، يتمثل في الآتي : أن المهم هو الاعتقاد وقوة التصديق فقط ولا يهمنا في شيء ، ما يصدق به . لأن هذا الاعتقاد نفسه -لا موضوع الاعتقاد- هو الذي يعطي القوة والمعرفة ، ولكن كما يلاحظ فإن هذا المقياس يغفل أسباب وأخطار الاختلاف ، كما يغض الطرف عن الوجود الموضوعي للحقائق الغيبية . فيكفي أن تؤمن بشيء أكبر وأقوى لتكون على الصراط المستقيم . ولا يهم أن تعتبر هذا الشيء الأكبر والأقوى هو نفسه الله أو الشيطان أو الطبيعة أو الأسلاف أو العقل أو مجرد وجود القوى الباطنية فهو الآخر موضوع الاعتقاد أليس كذلك؟

غير أننا لسنا متأكدين من أن الحقيقة لا يمكن أن تأخذ صبغة ذاتية . ومرة أخرى نرى من اللازم أن تحسم الجلبة التي يثيرها اختلاف حول الحقيقة . فلماذا التناحر والجدل إذا كان كل إيمان مهما كان نوعه ، مشروعا وقائما على أساس سليم؟ وما موقفنا إذا كان اعتقاد معين ، وضد النزعة الروحانية التي قررنا أنها على صواب...هل يجوز لأي إنسان أن يعتقد ما يشاء؟ أو ليست هناك أمور جوهرية ينبغي أن تتوافر في الاعتقاد لكي يكون مطابقا للحقيقة؟ إن هذه المشكلة لمن بين الدواعي التي حدت بنا إلى تجاوز المستوى الثاني ، نحو مستوى البحث بقوى العقل .
لقد خرجنا لحد الآن بموقف يقوم على أن النزعة الروحانية على صواب...ولكن هناك ألف روحانية في الواقع . أي أن المذاهب الروحية هي نفسها تختلف حول كثير من المسائل الجوهرية إلى حد التناحر والرمي بالهرطقة والتجديف . فما العمل إذا؟ وما هي ضماناتنا في حالتي رفض أو قبول أي عنصر من عناصرها؟

هكذا وجنا نفسنا أمام أنساق روحانية مختلفة في تصورها لله والإنسان والعالم ، والخلود والثواب والعقاب ، والتخيير والتسيير ، وطريقة العبادة ، وفي تحديدها لمسؤولية الإنسان في الكون ، كما تختلف مواقفها حول ما يجوز وما لا يجوز استثارته من القوى الباطنية . والملاحظة الأولى أن أغلب هذه الأنساق الروحانية لا تعتمد على معطيات الباراسيكولوجيا

في بناء نفسها ، بل إنها تعتقد على«الوحي» كما هو الشأن بالنسبة لكثير من الأديان ، أو على الإشراق والكشف والاتصال الباطني كما هو الشأن لكثير من المذاهب والعقائد. فنجد فيلسوفا أو كاهنا ما يبني رؤية للعالم ويحدد موقفنا عقائديا من كل ما هو موجود ، ويصدر أحكاما قيمية على قوى الإنسان الباطنية وما عداها...على المعرفة والوجود والقيم . ومورده ومعتمده في ذلك هو الاتصال الباطني الشعوري أو الكشف الذي تم في مستوى من مستويات الوعي فمكنه من معرفة الحقيقة ، وما يجب أن يفعله الإنسان بموجبها . كما نجد نبيا هو الآخر يأتي بدستور في الحياة يفسر ويشرح«الحقيقة» أي ما هو كائن ، ويحدد «الشريعة» أي ما تمليه الحقيقة من عمل أو سلوك . وبمعنى آخر : ما يجب أن يكون . فما عسى أن نفعل إذا اختلف ما يخرج به أمثال هذين الاثنين ، من حقائق ووصايا وأوامر؟ إن الخلاف الذي يعيننا هنا على الخصوص هو ذلك الذي يقوم : أولا حول مسألة الحقيقة . وثانيا حول قوى الإنسان الباطنية والأحكام المصدرة عليها من حيث جواز أو منع استخدامها . إن المعالجة الفعالة لهذه الإشكاليات تحدو بنا إلى استطلاع المستوى الثالث .ونصنف في هذا المستوى كل باحث يعتمد في أخذ المعرفة على«الحدس» أي على تغيير مستوى الوعي بحيث تنطبع عليه الحقائق تلقائيا وبدون أي مجهود فكري عادي . وهذا النوع من البحث لا يعتمد على النقل المرجعي بصفة نهائية . بل يقوم في الباحث بممارسات وتطبيقات«روحية(1)» ليقف بنفسه على الحقيقة ، بما في ذلك حقيقة القوى الباطنية للإنسان . ويمكننا أن ندرج في هذا المستوى أمثال اللاما لوبسانغ رامبا والفيلسوف راما كريشنا والغزالي المتصوف ، والباحثين المغربيين الدكتور التهامي محمد الوكيلي والأستاذ نور الدين عبد الحق .

إن لكل هؤلاء الناس اتصالا شعوريا تم به أخذ الحقائق والمعارف والعلوم بطريقة حدسية باطنية . فلا شك أن ما يكتبه اللاما لوبسانغ رامبا ليس مجرد أحاديث منقولة عن غيره أو حقائق يؤمن بها على سبيل التقليد ويذوق ما يقوله . والمتصوفة أيضا«باحثون» في هذا المستوى لأنهم يتحدثون عما يشاهدونه في خلواتهم من حقائق وما يلقى في قلوبهم من إلهامات وخواطر . ولا يسع الباحث الموضوعي إلا أن يعجب لاتفاقهم حول كثير من التفاصيل والرؤى الباطنية المتعلقة بالغيب ، مع أنهم يعتمدون أساسا على المعرفة الحدسية(2) بل إن كثيرا من روحانيي الغرب ممن لهم اتصال باطني شعوري يتحدثون اليوم باتفاق ، عن تفاصيل مذهلة كالتقمص واستحضار الأرواح والحقائق المتعلقة بهما ، والأجسام الباطنية للإنسان وخصائصها ، والفعالية الكامنة في الأشياء والرموز . وفي تقديرنا أن هذا الاتفاق ليس نتيجة لمجرد التصديق والنقل المرجعي أو التقليد العقائدي...وللتأكد من ذلك نحيل الباحث إلى كتب السحر والتصوف القديمة والحديثة وما يرد فيها من وجوه التصريفات، و من حقائق حول خواص الحروف والأعداد والأوفاق والطلاسم وفعاليات الطقوس وتأثيراتها وإمكانيات الاتصال بالجن ، ليلاحظ نوعا من التماسك ودرجة هائلة من الاتفاق بين الممارسين القدامى والمعاصرين ، حول أشياء لا يتم إدراكها بالحواس .

---

(1) نقول «روحية» مؤقتا ، لأنها في الحقيقة عقلية .

(2) يعجب المرحوم أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام(الجزء الثاني) لاتفاق المتصوفة حول مشاهداتهم واستبصاراتهم رغم أن المعرفة الصوفية ، مبدئيا ، ليست محصلة بالعقل بل بالحدس الموصوف بالذاتية .

ويقيننا أن هذا الاتفاق ليس وليد الصدفة ، بل ناتج عن صحة التـجارب والتصاريف الـواردة في هذه الكتب . وإلا لما تم تكريسها وتأكيدها على طول التاريخ الإنساني بهذا الشكل المكثف وفي بيئات ومناطق مختلفة .

الفـصـل الـرابـــع :

أســس ومـبـررات الــنــزعـــة الــروحــيـة .

ما هي الأسس التي يمكن أن يقوم عليها اتجاه أو حركة روحية؟ أو بـعـبـارة أخـرى ، ما الـذي يبرر انتماء شخص معين إلى اتجاه روحي ما سواء كان مذهبا أو دينا؟
إنه لا يمكن حصر دواعي وحيثيات هذا الانتماء في أربعة أسس يعتمد عليها وهي :

أولا : الوحي : فالمعلوم أن الدين الإسلامي مثلا ، يقوم بالأساس على الوحي الذي نزل علـى الرسول صلى الله عليه وسلم . فعن طريقه أخذت مبادىء الإسلام عقيدة وشريعـة . والـقـرآن كدستور وكمرجع أول للمسلمين يورد حقائق روحية كبرى كوجود اللـه والـمـلائـكـة والـجـن والعرش والكرسي ووجود الروح وخلود الـنفس والـثـواب والعـقـاب والجـنـة والـنـار . وفـي الحديث النبوي أن الإيمان هو«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بالقدر خيره وشره» . فالوحي هنا هو مصدر وأساس الرسالة الإسلامية كاتجاه روحي . بمعنى أن الوحـي هو الذي أنبأنا عن وجود روحي للإنسان يعلو على الجسد .
ثانيا : الاتصال الباطني : بعد القيام بنوع من التطبيقات الروحية ، كالصوم والعزلة والـتأمـل والتركيز والذكر : أي ما يسمى بالرياضات الروحـيـة ، قد ويـتـغـيـر مسـتـوى الـوعـي لـدى الممارس ويتصل بقوى الطبيعة وقوى الأشخاص المـوتـى والأحـياء ، بـأرواح المـوتـى فـي المنام أو اليقظة مما يمكنه من معرفة الحقيقة ومعينتها بنفسـه كـما هـو الشأن بالـنـسـبـة اللاما لوبسانغ رامبا وأهل المشاهدات من الصوفية . فوسيلة أخذ العلم لـديـهـم ولـدى أتـبـاعـهـم هـي الاتصال الباطني الشعوري . وهو حجتهم الأولى والأخيرة في أخذ اتجاه روحـي . ورغـم أن الاتصال الشعوري مسبوق بالاعتقاد والإيمان فهما لا يشكلان ضمانا لصحة النزعة الروحية بقدر ما يشكله الاتصال .
إلا أن هناك باحثين في المستوى الثالث يميزون بين الاتصال الديني والذي تشاهد فـيـه دائـرة صفراء فيها وجه ملثم ، وبين الاتصال الباطني الغير الديـنـي الـذي يـتـم فـيـه اتـصـال الـقـوى العقلية للممارس بقوى الطبيعة(أي قوى الماء والهـواء والتـراب والنار)، أو قـوى الأشخاص الذين امتازوا بالكرامات والقوى الباطنية . وهو اتصال منحرف وغير حقيقي . لذلك يوصـف بأنه خيالي واقعي . ويوجد عند كثير من المتصوفة واليوغيين والبوذيين والروحانيين بصـفـة عامة . ولكننا سنرجىء هذا التمييز إلى الوقت المناسب . يكفي أن نقول إن الاتصال الباطنـي الشعوري هو الآخر أساس لتبني النزعة الروحية حيث أنه يوقف الممارس على هذه النزعـة

تقوم على حقائق لا على أوهام . فالكثير ممن يطبقون الشروط الدينية اللازمة يفاجؤون بالاتصال الباطني دون أن يسعوا إليه قصدا . فيرون صور الأنبياء والرسل في المنام واليقظة ، ويتلقون أوامر ووصايا وتوجيهات ، ويأخذون علوما غريبة ومجهولة ظاهريا ، وكل ذلك يجعلهم على يقين من كون الدين صحيحا ومبنيا على أسس متينة .

واليوم نجد في الغرب حركات روحية لزعمائها ومؤسسيها اتصال باطني ، منه يستقون مبادىء حركاتهم وأسسها وأهدافها ، وبه يلتمسون الحقائق الروحية الكبرى أو «الحقيقة الكونية».ولكي يبقى بعد ذلك أن نتساءل عن العلاقة بين الاتصال الباطني والوحي كوسيلتين للمعرفة والقوة تتدرجان في المستوى الثالث .

إن اللاما لوبسانغ رامبا على سبيل المثال ، يحطم الهوة بين الاثنين . حيث إن الوحي عنده لا يختلف نوعيا عن الاتصال الباطني . وبهذا الاعتبار يضع موسى ومحمدا وبوذا والزعماء الروحيين الكبار في نفس الكفة دون تمييز . ويمكننا التأكد من تقريره لهذه المساواة بقراءتنا لمقدمة كتابه«كهف القدامى» حيث يذهب إلى أن الوحي في متناول الجميع...ولكن باحثين آخرين متصلين بالباطن بالطريقة الدينية الإسلامية يبرزون وجه الخطإ في هذا الزعم موضحين بالعلوم الباطنية نفسها أن مرتبة الوحي مقصورة على الأنبياء والرسل دون غيرهم ولا يمكن للإنسان مهما أوتي من معرفة عقلية أن يصل إليها . ويذهبون إلى أن المتصل بالباطن بالطريقة الغير الدينية لا يتوافر لديه علم يميز به النبوة والوساطة الروحية من جهة وبين النبوة والاتصال الباطني أو التصاعد العقلي من جهة أخرى . وهذا الخطأ المذكور قد يقع فيه أيضا الباحث في المستوى الأول ، أي الباحث بالباراسيكولوجيا حيث أنه قد ينزلق **A** إلى اختزال النبوة في الوساطة الروحية فيعتبر النبي وسيطا من الدرجة العالية **highly divelôped medium** . وهذه العبارة الأخيرة وردت في كتاب «على حافة العالم الأثيري» للسير جيمس آرثر فندلاي، حيث أنه كمهتم بظواهر الوساطة الروحية وقع في نفس الخطإ الاختزالي . ولهذا السبب حكمنا على المستوى الأول من حيث المستوى الثاني المنبثق عنه بأن إمكانيتهما في هذا الصدد محدودة . وبالمثل فإن إمكانيات الاتصال الباطني الغير الديني محدودة أيضا كما سنبين فيما بعد .

ثالثا : التأمل الفلسفي : يعتبر التأمل الفلسفي أساسا لكثير من النزاعات الروحية . فهناك فلاسفة اقتنعوا بصحة الاتجاه الروحي في استقلال عن الوحي والاتصال الباطني الشعوري . فقد قادتهم تأملاتهم وأزماتهم الوجودية ، وتفكيرهم ، إلى الإيقان بأن هناك وجودا للإنسان يعلو على الجسد . وحقا قد يتأثر هؤلاء الفلاسفة بالرسالات السماوية وقد يجارونها في كثير من المزاعم ، أو الحقائق التي تدعو إليها ، ولكنهم لا يفعلون ذلك على سبيل التقليد . فهم لم يعتمدوا على الدين كحجة في أخذهم لهذا الاتجاه . بل إن لهم ضمانات أخرى تتمثل في التأمل الفلسفي القائم حول الوجود الإنساني ومسألة الحياة والموت ومعنى الألم والمعاناة ، وعلاقة الإنسان بالطبيعة وبأخيه الإنسان . وهكذا فهم يتفقون مع الدين على سبيل الصدقة فقط ، ولا يهمهم أن يكونوا معه أو ضده . فهم مع«الحقيقة» التي ينشدونها بواسطة التأمل الفلسفي .

ولكن لو استطلعنا رأي المتصل بالباطن بالطريقة الدينية لقال إن التأمل الفلسفي هو نفسه اتصال باطني لا شعوري ، لا يخرج عن كونه تغييرا لما جاء في الدين رغم ما يبدو من اتفاق ظاهري ، لأن الفيلسوف المتأمل يظن أنه يكتشف ما يتوصل إليه من حقائق بينما هي في الحقيقة تملى من أشخاص منحرفين عن الدين . فالمعلومات والحقائق التي يتوصل إليها الفيلسوف لها مورد باطني معين تؤخذ منه وليست من عنديته بتاتا . بمعنى أنها ليست أصيلة ويطلق المتصلون بالباطن الديني عبارة : «الأصالة الحتمية» على الحقيقة القائلة بأن كل باحث مهما كان موضوع ووسائل بحثه ، فلا بد أن يكون باحثا بقوى النور أو قوى الظلمات ، بمعنى أنه لابد أن يكون -أصلا- مع الدين أو ضده ، ولا يمكننا أن نجزم بأنه يبحث بقوى النور لمجرد اتفاقه مع الدين في كثير من المبادىء والأفكار . فالتغيير والانحراف قد يتسللان بطرق خفية إلى عقل الباحث دون وعي منه . ولكن ليكن واضحا لدى القارىء أن وصف التأمل الفلسفي بأنه اتصال باطني لاشعوري ، هو حقيقة تم التوصل إليها بالمستوى الثالث من البحث بالضبط بالاتصال الباطني الديني . أما الآن فلنقل بكل بساطة إن هناك فلاسفة يأخذون اتجاها روحيا تمليه عليهم تأملاتهم الفلسفية . ولا نقصد أن اطلاعهم على الحقيقة يكون دائما بالحدس بل إن كثيرا منهم يشيدون رؤية روحانية للعالم معتمدين في ذلك على العقل والمنطق فحسب . والحقيقة أنه كثيرا ما يصعب أن يتبين ما كان الفيلسوف ما قد توصل إلى ما يؤمن به من حقائق روحية وميتافيزيقية ، عن طريق العقل وحده أم عن طريق العقل المستعين بالحدس ولو بصفة لا واعية . (1)

رابعا : معطيات البحث العلمي : لا شك أن كثيرا من الباحثين الذين أخذوا منحى روحانيا واقتنعوا بصحة النزعة الروحية ، قد أوصلهم إلى ذلك معطيات البحث العلمي التي أمعنوا فيها النظر واقتنعوا بأن الإنسان ليس جسدا فحسب ، وأغلبهم يعتمدون على الدراسات الباراسيكولوجية القائمة حول الظواهر النفسية الجانبية التي تعجز القوانين والنظريات العلمية الحالية عن استيعابها ، وبصفة عامة ، تلك الظواهر التي يستفاد منها أن للإنسان طبيعة روحية تتجاوز قيود الزمان والمكان والمادة . وعلى القارىء أن ينتبه إلى أن المستوى الذي يؤسس على هؤلاء الباحثون افتراضاتهم هو مستوى التحقيق والتجريب ، الذي يتناول ، فقط مصداقية وأنطولوجية الظواهر النفسية الجانبية . بحيث أنهم لا ينتظرون كلمة الباحث في مستوى والتفسير والتنظير لأن هذا المستوى عبارة عن مشروع ضخم لم يتم بعد توضيح معالمه . فهم يكتفون بإثبات أن الظواهر النفسية الجانبية غير خاضعة للقواعد العلمية الحالية، ومع ذلك لا يمكنهم رفضها لمجرد أنها لا تستقيم مع هذه القواعد . فهي واقعية وحقيقية . إذا فيبقى أن يستنتجوا من مجرد «وجودها» شيئا ما ، وهو أنها ذات طبيعة روحية وأنها تبرز بصفة ملموسة وواقعية ، فعاليات«الروح» وسيطرتها وعلوها على الوجود المادي .

---

(1) كثيرا ما يصعب التمييز -حسب ما يقول ليل واطسون- بين أفكارنا المتوصل إليها بالاستدلال العقلي ، وأفكارنا المحصلة عن طريق التخاطر اللاشعوري أي تلك التي جلبناها - لاشعوريا- من عقول الآخرين بالحاسة السادسة.

وإذا كنا نقرر أن الاتجاه الروحاني لأمثال هؤلاء الباحثين مؤسس على ((معطيات البحث العلمي)). فيجب أن يفهم القارىء مما ذهبنا إليه أن البحث العلمي المرتكز عليه في هذا الصدد لا يقوم إلا بإثبات((صحة الظواهر النفسية الجانبية)) ، ولا يعمل على تفسيرها أو التنظير لها فهذه المهمة الأخيرة أي مهمة التفسير والتنظير هي ، كما أسلفنا ، مجرد مشروع بعيد المدى(1) في ابحث البار اسيكولوجي ولو أنه يبدو من خلال محولاته الأولية احتمال كبير لأن يقف في صف النزعة الروحية .

ومن الباحثين الذين اعتمدوا على معطيات البحث العلمي لإثبات صحة مزاعم النزعة الروحية الدكتور **Alexis carrel** صاحب الكتاب الشهير((الإنسان ذلك المجهول)). وهو يتحدث في ثنايا هذا الكتاب عن الظواهر النفسية الجانبية التي أقنعته بأن للإنسان وجودا روحيا ، كالشفاءات العجائبية والتخاطر والوساطة الروحية . كما أن العالم الأنجليزي **Lyall Watson** الذي يحمل اقتناعا بصحة النزعة الروحية ، وقد اعتمد هو الآخر على نتائج البحث البحث العلمي كما يبدو من خلال كتابيه القيمين : ((الطبيعة الفائقة)) ، وهو مترجم إلى الفرنسية تحت عنوان ((التاريخ الطبيعي لما فوق الطبيعة)) وكتاب((خطأ روميو)) وهو الآخر مترجم إلى الفرنسية تحت عنوان((التاريخ الطبيعي للحياة الخالدة)). ويورد واطسن في ثنايا هذين الكتابين عددا هائلا من الظواهر النفسية الجانبية العقلية والفيزيقية ، وعددا من التجارب التي أجراها العلماء حول هذه الظواهر ، والتي أقنعته بوجود الروح . وهو لا يخفي حيرته كباحث متخصص في البيولوجيا والأنثروبولوجيا إزاء الظواهر المذهلة كـ ((الجراحة الروحية)) (أي الجراحة التي يتم فيها استئصال الزوائد وإزالة الأمراض دون شق للجسد ودون الاستعانة ، بأي مبضع جراحي) ، وظاهرة السيكوكينيزيا والشبح الضاج**poltergeist** ، وسبق العلم **la préscience** والأحلام التنبؤية**les réves prémonitoires** . وفي الكتاب الثاني يتحدث كباحث علمي عن إمكانية الحياة بعد الموت . ويبدو أنه متحمس وخائف في نفس الوقت إزاء الظواهر((الروحية)) المحيرة للباحث العلمي . ويصرح بأنه مستعد إن اقتضى الحال ذلك ، لأن يهجر الوسائل الحالية للمقاربة العلمية ويستبدلها بوسائل أخرى في سبيل كشف النقاب عن تلك الظواهر . ويستفاد من هذا التصريح أن الظواهر((الروحية)) قد لا ينجح البحث العلمي التجريبي الموضوعي في تفسيرها والتنظير لها ، قد لا ينجح حتى في إثبات مجرد ((وجود)) بعضها . فهو يلاحظ بصدد حديثه عن ظاهرتي الشبح الضاج **poltergeist** والتسجيل الجانبي للأصوات المجهولة المصدر (التسجيل الذي يتم على شريط ، بمجرد تركيز الفكر على أحد الموتى)، أن هناك ما يشبه قوى خفية ذكية تجعل الظاهرة الجانبية تروغ من الباحث العلمي المجرب ، ويقول في هذا الصدد :

((عندما أقارن ملاحظاتي مع ملاحظات باحثين آخرين في مختلف أنحاء العالم فإنني ألاحظ أن((الأشباح الضاجة)) تبدأ نشاطها في اللحظة التي يفك فيها المجرب أدواته ، وأن التسجيلات المهمة التي تتم على أشرطة مغناطيسية تضيع بإشعال النار في الشريط قبل تمريره في آلة التسجيل بوقت وجيز ، وأن الشهود ذوي الأهمية يختفون دون أدنى أثر . ومن السهل أن

---

(1) بعيد المدى لأنه يتطلب استقراء ودراسة الظواهر الجانبية النفسية كل على حدة قبل تفسيرها والتنظير لها .

نزعم أن الأمر يتعلق بصدف أو أخطاء تجريبية مادمنا لا نعرف الأشخاص الذين يتعلق بهم الأمر . ولكن الحقيقة أنهم ليسوا ضعافا ولا مصابين بجنون الاضطهاد (البارانويا)، كما أنهم ليسوا ذوي رغبة في أقل شبهة أو غموض . بالعكس فإنهم جميعا يبحثون عن جواب صريح لتساؤلاتهم ، لا عوج فيه ولا مراوغة . ولكن سواء رضينا أم أبينا فيبدو أن هناك أشياء معينة لا يمكن معرفتها أو يجب ألا تعرف ، على الأقل في إطار مقاربتنا الحالية» (1)

يستفاد من هذا النص أن هناك عائقا ابستمولوجيا مجهولا يقف أمام المقاربة العلمية الموضوعية . ولهذا يبدي واطسن استعداده لهجر هذه المقاربة إن اقتضى الحال ذلك .
وتجد الإشارة إلى أن هذا العالم لا يتردد في القول بأن الروح هي التي تقف وراء كثير من الظواهر النفسية الجانبية . فعندما يورد ظاهرة السيكوكنيزيا (تحريك الأجسام المادية بقوة الفكر وحده)، التي يحدثها وسطاء أمثال URI Gelle ونيليا ميخائيلوفا السوفياتية ، فإنه لا يتورع عن اعتبارها تجليا لتأثير الروح على المادة . ويبدو أنه يعطي لمفهوم الروح معنى بيولوجيا فلا يميزه عن مفهوم الحياة . ولكن يكفي أن يجد نفسه أمام الحقيقة القائلة بأن الحياة غير منبثقة عن المادة ، ليساير مزاعم الفلسفة الحيوية والنزعة الروحانية معا . فهو كعالم بيولوجي مرغم على اختزال الروح في ظاهرة الحياة ، وذلك على الأقل خلال الخطوات الأولى لبحثه .
ونورد من كتابه«التاريخ الطبيعي للحياة الخالدة» نصا صغيرا يتجلى فيه بوضوح الانتقال من المناقشة العلمية البحتة للظواهر النفسية الجانبية إلى افتراض الغيب والحقائق الروحية ، حيث يقول :
«...ولكن ما يحدث في الجراحة الروحية يحرجني بعض الشيء . فلا أرى كيف يمكنني تفسير ظاهرة تم ضبطها بهذه الدرجة من الامتياز دون افتراض وجود تنظيم أو قدر وراء كل حياة ، يوجد وراء الانتخاب الطبيعي والصدفة والسببية بل ووراء بقاء الشخصية حية بالتمام بعد الموت .
استنتج من هذا أنه يوجد«شيء ما»في الفراغ
وسموه الله إذا شئتم.» (2)

هذا نموذج واضح لتأسيس قناعات روحية على الظواهر النفسية الجانبية ، أو بالأصح ، على الأزمة الابستمولوجية التي تخلقها هذه الظواهر . ويمكن أن يصنف في نفس الاتجاه كثير من المنتمين إلى الحركة الروحية الحديثة الذين تبنوا المذهب الروحي بعد مشاهدتهم لظواهر الوساطة الروحية والتنويم المغناطيسي ، وبعد استعمالهم لرسائل الأرواح التي أمليت على كثير من الوسطاء ، والتي تصف أوجه الحياة في المستويات العليا للوجود . إن التماسك والمنطقية اللذين يحكمان هذه الرسائل ، بالإضافة إلى تضمنها أنباء مستقبلية وأحداثا بعيدة

(1) Histoire naturelle de la vie éternelle.P.276-277 éditions j'ai lu .paris.1979
(2)Ibid p. 273

عن الحواس تبينت صحتها فيما بعد ، كل ذلك أقنع كثيرا من الملاحظين بصحة الوجود الروحي للإنسان بوجود عوالم أخرى موازية .
ولو حاولنا تصنيف الباحث ليل واطسن حسب الخطاطة المنهجية التي نقترحها في هذا الكتاب ، لوجدناه يبحث في المستويين الأول والثاني ، باعتبار أنه يثبت وجود الظواهر النفسية الجانبية ويحاول تفسيرها والتنظير لها ، وهي مهمة نسندها للمستوى الأول من البحث . وفي نفس الوقت فإن باحثنا يناقش على ضوء معطيات هذا المستوى كثيرا من النظريات الروحية والصوفية ونماذج من التراث الفلسفي الشرقي . بمعنى أنه يقوم بنوع من التقويم والتحقيق إزاء الفلسفة والتراث بصفة عامة . وبالطبع سيعتبر هذا بحثا في المستوى الثاني وإن كان تلقائيا ، ناقصا وغير ممنهج . ولكن الاكتفاء بالمقاربة العلمية الوضعية في دراسة القوى الباطنية للإنسان ، يجعل أمام عوائق ابستمولوجية سبق أن أشار إليها واطسن عندما أعلن استعداده لهجر الوسائل العادية للبحث العلمي . كما يعرضه لكثير من أخطاء الاختزال ولخطإ إغفال التمييز بين أشياء متشابهة في الظاهر يوجد بينها ، مع ذلك ، فارق نوعي مهم لا يتبين بالبحث في المستوى الثالث .

إن القناعات الروحية التي خرج بها واطسون من خلال دراسته للظواهر النفسية الجانبية ، هي بالنسبة للباحث في المستوى الثالث ، ساذجة ينقصها التمييز والتصنيف الدقيقان . وعلى سبيل المثال فهو - شأنه شأن كولن ويلسون- لا يميز بين العقل والنفس والروح والحياة ، بحيث يختزل المفاهيم السالفة الذكر في المفهوم الأخير أي الحياة . ومن جهة أخرى فمن المنتظر أن يثير هذا النوع من الانتقال الذي يتم من العلم إلى الفلسفة ، انتقادات بعض الفلاسفة والابستمولوجيين باعتباره استغلالا للعلم من طرف الفلسفة . ولكن يكفي للرد على هذا النقد المحتمل أن نلفت الانتباه إلى ما أسميناه سالفا بـ«الخصائص الابستمولوجية للباراسيكولوجيا» . فلو كان الأمر يتعلق بجهوية أخرى للعلوم البحتة ، لجاز هذا النقد في بعض الحالات . ولكننا هنا أمام ظواهر لا يمكن تفسيرها طبقا للقواعد العلمية الحالية . وتخرق ، إن جاز التعبير ، أو تتجاوز القوانين والنظريات المعروفة ، إلى درجة أن كثيرا من الباحثين في هذا الموضوع يتحدثون عما يسمى بالبعد الخامس ، مضيفين إياه إلى الزمن وهو البعد الرابع الذي سبق أن أضافه العالم أينشتين إلى الفيزياء حتى تستوعب تلك الظواهر التي عجز نسق بيوتن المسمى بـ«المنطقية» عن استيعابها . وهكذا يطرح البعد الخامس كفرضية لتفسير ظواهر المجلوبات والمأخوذات الروحية **Les apportées-emportées psychiques** وظواهر الاختفاء المفاجيء للمواد والأجسام ، والذي جرى ضبطه بامتياز على المستوى التجريبي . ولعل ما يبرر اقتناع واطسون بوقوف بعد روحي وراء الظواهر الجانبية هو ما يلي :

أولا : أنها معجزة للمقاربة العلمية الحالية على مستوى التفسير والتنظير ، فلا يمكن تفسيرها بقوانين المادة ، راهنا . وإذا فمن المرجح أن تكون روحية .

ثانيا : أن لها علاقة بالوعي . فليست ظواهر جانبية وحسب ، بل هي نفسية جانبية . وبهذا الاعتبار يكون الوعي الإنساني بصفة عامة ، غير مفسر لحد الآن وفقا للقوانين المادية والوضعية الحالية . ولاشك أن وجود ظاهرة جانبية واحدة ، يكفي لإثبات وتبرير هذا الحكم .

ثالثا : كون الوسطاء الذين ينتجون هذه الظواهر ، ذوي علاقة من قريب أو بعيد بالأرواح ، والعالم الآخر بل والعوالم الجانبية . بالإضافة إلى إنتاج البعض منهم لخطابات جانبية تفصل القول في عالم الروح وعلاقته بالعالم المادي .

ولكي نفهم موقف واطسون جيدا ، نكتفي بتسجيل ما يلي : أنه يثبت وجود قوانين أخرى مجهولة تعلو على القوانين العلمية الحالية وتتجاوزها . وهذه القوانين المجهولة مرتبطة بالوعي أساسا ، ولهذا ينسبها إلى الروح ، لأن الروح مبدئيا تعلو على المادة وتتحكم فيها .

ورغم ذلك ، فإذا حكمنا على طريقة استنتاج واطسون انطلاقا من المستوى الثالث ، فلاشك أنها من أردإ الاستنتاج . وقد يعترض عليه الماديون بأن هذه الظواهر قد تفسر يوما ما وفقا للقوانين والنظريات المادية . ولكن إذا حدث ذلك فلاشك أن الأمر سيتعلق حينئذ بـ«مادية» غير التي نعرفها الآن ، وستكون في عداد «الروحانية» بالنسبة لمادية اليوم وذلكم تحصيل حاصل...

ثم إن هذا الاعتراض المادي ، في الحقيقة ، يقرع افتراضا بافتراض آخر ، أن ما خرج به واطسون من قناعات هو في آخر المطاف مجرد افتراضات واحتمالات . ولكن يبقى من حسناته أنه أحس من خلال قراءاته وتجاربه العلمية بأن هناك«شيئا ما» مجهولا تعجز وسائلنا العلمية الحالية عن مقاربته ، وفي نفس الوقت لا يمكن إنكاره لمجرد وجود هذا العجز ، لكونه يتجلى بصفة مادية ملموسة من خلال الظواهر النفسية الغير عادية .

الفـصـل الـخامـس :

الأحـكام القـيـمـيـة العقائـديـة .

ثمة داع آخر يحدو بنا إلى استطلاع المستوى الثالث ، قد أشرنا إليه أكثر من مرة . ويـتـمـثـل في الأحكام القيمية العقائدية المنصبة على الظواهر النفسية الجانبية . ولاشك أن الـباحـث فـي المستوى الأول أي الباحث بالباراسيكولوجيا ، ليس هذا البعد مطروحا عنده بتاتا . فهو يـهـتـم بالسحر والكرامات والوساطو الروحية على حد سواء ، ويغض الطرف عن الأحكام الديـنـيـة التي تصم السحر بالانحراف على سبيل المثال . ذلك أن كل ما يهمه كـباحـث علـمـي هــو أن تكون ظاهرة نفسية ما جانبية ، أي غير عادية وغريبة . وهدفه النهائي من البحث هو الكشف عن القوانين التي تحكم هذه الظاهـرة . وهـي طـبـعا قوانـيـن ليس من الضروري أن تــكــون مسايرة للجداول العلمية الحالية .

أما لو انتقلنا إلى المستوى الثاني حيث نجد أنفسنا أمام خطابات تنتمي إلى التراث والفلسـفـة ، فإننا سنصطدم بالأحكام على السحر بالانحراف رغم أن متعاطيه يكتسب قوة فعليـة لا تـنـكـر فعاليتها . ولكن لحد الآن يمكن القول بأنه لا حرج على الباحث مادام هو نفسه لا يبحث بقـوى العقل . فقصاراه في المستوى الثاني من البحث أن يسـجل وجـود أحـكام قيمية فـي مـخـتـلـف الخطابات ، ثم إصدارها على قوى الإنسان الباطنية ؛ وهـذه الأحـكام تـنـطـق مـن اعـتـبارات دينية وعقائدية مستقلة عن البحث الـعلـمـي الـوضـعـي . ولـكـن كـيـف يـمـكـنـنـا دراسـة هذه الاعتبارات والحيثيات العقائدية ، وكيف نفسر أسباب اختلاف الناس في حكمهم على السـحـر أو الكرامات؟ إن الباحث هنا قد يستنتج شيئا ما إذا قـام بـدراسـة مقارنة لهذه الأحكام القيمية . ولكن لكي يقتنع جيدا بصحة ما يتوصل إليه من نتائج ، عليه أن يبحث بقوى العقل . عليـه أن يكف عن تأمل البحر من بعيد ويدخل في لججه وأمواجه مـباشـرة عـسى أن يحـس بـما قالـه الشعراء الذين تحدثوا عن تجربة الدخول في البحـر...

ونحن أول من يوافق على أن فئة قليلة فقط هي التي لديها استعداد للدخول في تجارب المستوى الثالث . إن القيام بهذا النوع من التحقيق في شأن الوحي والاتصال الباطني والظواهر النفسية الجانبية يتطلب الحماس والإخلاص والصدق . ولسوء الحظ أن أغلب الناس سيصابون باليأس عندما يعلمون أن الدخول إلى هذا المستوى يتطلب القيام بتمارين جسدية وعقلية ، كما يتطلب الاستقامة أو تطبيق أوامر دين معين...نعم سيصابون بالاشمئزاز ويعتبرون نصيحتنا لهم بالبحث في المستوى الثالث ، خبيثة نستهدف بها جعلهم متدينين أو متصوفة أو سحرة رغم أنوفهم . وقد يحتج بعضهم علينا قائلين في انزعاج ((وهل يحتاج التحقيق في موضوع القوى الباطنية إلى كل هذه المتاعب والمغامرات الشاقة يا صاح؟...))

بالنسبة لنا شخصيا نقول ((نعم)) ، لأن الأمر لا يتعلق هنا فقط بالتحقيق في شأن القوى الباطنية ، بل وأيضا بالتحقيق في شأن مسألة((الحقيقة الوجودية)) . ولذلك لزم اللجوء إلى البحث بقوى العقل . أما بالنسبة للباحثين الآخرين ، فقد يكتفون بدراسة التقارير والتوصيات والمشاهدات التي خرج بها أشخاص سبق لهم أن بحثوا في المستوى الثالث . ولاشك أن التوقف عند هذا الحد له ميزته ودروه هو الآخر ، ولو أن الباحث سيجد نفسه في بعض الأحيان أمام اختلافات جديدة تتطلب منه الدخول إلى((البحر)) مرة أخرى .

ولكننا رغم ذلك ، سنلجأ إلى حل يرضي كل الأطراف ، فنقترح أن نرجيء ونؤجل هذا الدخول الفعلي في الممارسات والتطبيقات التي يتطلبها البحث في المستوى الثالث . سنكتفي بتأمل ومناقشة ما كتب وما قيل ، مادام لا يوجد إلا احتمال ضئيل جدا لأن نشاهد شيئا غير ما شاهده الأشخاص الذين سبق لهم أن انغمسوا في تجارب ذلك المستوى .

نعود إلى أسس ومبررات النزعة الروحية التي حصرناها في الوحي والاتصال الباطني والتأمل الفلسفي ومعطيات البحث العلمي ، فنسجل أن الأساسين الأولين يمكن اعتبارهما ، تجاوزا ، وسيلتي بحث في المستوى الثالث . ونقول : تجاوزا ، لأننا سنسقط في نوع من الإسفاف لو اعتبرنا الأنبياء والرسل باحثين بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وكذلك لو اعتبرنا المتصل بالباطن بالطريقة الدينية ، الذي طبق أوامر وشروط الدين على أتم وجه ففوجيء بالاتصال الباطني دون أن يسعى غليه قصدا ، مجرد باحث نضعه في نفس الكفة مع الممارسين الذين يسعون عن وعي وقصد إلى معرفة أو اكتساب القوى الباطنية .

إنما صنفنا الوحي والاتصال الباطني الشعوري كطريقتي بحث في المستوى الثالث لأنهما وسيلتان تؤخذ بهما المعرفة الجانبية والقوة الجانبية أيضا ، فتتم بهما معرفة الحقيقة الكونية من جهة ، كما يتم بهما معرفة واكتساب القوى الباطنية من جهة أخرى . إلا أن هذا الاكتساب محصور ومشروط بحسب النسق المعرفي النظري الذي يؤطره . ولذلك طرحنا الأحكام القيمية كبعد أساسي ينبثق عن المعرفة الجانبية نفسها . فالأنبياء عندما أخذوا معرفة القوى الباطنية ، أخذوا في نفس الوقت علما يبين لهم ما يجب أو يجوز اكتسابه من هذه القوى، وما

يلزم اجتنابه منها كالقوى السحرية التي حرم استعمالها دينا . ونفس الشيء يقال بالنسبة للمتصل بالباطن بالطريقة الدينية ، فلا يمكنه أن يجترح شفاء جانبيا أحد المرضى من معاناته إلا بإذن باطني يُعطى له من طرف مسؤولين في الباطن . وإذا لم يعط له الإذن فلا يمكنه معالجة هذا المريض حتى ولو توافرت إمكانية لذلك .مثل هذه الشروط والحدود نجدها في الأنساق النظرية المؤطرة بوجه عام . وقد تبدو للإنسان العادي غير معقولة وغير ذات معنى ، ولكن المتدين المتصل بالباطن ، والذي يأخذ علوما عن القوى الكونية وقوى العقل والجسم ، يعرف أن هذه الشروط معقولة تماما . والتفسير في هذا قد يطول . وسنكتفي بالقول إن المتدين المتصل بالباطن، تظهر له بصفة جالبة أصول وموارد كل قوة يستعملها الإنسان، ويُعْطى معرفة توضح له ما يضر منها وما ينفع...ويتم اقتناعه بحجج ودلائل ملموسة .

نعود لنتحدث عن علاقة الأحكام القيمية بالمنطق العقائدي ، والمعرفة الجانبية ووسائل البحث في المستوى الثالث . بادىء ذي بدء أن مسألة الظواهر النفسية الخارقة مطروحة بإلحاح على مستوى الفكر الديني حيث نجد أن كثيرا من مفكري ورجال الدين ليس لهم موقف واضح وصريح إزاء هذه الظواهر . وعلى سبيل المثال فإن مسائل ساخنة كالسحر والكرمات والمعجزات يثور حولها الجدل بين المتفقهين في الدين . وأغلبهم يشعرون بالحرج والارتباك كلما طلب منهم تحديد موقف الدين من كرامات الأولياء ومس الجن وبركات الشيوخ والأضرحة ، وكلما طلب منهم إظهار حقيقة السحر ومدى تأثيره الفعلي ، وأصول وموارد القوى المستعملة فيه ، أو إظهار حقيقة العرافة والطلاسم والجداول والأوفاق وعلاقتها بالجن والقوى العقلية وسير الكواكب والأبراج ، وأسرار الحروف والأعداد . إن كثيرا من الفقهاء ليضربون هذه المسائل عرض الحائط ويحسمون فيها قائلين بكل بساطة : ((إن الله تعالى حرم كل ذلك وكفى))، أو((إن تلك الأعمال المنحرفة إنما هي تسخير للجن والشياطين)) . ويسترسلون في سرد النصوص القرآنية والأحاديث النبوية . وهذا بالطبع نوع من التهرب ، فتحريم السحر لا يمنع من معرفته والإلمام بالقوى المستعملة فيه وإظهار حقيقة هذه القوى للناس حتى يجتنبوا استخدانها . وأكثر من ذلم فإن الحجج التي يسوقها كثير من رجال الدين عندما يناقشون مواضيع مثل الكرامات والسحر والبركة ، والجداول والطلاسم هي في أغلبها حجج واهية . ولعل من بينهم من ينفي بصفة قاطعة وجود تأثير للسحر ، ليريح نفسه ويريح الناس ، مع أن في القرآن الكريم نصوصا صريحة تتحدث عن إمكانية التأثير على الأشخاص من بعيد . ونورد على سبيل المثال النص التالي : {ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما نبذ معهم فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان . وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر . فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله . ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم . ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون} البقرة **101-102.**

أجل لقد تبين بالبحث في المستوى الثالث أن الساحر باستخدامه لقوى الطبيعة ، واعتمادا على سير الكواكب وحلولها في الأبراج ، يمكنه تغيير قوى الجسم لدى الرجل أو المرأة ، وبالتالي تتأثر قوى العقل بهذا التغيير فيحدث الانفصال بدافع من الإحساس بالكراهية والنفور وهو تأكيد لما جاء في النص القرآني من إمكان التفريق بين المرء وزوجه .

ومما يبرز وجود نقص معرفي في هذا الميدان عند كثير من رجال الدين ، أن أغلبهم لا يستطيعون أن يشرحوا لماذا يحكمون على مستعملي الجداول والأوفاق بالهرطقة والانحراف مع أن هذه الجداول قد لا تتضمن سوى آيات أو أسماء الله الحسنى وأسماء الملائكة والأنبياء؟ ترى مذا يكون جوابهم لو سألناهم عن وجه الانحراف في هذا؟ بل إن موقف أغلبهم من ظواهر الصرع والمس وما إذا كان يقف وراءها الجن أو قوى الأشخاص الموتى أو الأحياء أو أي شيء آخر ، هو موقف ليس واضحا وينطلق من التخمين والاحتمال . ويضاف إلى ذلك مواقف فقهية متعسفة إزاء العرافة والتنجيم . نعم ، صحيح أن الدين يحرم العرافة والتنجيم . ولكن هذا لا يترتب عنه مطلقا إنكار فعاليتهما الواقعية . إن الإنسان العادي يستمع إلى «ركن المفتي» فيخرج مقتنعا إثر جواب أحد أئمة الدين بأن العرافة محض خرافة ومجرد وهم . ولكنه يوما ما ، بدافع حب الاستطلاع قد يسأل عرافة مشهورة في الأوساط الشعبية ، بل إنه يفاجأ ويستغرب حينما تسرد له السؤال الذي يضمره قبل أن تنبس به شفتاه . وأكبر من ذلك فإنها تخبره باسمه واسم أبيه وأمه وأخيه وابنته الصغرى وتاريخ ومكان ازدياده . كما تنبئه عن الشيء المسروق منه ومكانه ، واسم السارق ومحل سكناه..نعم ، هذه أمور موجودة يشهد عليها آلاف الناس! ويمكن الباحث المتشكك أن يتأكد بنفسه من كون العرافة موجودة لا مجال لإنكار إمكانياتها ، مع عدم إغفالنا ، طبعا ، للحكم الديني المصدر عليها...إنما نعود لنقول إن هذا الشخص الذي أقنعته العرافة بكونها مطلعة على خفايا أموره، سيخرج مقتنعا بأن العرافة أو قارئة الفنجان أصدق قولا من الشيخ المفتي الذي حاول الحسم في المسألة بإنكاره لها ، لمجرد اعتقاده أن الإقرار بوجود فعالية واقعية للعرافة سيترتب عنه القول بأن الإنسان يعلم الغيب مع أنه ، مبدئيا ، لا يعلم الغيب إلا الله .

لا يا أعزائي ليست هذه معرفة بالغيب ، كما أن الأحلام التنبؤية التي تصف بدقة وتفصيل ما سيتم وقوعه فعلا بعد شهر أو سنة ، هي الأخرى حتى ولو حطمت حواجز الزمان والمكان والمادة لا يمكن أن يعتبر مضمونها غيبيا...فالغيب بمعناه الديني ، شيء آخر غير هذا كله . وله تفسير ديني محض . ومن المخجل حقا أن ينكر الناس الواقع المشاهد لكي يتفقوا مع أفكار احتمالية وتأويلات شخصية .

إن هؤلاء الناس يسعون إلى الدفاع عن الدين بطريقة تسيء إلى سمعته وتدفع الناس أكثر فأكثر إلى الإيمان بالسحرة والمنجمين والعرافين لأنهم يصفون الأحداث بكل دقة وتفصيل وتأتي أقوالهم مطابقة للواقع الغائب عنهم . ولذلك فنحن في حاجة إلى تعميق معرفتنا بمسائل

كهذه حتى نفهم جيدا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (كذب المنجمون ولو صدقوا).

لقد شعر بعض المفكرين الإسلاميين بضرورة الانتباه إلى موضوع الكرامات ، ومنهم الداعية الإسلامي سعيد حوى الذي خصص في كتابه «تربيتنا الروحية» ، بعض الصفحات للحديث عنها . لقد استشهد المؤلف بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ووقائع ملموسة لإثبات وجود الكرامات . ويبدو أنه مرتاح وسعيد بهذا الإثبات ، لأنه سينطلق منه كنتيجة ، لإثبات واقعية وصحة المعجزات عن طريق القياس والمقارنة . وقد أشار في آخر المطاف إلى موضوع الكرامات ينبغي أن يحظى باهتمام الداعية الإسلامي باعتباره - أي الموضوع- واجهة ذات أهمية قصوى للدفاع عن الدين الإسلامي في هذا العصر .

كما أن المفكر الإسلامي عبد الرزاق نوفل ، تطرق إلى نفس الموضوع فخصص له كتابا يحمل عنوان : «أولياء الله الصالحون ، وأهل الكرامات والبركات» . وبسط في الكتاب أدلة وشواهد على صحة الكرامات ومشروعيتها الدينية . وإذا كان موقف هذين الباحثين من الكرامات موقفا إيجابيا باعتبارهما يقبلان فكرة وجودها ويقران بمشروعيتها الدينية ويستدلان بها على وجود نواميس متعالية على القوانين المادية المعروفة ، فإن البحث بالاتصال الباطني الديني يبرز حقائق أخرى مخالفة عن الكرامات . حيث يخلص الباحثون إلى اعتبارها هي الأخرى ، سحرا واستمدادا من قوى الطبيعة أي قوى الماء والهواء والتراب والنار ، أو من قوى الأشخاص الذين ادعوا الألوهية أو الاتصال والاتحاد بالله . بمعنى أن القوى المستعملة في الكرامات هي قوى طبيعية وليست فوق الطبيعة . ولذا يلزم المتدين اجتناب السعي إليها باعتبارها قوى ظلمانية يؤدي استمدادها إلى الوقوع في الشرك . وهم يميزون بين قوى النورانية التي يجوز للمسلم أن يستمد منها كالقوتين الصفراء والبيضاء ، وبين القوى الظلمانية التي قد تعطي إمكانيات وفعاليات في الظاهر، كالكرامات ، ولكنها ليست دليلا على سيره في الطريق المستقيم . وسوف نتطرق لنتائج البحث بالاتصال الباطني الديني لاحقا باعتبارها مصححة لموقفنا الإيجابي المعهود من الكرامات ولموقف أمثال سعيد حوى ، وعبد الرزاق نوفل ومصطفى محمود ، إزاء نفس الموضوع .

ثمة كتابات أخرى تنطلق من الدين كأساس للحكم على السحر والكرامات ، ولكنها تعاني من وجود الخلط وانعدام التصنيف والتمييز ومن سوء فهم للنصوص أحيانا . ونأخذ كنموذج لها كتاب «الدين والعلم الحديث»لإبراهيم محمود عبد الباقي ، وهو من علماء الأزهر . يرى هذا المؤلف أن السحر عبارة عن استخدام للجن ، وليس هذا صحيحا في كل الحالات . ومن جهة أخرى فهو يخلط بين السحر والعرافة والتنجيم والإيحاء الذاتي . كما أنه بصدد حديثه عن الكرامات ومحاولته التمييز بينها وبين المعجزات ، يبدو غير واضح عندما يفرض ما يسميه بالحكايات والمنامات«التي تجافي العقل ولا يقرها الشرع» . وكأنه لا يميز بتاتا بين الكرامات الصوفية وبين مشاهداتهم وإلهاماتهم...هذا المؤلف يعمم ويختزل بصفة غير مشروعة ، ويعوزه التدقيق والدخول في التفاصيل المحرجة...ولكن حتى نحكم عليه بإنصاف نسجل له

بعض الحسنات المتمثلة في إقراره بكثير من الفعاليات الباطنية . غير أنه يخطيء في تأويلها وفي محاولته إظهار حقيقتها والعلاقات القائمة بينها . بل إنه أحيانا ينكر وجود تأثير حقيقي لأمور سيتبين لنا فيما بعد أنها ذات فعاليات واقعية لا تنكر . ونسجل أيضا كثيرا من الأحكام الدينية التي يصدرها على السحر والكرامات هي أحكام صحيحة في رأي المتصل بالباطن بالطريقة الدينية ولكن ما يسوقه المؤلف من حجج وحيثيات ، وكمقدمات وأسس لهذه الأحكام ، ليست سليمة ولا يجوز أن تعتبر هي الأسس الحقيقية التي تقوم عليها .

تتجلى بوضوح أخطاء التعميم والتسرع في الحكم وعدم التمييز ، التي يقع فيها المؤلف ، عندما يقول في نفس الكتاب :
«وإنني أحذر إخواني من قراءة الكتب التي شحنت بالخرافات مثل الطبقات الكبرى للشعراني ومن هذه الكتب زهر الربيع ، المجموعة المباركة ، حلية الأولياء ، تنبيه الغافلين ، نوادر القليوبي،قصص الأنبياء للثعلبي ، ما جاء في كتب التفسير عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما من الذين دخلوا في الإسلام لينظروا فتنة الناس بإيجاد الخرافات ودسها في كتب التفسير . ومن هذه الكتب أيضا طبقات الشاذلية الكبرى المسماة جامع الكرامات العلية وما فيها من الكتب التي يضعها أصحاب الطرق الجهلية بالدين ، الذين اشتملت علومهم على خيالات ومنامات شيطانية وحكايات تجافي العقل ولا يقرها الشرع . ويقيني أن ما فيها من خرافات مدسوس على أصحابها» (1)

ونحن نرى الحل لا يكمن في الهروب من القراءة ، بل أكثر من ذلك فإن مضمين هذه الكتب المذكورة تعجز أدوات البحث التي يستعملها المؤلف المذكور ، عن الحسم فيها سلبا أو إيجابا لأنها في الحقيقة بحر متلاطم الأمواج يختلط فيه السحر والتنجيم والتصوف والاتصال الباطني الديني . والتمييز بين هذه المسائل يحتاج إلى مزيد من العلم والمعرفة . وقد سبق أن ذكرنا بأن كثيرا من المتصلين بالباطن يحملون في التراث والتاريخ الإسلامي اسم «متصوفة» مع أن نهجهم متميز عن التصوف على مستوى التطبيقات والمشاهدات والاعتقاد . بل إن كثيرا من المتصوفة أنفسهم انزلقوا نحو ممارسات سحرية غير مشروعة دينا ، ولم يعد جائزا أن نعتبرهم متصوفة بالمعنى المعهود في أوساطنا الفكرية وفي التاريخ الإسلامي .

إن اختلاط الأمور بهذا الشكل هو الذي يجعل رجال الدين في حرج أمام مسائل كالكرامات والسحر والتنجيم ، بل وأمام موضوع خطير كالتصوف . ولا يغربن عن بال الباحث المتدين أن هذه ليست قضية حلال أو حرام فحسب ، كما أنها ليست قضية استنباط للأحكام بتأويل النصوص تأويلا احتماليا . ذلك أن الأمر يتعلق بفهم المسائل المذكورة ومعرفة أسباب تحريمها وتحليلها ، والوقوف على القوى المستعملة فيها وموارد هذه القوى ، وصلتها

(1) الدين والعلم الحديث ص 148-149

بالإنسان والطبيعة وما فوق الطبيعة . إننا الآن في فتنة لا ينكرها كل من تأمل المواقف المختلفة والمتصارعة إزاء هذه المسائل . ويكفي أن نشير إلى أن رجال الدين أنفسهم في خلاف ، لأن أحكامهم غالبا ما تنبثق عن مواقف وأفكار شخصية واحتمالية . وكل منهم يتهم الآخر بسوء فهم وسوء تأويل للنصوص . وإذا لم يختلفوا في الكليات فقد يختلفون في الجزئيات ، وتتناقض آراؤهم بصدد حقيقة السحر حتى ولو اتفقوا جميعا على الحكم الديني القاضي بتجريمه. أما كرامات وتصريفات المتصوفة فما أكثر الجدل حولها وما أكثر الفهوم! الشيء الذي ألزمنا القيام ببحث نزيه لا نجامل فيه أي رأي ، وفي نفس الوقت نأخذ بعين الاعتبار جميع الآراء التي أمكننا الوقوف عليها . ونذكر القارىء بأن ما تحدثنا عنه هنا يدخل أيضا ضمن المهمة الشاقة التي يضطلع بها الباحث في المستوى الثاني ، أي البحث عن نظائر في التراث والثقافة الشعبية والفلسفة . ذلك أن كتابات التراث تعج بالأحكام العقائدية القيمية ، التي تتناول الظواهر النفسية الجانبية الوثيقة الصلة بالممارسة الدينية . وهذه الأحكام نفسها ذات صلة وطيدة بمسألة الحقيقة حيث أن العقيدة أو الرؤية إلى العالم ، هي التي تملي على رجال الدين مثلا الأحكام المتعلقة بالتحليل والتحريم . وهذه العقيدة مسطرة ومبسوطة في نص جانبي تم أخذه عن طريق الوحي ، ألا وهو الكتاب المنزل . ومسطرة كذلك في الحديث النبوي الذي نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب العصمة التي لا ينطق عن الهوى .

هذا بالنسبة للكرامات والتصريفات والسحر . أما بالنسبة للظواهر النفسية الجانبية التي لا ترد في سياق ديني ، أي تلك التي يتم إحداثها في مختبرات الباراسيكولوجيا ، فهي لا تجد معرضة أو استنكار من طرف رجال الدين إلا لماماً . فإذا شاهدوا على شاشة التليفزيون أحد الوسطاء وهو يكسر كؤوسا زجاجية بمجرد تثبيت النظر عليها ، تراهم يبتسمون قائلين : ((ما شاء الله)) ،((يخلق الله ما يشاء)) أو((سبحان الله)) . وأغلبهم يصدقون بوجود مثل هذه الظواهر إذا قامت إليهم في سياق علمي أنها تمظهر لطاقات خفية...روحية . ويرون فيها انتصارا للروح على المادة . أما لو تحدثت لهم عن الظواهر النفسية الجانبية في إطار موضوع كالكرامات أو التصاريف أو السحر أو التنجيم فإنه سوف تثير استنكارات شديدة اللهجة . أن أغلبهم شديدو الحساسية تجاه موضوع الظواهر النفسية الجانبية كلما ورد في سياق ديني أو كان ذا صلة بالعقيدة .

هذا ونحن لا ننكر أن عندنا رجال دين مستنيرين يفتحون صدورهم إزاء أبحاث تتناول الوساطة الروحية مثلا أو التنويم المغناطيسي . ولهم آراء سديدة إزاء كل الأبحاث الروحية التي تجري في الغرب والشرق . وهم لا يرون فيها تفنيدا لما جاء في القرآن ، بل بالعكس فهم يرون أنها رغم خلوها من أخطاء وانحرافات ، تأكيد لما جاء في القرآن والكتب المنزلة إلا أن هناك جوانب لا يستطيعون الحسم فيها وتتطلب البحث بقوى العقل . وذلك كمسألة التقمص وفعالية الطلاسم والرموز ، وبعض الظواهر الجانبية الواردة في القرآن كاستحضار عرش بلقيس ملكة سبإ . فمن المعلوم أن كثيرا من المفكرين وعلماء الدين والمتصوفة يستشهدون بالآية التالية على وجود الكرامات ومشروعيتها الدينية : {قال الذي عنده علم من

الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك}. هذا رغم الخلاف القائم حول هوية الشخص المستحضر . فمن قائل إنه آصف بن برخيا ، ومن قائل أنه الخضر عليه السلام . ولكن تفاسير مثل هذه تبقى احتمالية . أم المتصل بالباطن بالطريقة الدينية وهو باحث في المستوى الثالث ، فيعلم علم اليقين أنه الخضر عليه السلام . ولذلك فلا تصلح هذه الآية في نظره لإثبات كرامات الأولياء..لأن الخضر له حقيقة باطنية أخرى وليس شخصا عاديا ليقاس عليه في هذا الصدد .كما يستشهد الكثير بالآية التالية لإثبات نفس الشيء : {كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا...}الآية . والآية تتحدث عن مريم التي كان زكرياء عليه السلام يقفل عليها المحراب ولا يسمح لأحد بالدخول عليها والاختلاط بها ، ومع ذلك فقد أجمع المفسرون على أنه كان يوجد لديها فاكهة الشتاء في الصيف والعكس . ولكن هذا لا يمنع قيام جدل حول المسألة . وحتى أولائك الذين يستدلون بالآية السالفة على وجود كرامات الأولياء نجد أغلبهم قاصرين عن تحديد وتصنيف القوى المستعملة في ظاهرة الاستحضار هذه . في حين أن المتصل بالطريقة الدينية ، إذا ما ناقشناه في المسألة سيجيب بأن مريم كان لديها المثلث النوراني وأنه ليس غريبا أن تتمتع بقدرة على استحضار أشياء بعيدة بإذن الله وإرادته . وسيردف ذلك بقوله أن هذه الظاهرة لا تجوز تسميتها بالكرامة رغم أن مريم لم تكن نبيا ولا رسولا . إن مفاهيم كالتصوف والكرامة والولي ، والعقل ، تأخذ في العلوم الدينية الباطنية معنى آخر غير الذي تأخذه عندنا عادة في التاريخ والفكر الإسلاميين . وسوف نعرض لهذا التقويم الدلالي والمفاهيمي عندما نتطرق للعلوم الدينية الباطنية وما تقدمه من حقائق جديدة في المسألة .

الفــصـل الـــســادس :

بـيـن مـعـطـيات البـاراسيكولوجيا
واســتـقـلالية المـسـتـوى الـثـالـث

لقد حدا بنا موضوع الأحكام القيمية العقائدية إلى طرح البعد الديني والتطرق إلى مسائل قبل أوانها . ولكننا ننبه الباحث إلى أننا لا نتخذ الدين في شكله النصي كحجة . وليس هدفنا أن نقفز بأعجوبة من العلم إلى الدين . فنحن على وعي تام بالحقائق الثابتة والاحتمالية معا . لقد توصلنا عند مناقشتنا لمسألة الحقيقة وبحثنا عن الرؤية السليمة إلى العالم ، وتوصلنا إلى أن النزعة الروحية على حق . ولكن المسألة لا تحسم بمجرد إثبات هذه الحقيقة . فهناك مذاهب روحية متصاعدة يفند بعضها البعض على مستوى جزئي أو كلي . ولذلك فبحثنا لن يقف عند هذا الحد . ومن جهة أخرى نرى من اللازم أن نتحدث قليلا عن محاولات الباراسيكولوجيا ونبرز ما لا يمكن في حدود المعطيات العلمية الحالية أن تتناوله من ظواهر نفسية جانبية حتى تتبين لنا ضرورة وحتمية البحث بقوى العقل .
وقبل ذلك يحسن بنا القيام بنوع من التصنيف والتمييز حتى لا تختلط الأمور أمام الباحث . فنسجل بادىء ذي بدء أن الظواهر الجانبية بصفة ، توجد ضمنها ظواهر ليس ذات طبيعة نفسية أو عقلية في الظواهر كالأطباق الطائرة ومثلث برمودة وما يسمى بالأماكن المسكونة ، وظهور أشباح الموتى ، والعلاج المغناطيسي بمجرد وضع الأيدي . ولكن يتبين للباحث فيما بعد أنها ذات صلة وطيدة بقوى العقل . وأحيانا لا تتبين هذه الصلة إلا بالدخول في المستوى الثالث كما هو الشأن بالنسبة لظاهرة الأماكن المسكونة ، حيث يتاح للمتصل بالباطن بالطريقة الدينية أن يميز بين ظواهر متشابهة ويتوصل إلى أن العامل الذي يقف وراء الظاهرة السالفة الذكر هو القوى العقلية للموتى أو الأحياء . وله في ذلك تصنيف دقيق بحيث يميز بين أصول وموارد القوى المتجلية ، كما يميز بين الروح والعقل فيعتبر الظواهر النفسية الجانبية بصفة عامة ، ظواهر عقلية . إذ أن الروح . لا يعرف عنها شيء كما هو مستفاد من التوفيق القرآني :{يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا }.

نبرز هذه الاعتبارات السالفة حتى لا يتسرع بعض القراء فيتهمونا بأننا نخرج عن الموضوع عندما ندرج فيه ظواهر«خارقة» ليست ذات طبيعة نفسية في الظاهر . نعم إن هناك ظواهر

جانبية لا تمت بأية صلة إلى ما هو نفسي كالأطباق الطائرة مثلا . ولكن سرعان ما تتبين لنا ضرورة إدراجها في الموضوع عندما نعلم أن بعض الوسطاء يزعمون أن لهم صلة بسكان عوالم أخرى أو يزعمون كما هو الشأن بالنسبة لـ **URI Geller** : يوري جيلر أن قواهم تستمد من هذه العوالم . وإليكم مثلا آخر يوضح الصلة بين موضوع الأطباق الطائرة والظواهر النفسية الجانبية ، يتمثل في وجود تقارير تثبت أن ركاب الأطباق الطائرة لهم قدرات نفسية جانبية يستطيعون بها التأثير من بعيد على من يصادفونه من سكان الأرض . نجد في هذا المضمار دراسات وأبحاثا كثيرة . ويكفي أن نعلم بأن الباراسيكولوجيين يصوغون منذ الآن نظريات عن الوسائل التي ستمكننا من الاتصال التخاطري مع الكائنات الغربية التي تصادف في الفضاء . ولاشك أن للعلماء الروس باعا طويلا في هذه الأبحاث . وهم يعقدون لأجلها الندوات ويلقون المحاضرات . أما بالنسبة لأوساطنا الفكرية فغالبا ما يعتبر الموضوع نوعا من الخيال العلمي والحكايات الخرافية التي تنم عن رغبة يائسة في التخلص من مآسي هذا العالم . ويخجل شبابنا ومثقفونا من مجرد التلميح إلى موضوع كهذا . ولكن ننصح أي إنسان بألا يصدر أي حكم على الموضوع إلا بعد قراءة ما تيسر من كتب وأبحاث تتناول بالدراسة، والاطلاع على ما جاء فيها من شواهد وبراهين مادية ملموسة .

وبعد كل ما ذكرناه ، ليكن واضحا مرة أخرى أن حديثنا عن الصلة بين الظواهر النفسية الجانبية وموضوع الأطباق الطائرة ، ليس معناه أننا نسعى إلى إثبات وجود هذه الأطباق . نحن شخصيا لم نحسم بعد في الموضوع.....وبإمكانكم أن تعتبروا الأطباق الطائرة مجرد خرافة إذا شئتم ، فذالك لن يطعن بتاتا في مشروعية وواقعية الظواهر النفسية الجانبية لأن الموضوعين مستقلان عن بعضهما رغم وجود الصلة الآنفة الذكر .

نتطرق إذا إلى موقف الباراسيكولوجيا من هذه الظواهر التي ترد في كتابات المتخصصين باسم قدرات أو ظواهر بْسي . وهذا الكلمة الأخيرة معناها«الاتصال» أو«التواصل» فوق الحسي الذي يجري بين الكائن الحي وبين حدث ماض أو حاضر أو مستقبلي . وقد يتم هذا الاتصال على مستوى الإدراك فيتعلق بالمعلومة الجانبية ، كما قد يتم على مستوى الطاقة حيث يمكن مثلا تحريك الأشياء الجامدة بعوامل نفسية ، وهنا يتم الاتصال بين الكائن والمادة عبر طاقات مجهولة يتجلى نشاطها بصفة ملموسة .

لقد سعي الغربيون منذ النصف الثاني للقرن الثامن عشر إلى الظواهر الروحية دراسة علمية . فلقد أثار انتباههم كثير من الحوادث الغريبة كطرق الأبواب وانتقال أشياء من مكان إلى آخر وانفتاح النوافذ وانطفاء الأضواء تلقائيا ، فتشكلت لجان للبحث العلمي والتحقيق في شأن هذه الظواهر ، واستغرقت الأبحاث ردحا طويلا من الزمن لتثبت أن الذي يقف وراء تلك الظواهر الجانبية هو نشاط الأرواح . وكان من الباحثين والرواد الأوائل في هذا الميدان القاضي جون وورث ادموند **1816-1874** الذي أصبح فيما بعد رئيسا لمجلس الشيوخ الأمريكي

وجيمس مابس عالم الكيمياء وعضو المجمع العلمي ، وروبيرت هير أستاذ الكيمياء بجامعة بنسلفانيا . كما أن ظواهر الوساطة الروحية وما كان يأتيه بعض الوسطاء من أعمال جانبية مذهلة ، كثيرا من العلماء المنتمين لمختلف التخصصات ، إلى تأسيس جمعيات للأبحاث الروحية . فظهرت أسماء لامعة قامت بدراسات وتحقيقات قيمة في هذا المجال ، ونذكر منها على سبيل المثال وليم جيمس الفيلسوف ورئيس جمعية البحث الروحي (1842-1910)، والسير وليم كروكس الفيزيائي ، غرة علماء أنجلترا والسير أولفر لودج والسير وليم باريت ، والسير ألفرد والاس والدكتور فريديريك ما يرز ، والدكتور جيلي والدكتور أوستي . ومن الباحثين المرموقين نذكر أيضا هنري برجسون الذي ترأس جمعية البحث الروحي ، والأستاذ جيمس آرثر فيندلاي ، والأستاذ ماكنزي الذي كان مدير الكلية البرطانية للعلم الروحي . كما اشتهر بعض الوسطاء في هذا المجال وشغلوا بال العلماء خلال سنوات طويلة بما كانوا يحدثونه من ظواهر جانبية «خارقة». ونذكر منهم الوسيطة الأمريكية السيدة**Piper** التي أسقطت أنظار العلماء لمدة ثلاثين سنة خضعت خلالها للمراقبة والدراسة العلمية ، وكذلك الوسيطة الإيطالية**Eusapia Paladino** التي خضعت بدورها لتحقيقات علمية قامت بها جمعية الأبحاث النفسية ، وشاهد استعراضاتها كثير من العلماء المرموقين كالطبيب النفساني الإيطالي**César Lombroso**والفيزيزلزجي الفرنسي الدكتور شارل ريشيه وأوليفر لودج**Lodge** وفريديريك مايرز **F.Myers** والفيلسوف هينري برجسون**H.Bergson**والفيزيائي بياركوري، والفلكي كميل فلاماريون ، وكثير من رجال العلم والمعرفة.

وهذا وجدير بالذكر أن العلم التجريبي الذي كان مضطلعا آنذاك بالتحقيق في شأن الظواهر الروحية كان يطلق عليه : «علم ما وراء النفس» **LaMétapsychique** العلم يمكن اعتباره الأب الشرعي للباراسيكولوجيا المعاصرة وإن كان يختلف عنها قليلا من حيث الهدف وموضوع البحث . فعلم «ما وراء النفس» كان يعتبر الظواهر النفسية الجانبية في مجموعها راجعة إلى قوى ذكية عاقلة ، في حين أن الباراسيكولوجيا - فيما بعد- ستتناول على وجه الخصوص تلك الظواهر التي تبدو ذات طبيعة عقلية . كما أن علم ما وراء النفس يبحث عن إمكانية وجود حقيقة عليا على المستوى الأخلاقي أو الوجودي ، تستفاد من الظواهر النفسية الجانبية . بينما تسعى الباراسيكولوجيا بكل قوة ، إلى إدراج الجانبي فيما هو عادي ، وتجنب افتراض الحقائق المتعالية .

هذا ويطلق على العلم الذي يتناول الظواهر الجانبية من جهة طاقوية اسم**La Métapsychique** وهو- يعتبر آخر- نوع من الباراسيكولوجيا يتعامل مع ظواهر بْسي**Psi** بمفاهيم طاقوية ، ويسعى إلى معرفة وتحديد الطاقات المتجلية من خلال هذه الظواهر ؟ ومع ذلك فيمكننا -على سبيل التجاوز- أن نعتبر الألفاظ الثلاثة ، رغم اختلاف مدلولاتها ، أسماء لعلم واحد وهو ذاك الذي يختص بدراسة الظواهر الجانبية ، النفسية .

لقد كن علم ما وراء النفس مهتما بظواهر الوساطة الروحية على الخصوص ، وكان يعمل

فيه اختصاصيون ينتمون إلى مختلف جهويات العلم البحث ، قدموا خدمات جلى فيما بخص ما أسميناه بالمهمة الأولى للباراسيكولوجيا(أي التحقيق والتجريب)، حيث أنهم أثبتوا عدم وجود أي غش أو خداع لدى كثير من الوسطاء ، وسجلوا في تقاريرهم وكتبهم صحة ظواهر الوساطة الروحية ، بما في ذلك الأحداث التالية : حدوث قرع على الأبواب وجدران الغرف دون سبب مادي معروف *ظهور أضواء مجهولة المصدر في جو الغرفة ، أو صور أشخاص متوفين تم تصويرها بالأجهزة والآلات *شعور المراقبين باحتكاك أشخاص غير مرئيين بهم *انتقال بعض الأجسام والمواد من مكانها ، وارتفاعها عن الأرض بقوة الإرادة ودون أن يمسها أحد *ارتفاع الأشخاص في الهواء وانطباع بصمات أيد مجهولة على مواد رخوة وضعت خصيصا لاختبار صحة وجود هذه البصمات *ازدياد ونقصان وزن الوسيط أو الحاضرين أو الأشياء الموجودة في الغرفة دون سبب معروف *ممارسة قوى مجهولة للنحت والرسم .

كما لوحظ أحيانا حدوث تغيرات في درجة الحرارة والضغط الجوي في غرفة الجلسات وفي حرارة الوسيط ونبضه ، وظهور رسومات وكتابات على الألواح الحساسة عن طريق بعض الوسطاء بمجرد وضع اللوح الحساس بين يدي الوسيط أو فوق جبينه . وقد يحتاج الباحثون إلى استعمال جهاز للأشعة فوق البنفسجية أو تحت الحمراء ليمكن تصوير هذه الرسومات والكتابات التي يطلقون عليها بالأنجليزية**Thoughtographs**أو**Skotographs**أو **psychographs** (1)
هذا بالإضافة إلى العزف المتقن على آلات موسيقية من طرف قوى عاقلة مجهولة ، وورود رسائل من بعض الأشخاص المتوفين إلى الحاضرين ، وذلك عبر الوسطاء الذين كانوا يتلقون هذه الرسائل عن طريق التخاطر أو الكتابة التلقائية . وكانت تتضمن معلومات دقيقة لا يعرفها إلا المتوفى ومتلقي الرسالة ، بل قد لا يعرفها المتلقي نفسه . أما الوسيط فمن الأكيد أنه يجهل كل شيء عن مضمون هذه الرسائل ، وغالبا ما يكون في غيبوبة أثناء إحداثه للظواهر الجانبية السالفة الذكر .

ومن جهة أخرى فقد سجل الباحثون ظهور مادة في غرفة الجلسات تسمى بالاكتوبلازم **Ectoplasme** ، وهي فريدة في خصائصها وقابلة للتشكل والتلون . ولوحظ أن ألوانها متعددة تتراوح بين الأبيض والرمادي والأسود كما تتراوح كثافتها بين كثافة الضباب أو بخار الماء وبين الصلابة التي يمكنها رفع الأجسام الصلبة . وتحرج من جسم الوسيط على شكل ضباب أو بخار ثم تبدأ في التماسك والتشكل بحسب ما تريده الروح أو الأرواح المهيمنة على الجلسة . هذه المادة لا تنبعث من الجسم ولا تعود إليه إلا في الظلام أو في ضوء أحمر باهت وإلا فإن ارتدادها إلى الجسم بشكل فجائي قد يصيب الوسيط بأضرار جسيمة ، كما لوحظ أن الأرواح تستعمل مادة الاكتوبلازم لتتجسد بها أمام الحاضرين ، أي أنها تستعير هذه المادة من جسم الوسيط لتتجلى بها عيانا .وبمجرد اختفاء الروح يعود الاكتوبلازم إلى الجسم الأصلي . ولمعرفة مزيد من المعلومات عن الموضوع نورد من كتاب ((التنويم المغناطيسي))

---

(1) التنويم المغناطيسي للدكتور مصطفى غالب ص 126.الطبعة الثالثة.مكتبة الهلال بيروت 1981.

للدكتور مصطفى غالب النص التالي : ((ينبعث الاكتوبلازم عادة من فتحات الجسم وبوجه خاص من الفم والأنف والأذنين وأحيانا من مسام البشرة ومن القدمين . وتستخرج هذه المادة من الظفيرة الشمسية للوسيط أو الهالة**L'aura** وأحيانا من القلب لأنه مستودع الدم وأحيانا من فوق الكتف أو من القدمين ، ويحتاج استخراجها إلى مران طويل من الروح وإلى غيبوبة وإذعان طويل من الوسيط . وتضيف إليها الأرواح أحيانا مادة تستخلصها من الأثير ، فيصبح اسمها تيليبلازم **Télépasme** وتبين من تحليل مادة الاكتوبلازم أنها تتكون من خلايا آدمية ومن كلوريد الصوديوم الفيزيقية . ومن المعلوم أن هذه الظواهر الوساطية أثارت مناقشات علمية وفلسفية هائلة تتعلق بوجود الأثير وما يسمى بالجسم الأثيري . والأثير حسب ما يعرفه به كثير من علماء المادة والروح مادة شفافة أو مائع رقيق يعتبر أصل كل أنواع المادة ، وإليه يعود الفضل في تماسكها ، كما يرجع أمر الكهرباء والمغناطيسية والجاذبية . فكل ما يوجد هو عبارة عن اهتزاز معين للأثير . واختلاف رتب الاهتزازات هو السبب في اختلاف المواد نوعيا . يقول عنه السير أوليفر لودج في كتابه**Ether and reality** : ((إذا كان الفضاء مملوءا كله بمادة ما ، وكانت هذه المادة ذات كثافة عظمى ، اعتراضاتنا بخصوص إمكان الانتقال مشكلة هي : هل الحركة ممكنة في الكثافة والامتلاء؟ ولكن هذه المشكلة ليست حقيقية لأن مقاومة الحركة ترجع إلى اللزوجة لا إلى الكثافة . وليس للأثير لزوجة ، فليس هو بالعسل بل هو صاف قراح . والكثافة ليست هي سبب الاحتكاك ولكنها سبب القصور الذاتي . والقصور الذاتي هو ما تبديه الأجسام المتحركة . أما عن الحركة خلال المادة المملوء بها الفضاء فكل ما نقوله هو أن السمكة تستطيع بسهولة أن تتحرك في أعماق البحار . فهذه المشكلة إذا وهمية أو هي يمكن تلافيها مهما كانت صحيحة واقعة .))

ولكننا نعلم أنه رسميا ، يتم نفي وجود الأثير ، استنادا إلى التجارب العلمية التي قام بها الفيزيائيان : مايكلسون ومورلي ، وبناء على كثير من معطيات الفيزياء المعاصرة . غير أن المدافعين عن وجود الأثير أمثال العلم أوليفر لودج يذهبون إلى كل صفات الأثير المتوصل إليها بالبحث ، تدل على أنه مادة كاملة ، مما يمنع من القيام بتجارب عليه . كما يذهبون إلى أنه صلة الوصل بين العقل والمادة باعتباره شديد الشفافية والرقة . ولذلك فهو يروغ من التجارب العلمية والمقاييس المادية . ومهما يكن من أمر فيمكن القول في آخر المطاف بأن الأثير فرضية وضعت لتفسير ظواهر وساطية لا نستطيع فسيرها بالمعطيات الحالية ، مثل ظهور الاكتوبلازم وانتقال أجسام مادية صلبة عبر الجدران والبيوت المغلقة...

هذا وقد استنتج كثير من الباحثين في علم ما رواء النفس وجود ما يسمى بالجسم الأثيري ، من خلال ظواهر وساطية أخرى . وأمكن تصوير هذا الجسم مطروحا خارج الجسد المادي طرحا جزئيا عند الوسيط جاك ويير باستخدام الأشعة دون الحمراء ، كما يستنتج وجود هذا الجسد من خلال ظواهر العلاج الروحي ، فاللورد ماشال داودنج القائد العم للسلاح الجوي البريطاني ألف كتابا اسمه((بوابة الجثث))،ذكر فيه إحدى عشرة طريقة يتم بها العلاج الروحي

ومن بينها الطريقة التي تظهر فيها أضواء مجهولة المصدر في غرفة العلاج ، ذات ألوان مختلفة وتقوم بدور ما في العلاج ، ولعلها ذات صلة بالأثير . وهناك طرق أخرى ينصب فيها العلاج أساسا على الجسد الأثيري الذي يتحكم بدوره في الجسد المادي فيؤثر فيه تأثيرا شافيا .

وقد أشارت البحوث في هذا الصدد إلى أن الجسد الأثيري يتخلل الجسد المادي ذرة ذرة ، وأنه المسؤول عن انتظام العمليات الحيوية في الجسم . وكل خلل في اهتزازات ذلك الجسد غير المنظور ، ينتج عنه خلل عضوي في الجسد المادي . كما أن إعادة اهتزازاته إلى الحلة الطبيعية ينتج عنها عودة النظام إلى وظائف الجسم . والعالم البيولوجي ليل واطسون يعترف بوجود الجسد الأثيري ، ويورد في كتابه «التاريخ الطبيعي للحياة الأبدية»، المعطيات والبراهين العلمية التي أقنعته بوجود هذا الجسد الذي يطلق عليه في ثنايا الكتاب : «الجهاز أو النظام الثاني». ويضع فرضية مفادها أن الأشخاص القائمين بالجراحة الروحية في الفليبين والبرازيل وغيرها من المناطق ، يمارسون عملياتهم على «الجهاز الثاني» مباشرة . وهي فرضية تتفق مع ما يذهب إليه أغلب الباحثين في علم ما وراء النفس .

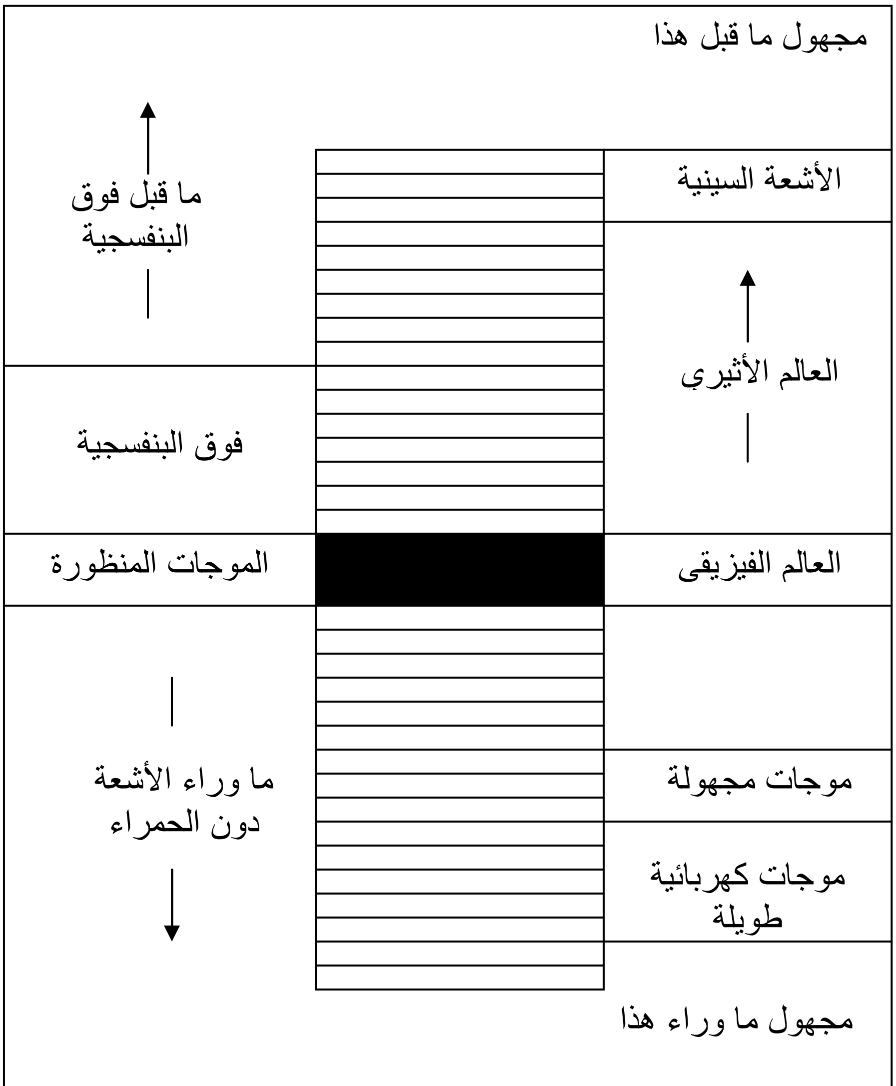
لقد تحدث الاما لوبسانغ رامبا هو الآخر عن الجسد الأثيري ، وهو يميزه عن الجسد النجمي الذي يقوم بالسفر خارج الجسد المادي . والحقيقة أنه يصعب على الباحثين أن يتبينوا ما إذا كانت أجهزتهم قد أثبتت بالتصوير وجود هذا الجسد أو ذاك . والتمييز الدقيق نجده عند الباحث بقوى العقل ، وخصوصا عند المتصل بالباطن بالطريقة الدينية ، الذي يشير إلى وجود ثمانية أجسام باطنية كلها متمايزة ويمكن رؤيتها وفحصها باطنيا .

كما سعى الباحثون في علم ما وراء النفس ، وأغلبهم من علماء الفيزياء ، إلى التوفيق بين حقائق الفيزياء المعاصرة والحقائق المستخلصة من ظواهر الوساطة . وحاولوا تحديد موقع عالم الروح بالنسبة لعالم المادة ، فخرجا بالحقيقة الآتية : أن عالم الروح متداخل مع عالم المادة ، وأنه لا يختلف عنه إلا في درجة الاهتزاز التي تجعله يروغ من إحساساتنا وأدواتنا وتِبَعاً لذلك فإن أرواح الموتى توجد فينا وبجانبنا . وكذلك العالم الأثيري بوصفه اهتزاز كونيا ذا رتبة عالية ، تتجاوز سرعته سرعة الضوء . وهكذا وضع العالم الفيزيائي جيمس آرثر فندلاي صورة لسلم الاهتزازات الكزنية يبين فيها تراتب أنواع الوجود بحسب رتبة هذه الاهتزازات . (انظر الصفحة الموالية) .

وذهب كثير من الوسطاء إلى حد تصوير أوجه الحياة في عالم الروح بكل تفاصيلها ، بما في ذلك الحياة العائلية والمؤسسات الاجتماعية والعمران والبناء ووسائل الاتصال والحياة العاطفية والجنسية . وهذا كله مفصل في كتاب«الإنسان روح لا جسد» للدكتور رؤوف عبيد، فليرجع إليه الراغب في الاستزادة .

لقد اختلف الباحثون المعاصرون حول ما إذا كانت الأرواح هي التي تقف وراء ظواهر

الوساطة أم قوى الوسيط فقط . فالروحانيون يذهبون إلى أن الأرواح هي التي تستحضر في الجلسات ، بدليل أنها تتحدث للحاضرين من خلال الوسيط بصوت غير صوته العادي ، قد يختلف عنه من حيث السن أو الجنس(الذكورة والأنوثة)، وتعطي معلومات عن مواضيع لا يعرف عنها الوسيط ولا الحاضرون أي شيء ، ويتم التأكد فيما بعد من كونها صحيحة . أو ليس هذا دليلا على وجود الأرواح؟...إن أصحاب النزعة الإيحيائية **Les animistes** يجيبون



سلم الاهتزازات الكونية كما وضعه السير جيمس آرثر فندلاي.

بأن كل تظاهرات الوساطة تعود إلى قوى الوسيط الجانبية ، فهي التي تتشكل بصفة أرواح ، بواسطة الاكتوبلازم...وحتى لو أعطى الوسيط معلومات لا يعرفها هو شخصيا ، فإنه يأخذها تخاطريا من بعض الأشخاص الحاضرين أو من شخص بعيد ، وتجسدها قواه اللاواعية في شخص ميت . ومعنى هذا أن القوى الجانبية اللاواعية للوسيط ، تقوم بعملية «تمثيل» الشخص المتوفى بكل ما في الكلمة من معنى ، وتستقي المعلومات اللازمة التي يحتاجها هذا التمثيل ، عن طريق التخاطر أو الاستبصار أو قياس الأثر الروحي . فالمعلوم أن التخاطر والاستبصار لا يتأثران بتاتا ببعد المسافة بين الوسيط والشخص الذي تستقي منه المعلومات .

ومهما يكن من أمر ، فسواء نسبنا تلك الظواهر الجانبية للوسيط أو للأرواح ، فالأمر لا يخلو من غرابة . والتفسيران معا يطرحان من المشاكل أكثر مما يحلانه . الشيء الذي يلزمنا استطلاع رأي الباحث بقوى العقل بصفة عامة ، والمتصل بالباطن بالطريقة الدينية على وجه الخصوص .

كانت هذه عجالة قصدنا بها إبراز موقف ما يسمى بعلم ما وراء النفس ، من ظواهر الوساطة الروحية ، حيث تراوح اهتمام الباحثين بين القيام بتحقيق تجريبي إزاء هذه الظواهر ، وبين جمع وتدوين أدبيات تصور أوجه الحياة في عالم الروح عن طريق الاستعانة بأقوال الوسطاء أنفسهم ورسائل الأرواح . ويمكننا اعتبار هذه الرسائل خطابات سواء نسبت للوسط أو للأرواح وعلى أية حال لابد أن نهتم بها لأنها موضع جدل وتأويلات مختلفة ، حيث يذهب بعض المتصوفة المسلمين إلى أن الذي يحضر ويسرد الرسائل هو أرواح الجن والشياطين التي تهزأ وتسخر من الحاضرين ، ويرون أن أرواح الموتى توجد في البرزخ ولا يمكن الاتصال بها إلا في النوم أو بعض ومضات اليقظة . في حين يذهب آخرون إلى أن الذي يحضر هو قرين الشخص المتوفى باعتبار أنه يحمل نفس الاسم ويعرف كل شيء عن الشخص المطلوب فيزود الحاضرين بكل المعلومات ، ويعتقدون أنه الشخص المتوفى . أما المتصل بالباطن بالطريقة الدينية فيعلم علم اليقين أن الأمر يتعلق بالقوى العقلية للموتى ، والتي تبقى متجولة بعد وفاتهم حيث يمكن الاتصال بها . وهو يرى أن عبارة«استحضار الأرواح» خاطئة تماما ، لأن الروح من أمر الله ولا يعرف عنها شيء بوصفها خارجة عن نطاق الإدراك العقلي . لقد انصب اهتمام علم ما وراء النفس على الظواهر الوساطية خصوصا ، وسمح لنفسه بأن يستخلص منها حقائق متعالية على مستوى القيم . أما الدراسات التي أخذت اسم الباراسيكولوجيا فقد اهتمت بكل الظواهر الجانبية سواء جاءت في سياق الوساطة أو كانت منفردة مستقلة . وعلى سبيل المثال فقد كانت تتناول بالدراسة ظاهرة التخاطر حتى ولو وجدت وحدها عن شخص ما ، وتحاول الكشف عن آلياتها وقوانينها بإجراء تجارب متنوعة على الوسطاء والأشخاص العاديين على حد سواء .
وقد كثرت مراكز البحث الباراسيكولوجي في السنين الأخيرة فأصبحت منتشرة في أمريكا والاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا والهند ومختلف أنحاء العالم . وهذه المراكز

تضم اختصاصيين في مختلف المجالات ، يتعاونون للكشف عن أسرار الظواهر الموصوفة بـ«الخارقة» . والحقيقة أن الباراسيكولوجيا رغم فشلها لحد الآن في صياغة نظرية عامة وشاملة ، قد أفادت الإنسان المعاصر وأغنت رجال العلم بكثير من الحقائق ، وكشفت عن علاقات خفية هي من الغرابة والطرافة بمكان ، مما حدا بالباحثين إلى إعادة النظر في الأديان والمذاهب والفلسفات الشرقية على الخصوص وموقفها من «الخوارق». وأصبحت المكتبات الغربية تعج بمراجع عناوين لافتة للنظر مثل : «من أين تأتي هذه القدرات»، «الإدراك فوق الحسي»-«في اتصال مع العالم الآخر»- «ثورة الدماغ»- «الطاقات الغريبة»- «الإيحاء من بعيد»-«العين الثالثة»- «الأذن الثالثة»-«حيواتنا السابقة»-«رجل العجائب إدغار كايس»- «لعنة الفراعنة»- «بعد الموت»- «البيوت المسكونة»- «الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال»- «حكام غير مرئيين وجمعيات سرية»- «ممارسة فنون العرافة»- وهلم جرا .

ونشير إلى أن هذه الكتب لا تعبر بالضرورة عن موقف الباراسيكولوجيا ، إذ أنها قد تتضمن أبعادا دينية وفلسفية معينة . ولكن أغلبها يضم بين دفتيه من معطيات الباراسيكولوجيا ، حيث يعتمد عليها المؤلفون لتأكيد ما يذهبون إليه من وجود فعاليات عقلية أو روحية مجهولة ، ويعقدون الصلة بينها وبين العقائد والأديان...

ويمكن الدراسة لأدوات البحث الباراسيكولوجية أن يلاحظ وجود تقليد ميتودولوجي في مناطق معينة ، بحيث يعتمد الأمريكيون بصفة خاصة على الإحصاء كأداة للبحث ، إذ يخضعون الوسطاء والأشخاص العاديين لاختبارات مثل اختبار **Zener** **(1)** ويثبتون بحساب الاحتمالات أن النتائج المحصل عليها لا يمكن أن تسمح بها الصدفة وحدها . بهذه الطريقة يثبتون وجود الإدراك فوق الحسي في أغلب الأحيان . أما الباحثون السوفيات فنجد عندهم تقليدا يقضي بالتركيز على الأبحاث الفيزيولوجية والعضوية . وقد يعكس هذا الاتجاه نزعتهم إلى إيجاد قاعدة أو قطب فيزيولوجي لكل ظواهر بْسي . ونعتقد شخصيا أن هذا التنوع في طرق البحث هو شيء إيجابي لأنه باب الحوار وتبادل المعلومات ووجهات النظر ، وسوف يخول النتائج صلابة وقوة .

إلى جانب ما أبرزته الباراسيكولوجيا من حقائق غريبة حول العقل الإنساني ، فقد عملت على تصنيف ظواهر بْسي ومقارنة بعضها بالبعض الآخر . والتصنيف الأولي الذي يمكننا ملاحظته ، يضع في الاعتبار ما إذا كانت ظاهرة معينة ، متعلقة بالإدراك أو بالطاقة ، وبعبارة أخرى ما إذا كانت عقلية أو فيزيقية . وعلى سبيل المثال فإن التخاطر والاستبصار والأحلام التنبؤية ، ظواهر جانبية إدراكية تتعلق بالمعلومة . في حين أن السيكوكينيزيا والمجلوبات والمأخوذات«الروحية» والأشباح الضاجة ذات طبيعة طاقوية ، إذ يتجلى من

(1) تستعمل فيه مجموعة من الأوراق ، من نمط ورق اللعب ، يحمل كل منها شكلا واضحا ومختلفا صليبيا ـ دائرة- نجما- مربعا، وخطوطا منحنية .

خلالها تحرر طاقات مجهولة . والحقيقة أن هناك ظواهر يتمظهر فيها الإدراك فوق الحسي والتحرر الجانبي للطاقة معا كما هو الشأن بالنسبة للكتابة التلقائية ، بالإضافة إلى ظواهر يتداخل فيها الإدراك والطاقة مثل ظاهرة قياس الأثر الروحي التي يطلق عليها البعض : التكهن النفسي ، وهي قدرة الوسيط على معرفة صفات أو أحوال أو ظروف شخص ما بمجرد النظر إلى أثر من آثاره أو بمجرد لمس هذا الأثر . وهكذا يمكنه استقاء معلومات منفصلة عنه ، من خلال أدواته المستعملة كاللباس والخاتم والساعة أو من خلال قلم أو رسالة مكتوبة بخط يده أو منزل سبق أن دخل إليه وغير ذلك . فيبدو هنا أن المعلومة تتحول إلى نوع من الطاقة يستطيع الوسيط ترجمته وتحويله فيصبح موضوعا للإدراك .

ونقدم فيما يلي أشهر الظواهر النفسية الجانبية مصنفة إلى ظواهر متعلقة بالإدراك فوق الحسي وأخرى تتعلق بالطاقة النفسية ، ومع بيان معناها .

* **ظواهر الإدراك فوق الحسي** :

1) التخاطر **La télépatie** : هو انتقال فكرة أو صورة أو إحساس أو انفعال ما ، من شخص إلى آخر عن بُعد ، أو بالأصح بين كائنين عضويين(لأننا نجد هذه القدرة عند الحيوانات أيضا). وقد يكون ذلك بصفة إرادية شعورية كما أنه قد يكون بصفة لاإرادية لا شعورية . ويلاحظ أن التلقي يختلف في درجة الوضوح بحسب ظروف وأحوال المتلقي والمرسل ، وأيضا حسب حالة الطقس .

أحيانا نشعر بقلق لا نعرف له مصدرا ، ويكون سببه الحقيقي هو تلقينا بطريقة تخاطرية لا واعية لنبإ محزن . ولا يجوز إطلاق لفظة «تخاطر» إلا إذا كان هناك إرسال واستقبال . وحديثا قام الباحثون الروس بتجارب علمية مضبوطة أثبتت إمكان قيام تخاطر شعوري إرادي ، حيث استطاع كارل نيكولائيف أن يتلقى من يوري كامنسكي رسائل تخاطرية فكرية وصورية على بعد ثلاثة آلاف كيلومتر أي بين موسكو وسيبيريا . ومنذ أمد بعيد أمكن الروسيين الدكتور ك.إبلاتونوف والدكتور كولتوف وكلاهما اختصاصي في علم النفس ، أن يثبتا وجود تنويم مغناطيسي تخاطري . أما الدكتور فاسيلييف أستاذ العلوم العضوية للحيوان والنبات في لينينغراد فقد خصص لهذا الموضوع قسما من كتابه الشهير«تجارب في الإيحاء الذهني» المنشور عام **1962** كما تحدث عنه في كتاب سابق عنونه «أحداث نفسية عجيبة»، وهو يتضمن أبحاثا في الإيحاء والتنويم المغناطيسي والنوم الطبيعي والأحلام . ونظرا لأهمية الكتاب فقد أذاعت النشرات السوفياتية مضمونه في سنة **1959** . كما أورد الباحث الفرنسي**Dominique Webb** في كتابه «التنويم المغناطيسي وظواهر بْسي»، تجاربه الشخصية التي تثبت إمكانية التنويم عن بعد ، وعلى أي فيجب علينا قراءة تقارير هؤلاء الباحثين بكل تمعن ، حتى نقف على الحقيقة بشأن قضية التنويم التخاطري . فالمسألة هنا ليست مسألة رأي أو موقف شخصي مرتجل ، بل الأمر يتعلق بتجارب موضوعية مضبوطة يجب الطلاع على تفاصيلها قبل مباشرة أي نقد أو تعليق .

وهناك باحث أمريكي اسمه **Cleve Backster** ك.باكستير ، يذهب إلى وجود نوع من الإدراك فوق الحسي عند النبات أيضا ، حيث أنه يتلقى الرسائل التخاطرية من أي كائن عضوي . وقد قام في هذا الشأن بتجارب أثبتت أن العمليات الحيوية داخل النباتات قد تحدث فيها تغيرات تعود إلى إحساسات بأفكار الناس وعواطفهم . ويمكن للباحثين قياس هذه التغيرات كميا . لقد أثارت تجارب باكستر ضجة كبرى ومناقشات علمية حادة . وإنما أشرنا نظرا للأهمية التي تكتسيها في الأوساط العلمية ، لا لإبراز صحتها أو خطئها .

2) الاستبصار أو الاستشفاف البصري**La clairvoyance** وهو القدرة على رؤية ما لا يمكن رؤيته بالعين من أشياء وأحداث . ومعناه يتضمن فكرة الاستقبال والتلقي فقط ، بعكس التخاطر . إن الاستبصار يشكل تمظهرا لتأثير المادة على العقل وانطباعها على صفحته ، في حين أن التحريك النفسي يعكس تأثير العقل على المادة .

3) الاستشفاف السمعي : هو القدرة على سماع ما لا يمكن للإنسان العادي أن يسمعه .
4) الاستشفاف الحسي : وهو يرتبط بموهبتي الاستشفاف البصري والسمعي ، ومعناه إحساس الوسيط بوجود كائن إلى جواره لا يراه الحاضرون .
5) التنبؤ : هو القدرة على إعطاء معلومات دقيقة عما يسقع في المستقبل . وقد تتم عملية التنبؤ أثناء النوم الطبيعي في إطار الأحلام أو أثناء الغشية المغناطيسية أو في حالة اليقظة . جدث لنا شخصيا أكثر من مرة أن رأينا في الأحلام أحداثا مفصلة ، بشكل صريح لا رمزي ، يتم وقوعها بالفعل بعد شهر تقريبا . ومما الشبهات عن صحتها ومشروعيتها ، أنها لا تتعلق بنا شخصيا بل بأشخاص آخرين . هذا ومن المعلوم أن التنبؤ - بصفة عامة - يطرح على المستوى الفلسفي تساؤلات تتعلق بالزمن وعلاقته بالوعي ، وما إذا كان(أي الزمن) خطيا أو دائريا . كما يطرح أيضا مسألة التسيير والتخيير التي يعتقد الكثيرون أنهم حسموا في شأنها .

6) قياس الأثر الروحي أو التكهن النفسي : **La psychométrie** ، وهو كما أسلفنا : القدرة على معرفة معلومات دقيقة عن شخص ما(الصفات والأحوال والظروف والأفكار والإحساس الحاضرة والماضية)، وذلك بمجرد لمس أو رؤية شيء مادي يمت إليه بصلة .

7) النبوغ الأدبي المبكر : ويظهر من خلال النضج العقلي كما هو الشأن بالنسبة للألماني **Christian Hrinecken** الذي درس في السنة الثالثة من عمره اللغتين الفرنسية واللاتينية ، وتاريخ الأديان ، وتوفي في السنة الرابعة من عمره عندما كان يتعلم الكتابة . ويجب تمييز هذا النبوغ عن الوساطة التي تؤخذ بها الأعمال الأدبية الرفيعة المستوى وتتجلى مثلا في حالة الطفلة مينو درووا التي لم تكن قد تجاوزت العاشرة من عمرها عندما نظمت ديوانا من الشعر . وهي عاجزة عن فهم ما كتبت ، وغير ملمة بقواعد الشعر وأوزانه نظرا لصغر

سنها(1) . وهناك باحثون لا يدرجون ظواهر النبوغ الأدبي والموسيقى والحسابي والـذاكـري (المتعلق بقدرة الذاكرة) في الإدراك فوق الحسي ، بل يطلقون عليه اسـما آخـر هو الإدراك الحسي الأسمى .

8) المهبة الحسابية الجانبية : تتجلى في قدرة بعض الأشخاص على إنجاز عمليات حسابيـة هائلة في ظرف وجيز . وإعطاء نتيجة صحيحة ، وذلك دون الاستعانة بأي قلم أو آلة حسابية . وعلى سبيل المثال فإن الإبنة : شاكوتوكا ديفي من بلدة بانكالور الهندية كانت تسبـق الآلـة الحسابية في إعطاء نتيجة عمليات معقدة ، واستدعيت سنة 1967 إلى نيويورك حيـث أجـرت عدة اختبارات شاهدها عدد كبير من الجمهور على شاشة التليفزيون .

والغريب أن الأشخاص ذوي الموهبة الحسابية الجانبية لا تتميز أدمـغتهم ولا أجسامهم بأيـة علامة خاصة لحد الآن .

9) الرؤية بغير العين **La vision extra-rétinienne** نجد عند بعض الأشخاص أعضاء الـشـم أو اللمس هي تقوم بتأدية وظيفة العين ، ومن بينهم الفتاة الروسية روزا كوليشوفا التي أعلـنـت سنة 1962 لطبيبها ايوزيف.م. غولد بيرغ أن في وسعها أن ترى بأصابعها . وبعد أن عصمـب عينيها وجد أنها تستطيع التعرف على الألوان بكل دقة ، الواحد تلو الآخر : ((أخضر- أحمر- برتقالي- أزرق فاتح إلـخ)) ، وأكـثـر مـن ذلك فإنها كانت تستطيع مطالعة الجرائد الـعاديـة بأصابعها ، تماما كمن يقرأ بعينيه ، وكانت أيضا تميز ألوان الأضواء المسلطة علـى يـديها . وقد درست حالتها في المؤتمر الإقليمي لرابطة السيكولوجيين الذي انعقد في مدينة تاجيل فـي خريف 1962 حيث أثبت الباحثون مشروعية هذه القدرة الجانبية .

لقد توصلت إلى ذلك - كما تقول- بفضل التمرس ، حيث أنها لمدة ست سنوات كانت تـتدرب على الرؤية اللمسية لبضع ساعات يوميا . كما أجريت عليها سلـسـلة مـن الـتـجارب فـي مختبرات جامعة العلوم بموسكو وخرجت منها لشهادة تؤكد بأنها((معجزة)) حقيقية .

* **ظواهر الطاقة النفسية** :

1) السيكوكينيزيا أو ظاهرة التحريك النفسي : تتجلى فيها القدرة على تحـريك أشـياء جامـدة بمجرد النظر إليها ، بل بمجرد التفكير وإضمار نية تحريكها . وقد يتم هذا التحريك بعد بضع ثوان كما أنه قج يتطلب ساعات من التركيز المستمر . والغريب في أمر التحريك النفســي أن قدرة الشخص المحرك تتأثر سلبا أو إيجابا بأفكار ونيات الأشخاص الحاضرين . فهو يحـرك

---

(1) أمين طليع التقمص ص130

الأشياء بسرعة إذا كان المحيطون به متحمسين ومتلهفين لرؤية الظاهرة ومتعاطفينمعه ، في حين يتأخر التحريك إن كانوا متشككين ، حاقدين أو غير مبالين بالعملية . ويقال نفس الشيء أيضا بالنسبة للقدرة على التنويم المغناطيسي .

ومن الأشخاص المشتهرين بالقدرة على التحريك النفسي السيدة السوفياتية نليا ميخائيلوف التي أجرى عليها الاختبارات المكثفة عدد كبير من العلماء والاختصاصيين في الباراسيكولوجيا ، ومنهم عالم البيولوجيا بجامعة موسكو الأستاذ إدوارد ناوموف الذي قامت تحت مراقبته بتحريك خمس سجائر الواحدة تلو الأخرى ، رغم أنها كانت موضوعة تحت غطاء زجاجي ، وأخيرا أسقطتها على الأرض . كما استطاعت تحريك قطعة خبز كانت على المائدة وجعلتها تقفز إلى فمها . وأجرى عليها الأستاذ جنادي سيرغييف هو الآخر كثيرا من الفحوص والاختبارات ، فلاحظ أن الحقل المغناطيسي حول جسدها أقل قوة من حقل الأرض المغناطيسي بعشرة أضعاف فقط ، وأن دماغها كان يصدر أثناء محاولة التحريك موجات تيتا **Théta** (4-7 موجات في الثانية).كما لاحظ أن نمط موجات دماغها غير عادي . فهي تولد في مؤخر الدماغ من الفولطات الكهربائية مقدار خمسين ضعف ما يولده مقدم الدماغ . اشتهر كذلك بظاهرة السيكوكنيزيا : يوري جيلر البرطاني **Matthew Manning** **(1)** ،وكثير من الوسطاء . وقد قام العلماء بتصوير عمليات التحريك بالآلات ، وسجلوا ملاحظات قيمة تتعلق بالزمان والمكان ونوعية المادة المتحركة والحالة النفسية للوسيط وكيفية سير الوظائف العضوية لديه .

2) الارتفاع والسباحة في الهواء **La lévitation** : لقد اشتهر كثير من الوسطاء أمثال الأمريكي دايفد دوغلاس هيوم **D.D.Hume** بظواهر الارتفاع في الهواء . وورد في كتب التاريخ عن بعض القديسين أنهم كانوا يطيرون في الهواء ، كالقديس توما الأكويني والأب الفرنسيسكاني سان جوزيف والقديسة ماريا تيريزا. وهناك من يلجؤون إلى تفسير ذلك بالهلوسة والتخاطر والتنويم المغناطيسي والخداع البصري ، ولسنا ندري ما موقفهم من حجة التصوير الآلي لهذه الأحداث . وأكثر من ذلك فإن إثبات واقعية السيكوكينيزيا يقف في صف الفكرة القائلة بصحة حوادث الارتفاع في الهواء . فلا مانع من أن تتضاعف القدرة على تحريك أجسام صغيرة ليتمكن شخص ما من رفع جسمه أيضا ، خصوصا وأن الباحثين في الباراسيكولوجيا ليس بوسعهم في المرحلة الراهنة ، وضع خط يبين الحد الأقصى للإمكانيات الجانبية .

3) التأثير الجانبي للعقل على الجسم : بإمكان ممارس اليوغا بعد إجرائه لتمارين عقلية وجسمية شاقة ، أن يوقف نبضات قلبه أو يغير سرعتها ، وأن يدفن حيا لمدة تطور أو تقصر. وهناك تقارير تتحدث عن حالات جانبية كالمشي على الجمر والمسامير ، وعن إمكانية رفع وخفض الضغط الدموي بقوة العقل وحده . ومن التمارين النفسية المتيحة لذلك نجد

(1) هذان الشخصان يستطيعان أكثر من التحريك حيث يقومان بلي المعادن الصلبة كالحديد والنحاس بمجرد قوة الإرادة.

الاسترخاء والتأمل والتركيز والإيحاء الذاتي . فلقد سبق أن أشرنا إلى أن المنوم بإمكانه أن يظهر لدى الوسيط - بمجرد الإيحاء له بالاحتراق- فقاعات جلدية مملوءة بسائل مائي . إن التأثير العقلي على الجسد قد يبلغ إلى حد خروج الدم من هذا الأخير بعامل الانفعال وحده ، وشفاء الجرح في حين . وفي هذا الصدد يورد أغلب الباحثين حالة فتاة كانت تقرأ عن حياة السيد المسيح وكيفية صلبه ، وبلغ الانفعال إلى درجة جعلت الدم ينزف من يديها ورجليها . حدث ذلك قبل عيد الفصح بقليل ، ولكنها يوم الجمعة العظيمة شفيت وزال كل أثر للنزيف من جسمها...وهنا نحيل القارىء إلى بحثنا «فعاليات الإيحاء في التنويم المغناطيسي» ليتبين إمكانيات التنويم المغناطيسي والإيحاء الذاتي فيما يخص تأثير العقل على الجسم بصفة مباشرة وفورية .

4) الشفاء الجانبي : يدخل ضمن هذا الإطار العلاج الروحي الذي نجده في كثير من الدوائر والمراكز بأوربا وأمريكا حيث تشكلت جمعيات كثيرة تصدر مجلات وكتبا ومنشورات متخصصة في الموضوع . كما توجد جماعات دينية أكبرها وأقواها «جمعية العلم المسيحي» **science chrétienne** التي أسستها ماري بايكر إيدي . لقد تطورت مبادىء هذه الجمعية عن المسمرية(أي عن نظرية فرانز أنطون مسمر **F.A Mesmer** الذي وضع أسس التنويم المغناطيسي الحديث)، وهي تقرر أن الإيمان وحده كفيل بشفاء الأمراض مهما تكن مستعصية ومزمنة . فالمرض ليس في نظرها إلا وهما في العقل يجب إزالته بالإيمان الراسخ والإيحاء الذاتي . بالإضافة إلى ذلك نجد أشخاصا يشفون الأمراض الخطيرة الميؤوس منها بمجرد وضع أيديهم على مكان الخلل . بل إن منهم من يحققون ذلك بمجرد اقترابهم من المريض أو تركيز نظرهم عليه . إن المهندس سيمون كيرليان الذي صمم جهاز يمكن تصوير الهالة الإشعاعية المحيطة بالجسم البشري ومختلف الأجسام العضوية ، قد أجرى بحثا عن الطاقة الشافية التي يتمتع بها أحد الأشخاص المشهورين في هذا المجال وهو الكولونيل المتقاعد الكساي كرفوروتوف البالغ من العمر سبع وسبعين سنة ، فوضعه كريليان في دائرة الذبذبة العالية وقام بالكشف على أصابعه تحت المجهر ، فلاحظ أنه كانت تنبثق من أقنية الجلد فيها ألسنة لهب بارد كأنها شموس ساطعة سرعان ما اندمجت وأصبحت شعلة واحدة انقسمت إلى شظايا . وبعد قليل وضعها ثانية تحت المجهر فرأى صورة مختلفة : لقد كانت تقذف أنجما برتقالية اللون وبنفسجية وزرقاء . وعندما قرب الشافي يديه من رأس كيرليار أحس هذا الأخير بما يشبه سيلا من الرصاص ينصب على رأسه . **(1)** والكشف بالآلة على أصابع كريفوروتوف يدل على أن الشفاءات التي اجترحها ترجع إلى قوة موضوعية ملموسة مستقلة عن الإيحاء الذاتي والإيحاء الدخيل معا .

---

(1) سليمان النجار : الحاسة السادسة والطاقة النفسية ص 112.

أجل إن من بين الشافين أشخاصا يضعون أيديهم على الحروق والجروح فتلتئم بسرعة غير عادية . وقد أورد ليل واطسن في كتابه «الطبيعة الفائقة» ، تجارب مضبوطة أجريت على أحدهم ، بحيث كان يمسك بين يديه زجاجة مملوءة بالماء الصافي لمدة من الزمن تبلغ نصف ساعة تقريبا ، فلوحظ أن النباتات التي سقيت ، فيما بعد ، بهذا الماء كانت تنمو بسرعة غير عادية . كما أورد نفس الباحث ما يسمى بالجراحة الروحية ، وحكى عن كيفية ضبطه التجريبي لبعض جلساتها . ولم يتورع عن إظهار عجبه أمام ظاهرة كهذه يتم فيها إخراج الدم واستئصال بعض الأعضاء الداخلية للمريض دون شق لبطنه . أما القائمون بهذا النوع من الجراحة فينسبون القوة المستعملة فيه لأرواح أطباء من العالم الآخر .

وهناك باحثون يشكون في صحة وجود ما يسمى بالجراحة الروحية ، ولكننا نقول : إذا أثبت وجود«المجلوبات والمأخوذات الروحية» وصح انتقال أجسام صلبة عبر الجدران والعلب المغلقة ، فما المانع من الإقرار بانتقال الدم والأعضاء الداخلية عبر الجلد إلى خارج الجسم؟ إن المقارنة في هذا الصدد كفيلة بالتحقيق في شأن صحة ظواهر جانبية معينة دون الدخول في الجدل .

5) رؤية الأشباح : بعض الناس يرون أشباح أشخاص أحياء أو أموات . وقد يكون لهذه الأشباح وجود ذاتي فقط بمعنى أنها في تلك الحالة لا توجد إلا في عقل الرائي ، فيفسر الأمر على أنه هلوسة تليباثية أو بمعنى آخر إشعار تخاطري يتم عبر صورة ذاتية ، أي عبر نوع من التمثل الصوري الخارجي . ويصدق هذا القول حينما يكون الشخص المتجلي قد فكر بقوة في الشخص الرائي . كما أن هناك أشباحا موضوعية لأشخاص موتى يعود وجودها إلى استمرار الطاقة التي كانت تنبعث من الهالة الكهرمغناطيسية للشخص حين كان حيا . ذلك أن هذه الهالة ، وهي عبارة عن أشعة حمراء ، تترك في حالة الشدة آثارا في بعض أجزاء المحيط الذي يعيش فيه الشخص ، فيجري التقاطها من طرف أشخاص قليلين يصرحون بأنهم يرون أشباح الموتى .

ويدخل في هذا الصدد أيضا ما يسمى بتجسيد الأرواح عبر مادة الاكتوبلازم ، حيث تظهر أمام العيان وجوه وأجسام لأشخاص موتى تم تصويرها بالأجهزة والآلات . وقد سبق أن ذكرنا الخلاف القائم حول ما إذا كان مرد كل ذلك القوى اللاواعية للوسيط أم إلى أرواح الموتى فعلا .

وهناك ظاهرة أخرى يطلق عليها : الأشباح الضاجة : **poltergeist** وينسبونها إلى الأرواح الشريرة التي تسكن منازل أو أماكن معينة ، حيث يسمع السكان وقع أقدام على السقف وقرعا على الأبواب ، ويتحرك أثاث المنزل متطايرا ، وتنطفيء الأضواء بصفة تلقائية ، ويقذف بالحصى من طرف خفية مجهولة . لقد لاحظ الباحثون بعد دراستهم لكثير من الحالات ، أن هذه الظواهر الفيزيقية الجانبية غالبا ما تعود لانفعالات مكبوتة لدى فرد من أفراد العائلة القاطنة يكون على الأرجح في سن المراهقة ، فتترجم انفعالاته بصفة لاواعية إلى طاقات

مادية ملموسة . ولاشك أن هذه الحقيقة إذا ما تأملنا ، ستغير تصورنا للعقل وعلاقته بالمادة وحدود الذاتي والموضوعي .

6) الكتابة التلقائية : قد تتسلط قوة معينة على يد الوسيط وهي ممسكة بالقلم ، فتتم كتابة نصوص جانبية لا ينسبها الوسيط لنفسه بل لأشخاص آخرين أموات أو أحياء ، وقد يكتب السؤال بصفة واعية إرادية فيأخذ الجواب في حالة غيبوبة . بل أكثر من ذلك فقد يكتب القلم لوحده دون أن يمسك به الوسيط أو أي شخص آخر ، فيعتبر ذلك ظاهرة مركبة تجمع إلى الإدراك فوق الحسي المستفاد من النص المكتوب ، القدرة على التحريك النفسي .

7) المجلوبات والمأخوذات **Apportées-emportées psychiques** : بإمكان بعض الوسطاء أن يجلبوا مواد معينة من مسافة قريبة أو بعيدة . كما أن بإمكانهم نقل نفس المواد من غرفة الجلسات إلى أماكن في الخارج ، وهذا النقل قد يجري عبر الجدران والأبواب المغلقة والعلب المختومة . ولو قرأنا الكتاب الذي ألفه الوسيط البريطاني **Matthew Manning** عن نفسه ، والذي تحمل ترجمته الفرنسية عنوان «من أين تأتي هذه القدرات» ، لوجدنا ظواهر كثيرة من هذا النوع قام بضبطها والتحقيق في شأنها العالم البيولوجي والرياضي الدكتور **Georges Owen** .ج. أووين واعترف بخلوها من أي غش أو خداع .

8) تصوير الأفكار فتوغرافيا : ويعني القدرة على نقل الصورة الذهنية لشيء ما ، إلى فيلم أو لوح حساس بحيث تنطبع عليه بصفة ملموسة . وقد اشتهر في هذا المجال شخص أمريكي يدعى **Ted Serios** .ت. سيريوس ، تحدثت عنه الجرائج في سنة **1963** وبحث في موضوعه وقام بإجراء التجارب عليه كثير من العلماء ، منهم الدكتور **Jule Esenbud** .ج. أرنولد، أستاذ علم النفس بجامعة **Denver** الذي أحضر بنفسه مختوما لتلافي أي غش أو خداع ، فكان سيريوس يركز نظره على عدسة آلة التصوير كلما عزم المجرب على تصويره ، ويستحضر في مخيلته صورة لشيء ما سبق أن شاهده بحقيقته أو في صورة فوتوغرافية ، ثم يصرخ بصوت قوي ويشير بيده اليمنى كعلامة على الإذن بالتقاط الصورة ، وبعدها يستخرج ليبدأ تجربة أخرى من نفس النوع . وعند تظهير الفيلم يلاحظ المجرب أن الآلة لم تلتقط في كثير من الأحيان صورة سيريوس بل صورة الأشياء التي كان يستحضرها في مخيلته ، أو صورة أشياء تختزنها ذاكرته ولم يكن يتخيلها أثناء التصوير . فيبدو هنا أن انتقاء الصورة وطبعها على الفيلم ، جريا بصفة لاواعية . وهكذا حصل الباحثون على رسوم مختلفة لطرقات وبيوت وأجراس كنائس وسيارات سباق وصواريخ ، في حين بعض أجزاء الفيلم كانت تبقى سوداء غير متأثرة .

لقد نوع الباحثون تجاربهم فوضعوا سيريوس في قفص لإنفرادي وعزلت عنه الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية ، وتبين عدم تأثره بالموجات الكهرمغناطيسية وموجات الراديو الطويلة وموجات غاما القصيرة. كما أنه كان يشرب كثيرا من الماء أثناء عملية التصوير ،

ويقوم بتركيز شديد وتتقلص جميع عضلات جسمه ، وترتجف أطـرافه وتـسرع ضـربات قلبه.
ومن جهة أخرى فقد تبين بالتحليل النفسي أن شخصيته طفولية غـيـر ناضـجـة . وسـجـل الباحثون وقوع خلط أحيانا بين ما يوجد في وعيه وما تختزنه ذاكرته من صور . فقد حـاول ذات مرة أن يصور «قوس النصر» فظهرت على الفيلم صورة لسيارة مـن صـنـع «شـركـة النصر» للسيارات . وليس سيريوس أول من يقـوم بـتـجارب كـهـذه ، فـقـد كان الفرنسي الكومندان **Darger** أول من حاول إخراج الصور الذهنية وطبعها على لوحة فوتوغـرافـيـة ، وذلك في أواخر القرن الماضي . وفي المشرق كان العالم **Tomokichi-Fukurai** الأستاذ بجامعة طوكيو يجري سنة **1911** تجارب من نفس النوع . كما شاع التصوير الفتـوغـرافـي للأفـكار بانجلترا في العشرينات من هذا القرن حيث نجح كثير من الجربين في نقل صور ذهنية كثيرة إلى ألواح حساسة توضع قريبا من الجبين ، وكان الوسطاء يلتقطون صـور لـشـخـص ما ، وعند تظهير الفيلم تبرز إلى جانب صورته أحد أقربائه المتوفين . **(1)**

إن ظاهرة التصوير الفوتوغرافي للأفكار تضعنا أمام حقائق هي من الأهمية بمكان . فلاشك أنها تبرز بوضوح أن ما هو داخلي من أفكار وصور ، هو خارجي أيضا . وهكذا يـتـغـيـر تصورنا لحدود الذاتي والموضوعي ، وللعلاقة التي يمكن أن تقوم بين ما هو عقلي معـنـوي صوري ، ومجرد من جهة ، وبين ما هو مادي ملموس من جهة ثانية .

9) التسجيل الجانبي لأصوات مجهولة : في سنة **1967** صدر كتاب تحت عنـوان «اتـصالات هاتفية لاسلكية مع الموتى» لفريدريك جير جينسون **Feiedrich Jurgenson** ، يروي فيه أنه كان في صيف **1659** ،في مكان غير آهل بالسكان ، يقوم بتسجيل أصوات مختلف العصافير ، فلاحظ أن الآلة التقطت إلى جانب تلك الأصوات ، صوت رجل مـجـهـول تـمـتـم باللـغـة النرويجية وقال شيئا يتعلق بغناء الطيور الليلي . وأعاد جير جينسون التجربة أكثر من مرة ، فاستمع عند تمرير الشريط إلى رسائل موجهة إليه شخصيا بصوت منخفض ، وهو يعتقد أن ما تلتقطه الآلة هو أصوات الموتى ، إذ سجل ذات مرة صوت امرأة تقول لـه : «أرجـوك ، اسمعني.». وبعد ذلك استمع هو وغيره من الأشخاص إلى أصوات غريبـة سـجلت بلـغـات مختلفة على الشريط . وقد قامت مؤسسة الأبحاث النفسية في شـأن هذه الأصـوات وإجـراء الاختبارات ، فشهدت بوجودها وواقعيتها ، وأعلنت أنـها تأتـي مـن مصـدر مجهول . كـما هو الآخر ، تجارب في الموضوع ، فكان يركز فكره على أشخاص مـوتى أثـنـاء أجـرى الوسيط **Matthew Manning** عملية التسجيل ، وعند تمرير الشريط يسمـع صـوت الشـخـص البريطاني الذي كان موضوع التركيز أو أصواتا لها علاقة به .

---

(1) يمني زهار : عالم منظور خارج القواعد العلمية ص 163.

هذا ويذهب بعض الباحثين إلى أن مصدر تلك الأصوات الغريبة هو العقل اللاواعي للوسيط أو الشخص القائم بالتسجيل ، ولعلهم استفادوا من ظواهر التصوير الفوتوغرافي للأفكار في

صياغتهم . ولكن سواء تعلق الأمر بالأرواح أم القوى اللاواعية لعقل الوسيط ، فالأمر لا يخلو من غرابة ، وما أشد خطورة ما سيكون له من أبعاد فلسفية!

نكتفي بهذا القدر عن الظواهر الجانبية ، فهدفنا ليس هو الحصر والإحاطة وإنما إعطاء القارىء فكرة عن هذه الظواهر ، ستتضح له من خلال الأمثلة وتنوع المظاهر . ونشير إلى أن العلماء والباحثين قد اكتشفوا عن وجود غش وخداع لدى بعض الوسطاء والمتطفلين على الميدان الساعين لكسب الرزق وجمع الأموال ، ولكن هذا لا يمنع وجود وسطاء ثبت بالأدلة العلمية أن قدراتهم حقيقية ومنزهة عن الشبهات . ويكفي أن نقول في هذا الصدد ما قاله الفيلسوف وليم جيمس من أن الإتيان بغراب واحد أبيض ، كفيل بالبرهنة على أن الغربان ليسوا كلهم سودا. فلاشك أن إثبات حالة واحدة مشروعة بصدد ظاهرة جانبية معينة، يكفي لإثبات أن العلم والفلسفة المعاصرين لازالا في حاجة إلى المزيد من الجهود لاستيعاب الظواهر الإنسانية وإمكانيات الإنسان .

لقد سجل الباحثون في الباراسيكولوجيا - كما أسلفنا- ملاحظات مهمة بخصوص ظواهر بْسي، منها : تأثير أفكار ونيات الأشخاص الحاضرين على عملية التنويم من حيث نجاحها أو فشلها ، وتأثيرها كذلك على قدرة ممارس التحريك النفسي ، وكون الانطباعات والأحداث تترك فيلما مسجلا على الأدوات التي يستعملها الإنسان . ومن الملاحظات أيضا أن التأمل في الحساسية للتخاطر ، وأن حوادث الموت والانفعالات الشديدة أكثر وضوحا في الاستقبال التخاطري ، أي أكثر تأثيرا في الشخص المتقبل(بكسر الباء)، وأن النبات يملك إدراكا خارجا عن نطاق الحواس ، وأنه إذا فكر شخص في الآخر بقوة فإن مجرد تفكير الأول يؤثر تأثيرا ماديا ملموسا على حالة الخلايا الدموية للشخص الثاني . وقد أثبت الدكتوران ي.سيروف وأ.تروسكان من سفير دولوفيسك بالاتحاد السوفياتي ، أن الإيحاء للمريض بانفعال إيجابي يرفع عدد الكريات البيض في الدم بـ1500 وحدة . كما اكتشف الدكتور التشيكي ستيبان فيغار أن النشاط الذهني الحاد لدى فرد ما يتسبب عن بعد في تبدل طفيف لضغط الدم لدى شخص آخر في حالة الراحة . وقد قاس هذه الظاهرة بواسطة جهاز الـ**plethismographe**(1)

ومن جهة أخرى يسجل الباحثون الغربيون أن انتقال الأفكار غير مقيد بالزمان أو المكان . ولكن الروس يذهبون إلى وجود عوامل طبيعية كحالة الطقس ، تحفز أو تلغي مفعول بسْي. وينطبق ذلك على السيكوكينيزيا مثلا حيث أعلن الدكتور سيرغييف أن العواصف تنقص على الدوام من قدرات نليا ميخائيلوفا . كما شعر مهندس إلكتروني من واشنطن بوجود تأثير معين للمحيط الآلي على القدرة التخاطرية فكتب إلى معهد الباراسيكولوجيا يقول :«لقد اتضح لنا ، أنا وزملائي ، أن التعامل مع أجهزة ومعدات ذات توتر عال يحدث بيننا أحيانا تظاهرات تخاطرية.» .

---

(1) علم النفس الحاسة السادسة ص59.(وهو ترجمة عربية لكتاب(fantastiques recherches métapsychiques en u.r.s.s

وطبعا فهذا لا يعني أن التخاطر وقدرات بْسي بصفة عامة ، لها تفسير مادي . فالمعلوم أن تأثير المحيط الطبيعي والآلي على التخاطر يتم هو أيضا بصفة مجهولة . ولم يكتشف الباحثون لحد الآن أي جسم مادي يمكن اعتباره حاملا للأفكار المنتقلة . ولا أدل على ذلك من أن انتقال الأفكار تخاطريا يحصل بسرعة أكثر من سرعة الضوء ، فمن الصحيح أن التخاطر غير مقيد بالزمن على الأقل .

لقد صنع الأمريكي الدكتور **W.A.Schafer** جهازا كهرومغناطيسيا يستطيع أن يتلقى ويتحسس من بعيد الموجات التي تنتج عن ضربات القلب . وقد استنتج باحثون كثيرون من هذا الإنجاز العلمي أن الظواهر الغير عادية قد ترجع إلى موجات ألفا الجسمية وإيقاعات حيوية أخرى ، في حين أن نظرية أخرى توحي بأن جسيما صغيرا داخل الذرة يطلق عليه اسم **Le tachyon** ينتقل بسرعة أكثر من سرعة الضوء ، وهو المسؤول عن هذه الظواهر ، أي أنه هو القطب المادي الحامل للأفكار والتأثيرات الجانبية . ولكن هذه تبقى مجرد فرضية لم يجر بعد التحقيق في شأنها بصفة قاطعة .

ولو انتقلنا إلى المستوى الفلسفي لودنا أنفسنا أمام حقائق خطيرة . ذلك أن هذه القدرات والظواهر الجانبية التي تغفلها أوساطنا الفكرية قد كانت موجودة منذ القديم ، ولاشك أن كثيرا من الأنساق الفلسفية الكلاسيكية التي نسخر منها اليوم بوصفها أحلاما وخيالات وتصورات لاعقلانية للعالم ، قد شيدت واستخلصت انطلاقا من هذه الظواهر دون علم منا . وعندما نحاسب اليوم تلك الأنساق باسم العقل والعلم ، ننسى ، بل نجهل الحيثيات الواقعية المشروعة التي بعثت الفيلسوف على وضعها . إذ أننا نغفل الظواهر الجانبية نفسها فكيف نضع في الاعتبار ما يترتب عنها من أفكار ورؤى فلسفية...!

لتوضيح ما ذهبنا إليه آنفا ، لن نخفي على القارىء أننا - شخصيا- استنادا إلى تجربتنا الجامعية وقراءتنا للأبحاث الأكاديمية التي يكتبها اختصاصيون ، نسجل أنه يتم نقد وتقييم أنساق كثير من الفلاسفة دون معرفة تجارب مهمة استند إليها الفيلسوف في بنائه للنسق أو الفكرة الواحدة...ينتقد أساتذتنا الفيلسوف برجسون **Bergson** ونظريته في التطور الخلاق **L'Evolution créatrice** ويجهلون أنه كان ريسا لجمعية البحث الروحي لمدة زمنية مهمة ، وأن كثيرا من طروحاته الفلسفية قد وضعها استنادا إلى ظوهر علم ما وراء النفس وتجارب الروحانية الحديثة .

وهكذا يدخلون في تحليلات عشواء ضيقة الأفق تشوه أفكار برجسون وتصنفها كأفكار خيالية بعيدة عن الواقع . بل إن البعض منهم ليأخذه العجب حينما يرى فيلسوفا عظيما ذا اطلاع واسع ، يقول كل هذا الهراء عن العقل الإنساني وصلته بالجسم والطبيعة والزمان والمكان .

ومرة أخرى يجب أن يكون واضحا أننا لا نبرىء برجسون من الوقوع في أخطاء ومثالب حتى على مستوى ما يطرحه من أبعاد فلسفية للظواهر النفسية الجانبية . إنما نلوم بعض الباحثين على عدم أخذهم بعين الاعتبار للحجج والدلائل الحقيقية التي استند إليها هذا الفيلسوف في بناء كثير من أفكاره .

يقال نفس الشيء بالنسبة لكانك**Kant** مثلا . إن أغـلـبـية الطلبـة لا يعرفون أنه كان يؤمن بالتقمص(أي عودة الروح في جسد آخر إلى هذا العالم)، ولا نجد الإشارة إلى هذه المعلـومة إلا في قليل من كتب الفلسفة(وهي تكتفي بمجرد الإشارة إلى ذلك دون القيام بـأي ربـط)وفـي الكثير من كتب الروحانيات...! سبحان الله! كأن كلا يأخذ ما يعجبه ويحلو له ، فقط ، متناسيا لاعتبارات أخرى كفيلة بتفنيد وتخطئة مواقفه .

إننا ننظر اليوم الذي يشير فيه أساتذتنا إلى كانط كان يؤمن بالتقمص ، ويوردون فيه الحقائـق الواقعية والعقلية التي استند إليها بحقيقة خطيرة كهذه ، ليست مستلهمة من الفكر المسيـحي . أن فيلسوفا عظيما مثل كانط لن يؤمن بالتقمص اعتبارا وهو الذي قام بالتنظير لقدرات العقل وإبراز حدوده . فالمنتظر من الدارسين إذا ، أن يربطوا بين التـقـمـص والأفـكار الأخـرى الواردة في نسقه ، لأن التقمص من الممكن أن يكون فيلسوفنا قد بنـى علـى أسـاسـه أفـكارا أخرى نحاسبه عليها اليوم متعسفة غير مشروعة .
إن شخصية الفيلسوف وحدة ، وفكره أيضا وحدة . فكل شيء متماسك ومترابط سواء وعـينا نحن والفيلسوف أم لم نكن واعين . إن علم النفس اليوم يتحدث عن إيتيولوجيا لاشـعـوريـة ، وبهذا الاعتبار يكون حتى كلام الأحمق مترابطا ومتماسكا .المهم أن الفيلسوف شخص واحد. يقبل أشياء ويرفض أشياء ، وله في ذلك حجج وبراهين مشروعة أو غير مشـروعـة ، وقـد يؤوب نسقه في النهاية إلى فكرة واحدة يؤمن بها وينطلق منها . ولذا فعلينا أن ننتبه إلى كونـه يؤسس أشياء على أشياء ، فينبغي إذا أن يكون الدارس على وعي بكـل تـجارب وإيمـانـات الفيلسوف المدروس قبل أن يقول عنه كلمة .
معنى هذا...أننا ظلمنا كثيرا من الفلاسفة!!!...

نعود الآن إلى الخطاطة المنهجية التي نقترحها في هذا الكتاب . لقد تطرقنا لبعض الظـواهر النفسية الجانبية وموقف الباراسيكولوجا منها بصفة مجملة ، وأشرنا إلى بـعـض الـحـقائـق العلمية المستخلصة من تلك الظواهر والتي من شأنها أن تقلب بعض تصـوراتـنا رأسا عـلى عقب وتصحح كثيرا من موقفنا القائمة على معطيات علوم كثيرة . ولكننا نـشـعـر الآن أنـنا وصلنا في بحثنا هذا إلى منعطف خطير يجب القيام فيه ببعض التوضيحات..لقد رأينا لـحـد الآن أن الباراسيكولوجيا تهتم بأية ظاهرة جانبية كيفما كان نوعها . ولكن سرعان ما تظـهـر بعض المشاكل التي يستبعد أن يحلها العلم الوضعي الذي تنطـق الباراسيكولوجيا باسـمـه . وذلك عندما ننتقل إلى ما أسميناه : الأنساق النظرية المؤطرة للظواهر الجانـبـيـة ، والـتـي تحتوي بدورها على أنساق أخرى ثانوية كالتنجيم وعلم الكف . ولإثارة المشـكلة بـوضـوح نتساءل : ما موقف الباراسيكولوجيا العلمية من مسائل غامضة كالسحر وفعاليات الطـلاسـم والرموز ، وأسرار الحروف والأعداد ، والتنجيـم وعـلـم الكف وعلم الرمل ، وكتـاب الآي تشينج **I tching** الصيني ، والسيمياء واستحضار الجن...وغيرها .

وإليكم أسئلة أخطر من السؤال السالف : هل يعود تأثير السحر إلى القوى النفسية للأشخاص فحسب ، أم إلى العزائم والطلاسم والرموز أم إلى كل ذلك؟ وما العلاقة بين الاستبصار والتنبؤ المجردين عن الاستعانة بأداة ما أو حساب ، وبين التنجيم وعلم الكف كنسقين ثابتي القواعد يقومان على علامات طبيعية أو بيولوجية متواضع على دلالتها منذ القديم . فالمعلوم أن المنجم وقارىء خطوط الكف ، لديهما قواعد تأويلية لأوضاع النجوم والكواكب ولأوضاع خطوط الكف وأشكالها ، فما موقف العلم الوضعي من هذه القواعد؟ وهل يقر هو الآخر بوجود تأثير الكواكب والنجوم على قوى العقل والجسم؟ وأخيرا فما الفرق بين التأثير السحري الذي يحصل بمجرد التفكير ، وذلك الذي يحصل عن طريق وضع الجداول والأوفاق؟

الحقيقة أن هذه الأسئلة صعبة ومحيرة بالنسبة للباحث في المستويين الأول والثاني . ولكننا سوف نورد حقائق علمية يستشف منها الباحثين في الباراسيكولوجيا وبعض العلوم اخرى قد شرعوا في مناقشة مواضيع كالسحر والتنجيم ، وذلك حينما اكتشفوا حقائق وعلاقات خفية تقف جزئيا أو كليا في صف هذه المواضيع وافتراضاتها ، وتوحي بصحة ما تذهب إليه بعض الأنساق الباطنية من وجود تأثيرات وفعاليات معينة يمارسها الإنسان والطبيعة .

لنأخذ موضوع التنجيم على سبيل المثال ، فمن المعلوم أن العلماء الروس قد اتجهوا في السنين الأخيرة إلى دراسته في أكبر الجامعات والمعاهد ، وهو يأخذ عندهم أسماء علمية لا تغير من الحقيقة شيئا مثل«البيولوجيا الكونية». هذا إدولرد ناومف أحد علمائهم المرموقين يقول : «إننا نهتم بالنشاط الشمسي . المتواقت مع ولادة الأشخاص الذين تجري عليهم التجارب.» ويذهب إلى أن المعلومات الإحصائية المتراكمة تدل على أن المتلقين الجيدين في تجارب التخاطر ، يولدون في فترات الهدوء الشمسي في حين يولد الوصلاء الجيدون في فترات النشاط الشمسي الشديد . وهذه ، كما يبدو للقارىء علاقة غريبة جدا تكشف عن وجود تفاعل ديناميكي كوني ، وعن تأثير تمارسه الشمس على «العقل» ، وعلى الجسم أيضا كما سوف نرى . فلقد اكتشف رائد البيولوجيا الكونية الدكتور أ.ل.شييفسكي أستاذ الشرف في عدد من الجامعات الشرقية والأوروبية ، «وجود ارتباطات بين أطوار النشاط الشمسي والأوبئة الأرضية الكبرى بما فيها غزوات الجراد والقواضم . ومما هو أبلغ أيضا أن نلحظ وجود ارتباط بين تلك الأطوار الشمسية وبين الهجمات البشرية الكبرى والحملات الصليبية والحروب والثورات.» (1)

ويقول الدكتور كوبيزيف: «تتوافق منحنيات النشاط الشمسي مع الجداول الزمنية لجميع الحركات الجماهيرية منذ 1917. وقد أكدت صحة هذه النظرية في الاتحاد السوفياتي لجنة غير عادية ترأسها الدكتور لوماشارسكي والدكتور سيماشكو.».

---

(1) علم النفس الحاسة السادسة ص.183.

يمر نشاط الشمس بأدوار يدوم الواحد منها سبع سنوات أو إحدى عشرة سنة أو خمسا وثلاثين سنة . وفي كل دور يحدث طفح من غاز مؤين حارق ، وقد يرافقه شكل آخر من الطاقة . وفي الحقبة ذاتها يمكن أن نجد على الأرض ، على سبيل المثال ، ظروفا اجتماعية مجحفة ومناخات ثورية إلخ . ومما يزيد من حدة الظروف وتفاقمها دفق أقصى من الإشعاعات الشمسية التي تعجل بالأحداث وتحفز قرارات الحكومة .

في سنوات النشاط الشمسي تحدث عواصف مغناطيسية تقطع أحيانا جميع المواصلات الكهربائية وتفسر ارتفاع حوادث الانتحار والاضطرابات النفسية وحوادث الطرق والنوبات القلبية القاتلة . أما سنوات النشاط الشمسي فيقابلها ظهور نوع آخر من الأوبئة كالخناق أو الهزات الأرضية . ولو أمكن صوغ قانون علمي يعلل تلك التظاهرات لصار في المستطاع توقعها واتخاذ التدابير اللازمة (1).
وقد كشف الغربيون بدورهم عن تأثيرات من هذا النوع . وأبرز أحدهم أن التغيرات الطفيفة في الحقل المغناطيسي الأرضي والتي يعود سببها إلى الشمس والقمر والكواكب ، تعدل حقل القوى المحيط بالكائنات الحية وبالتالي فهي تعدل طريقة اشتغال الجهاز العصبي...ويمكن القارىء أن يعود إلى كتاب ليل واطسون «الطبيعة الفائقة» ففيه مناقشة الحقائق من هذا النوع.
معنى ذلك أن التنجيم لم ينته أمره ، ولا يمكن أن نضرب عرض الحائط بمزاعمه ومبادئه . فمن العسير ، إن لم يكن من المستحيل أن نطوي صفحة نسق عريق في القدم يمتد حتى الفراعنة والبابليين ، بجرة قلم طائشة أو كلمة تنم عن الغرور .
يقول الدكتور سيرغييف في إحدى محاضراته : «إن أنسب الأوقات لتظاهر مفعول السيكوكينيزيا هو وقت التأثير المغناطيسي للنشاط الشمسي في الحقل الأرضي.». وهذا القول يقترب بنا نحو تفهم لما يقوله المنجمون من وجود ساعات سعيدة وأخرى نحسية ، وما تواضع عليه السحرة وبعض المتصوفة من وجود ساعات معينة لكتابة الجداول والأوفاق ، منها ساعات سعيدة تصلح للجلب والشراء والعطف والإخاء وقضاء الحوائج ، وساعات نحسية تصلح للبغضاء والفراق وهلم جرا .
إن أبحاث البيولوجيا الكونية وعلم الايكولوجي لا تزال في خطواتها الأولى . ومن الأكيد أنه عندما تقطع أشواطا بعيدة ، سيجد الإنسان المعاصر نفسه مضطرا لإعادة الاعتبار إلى أنساق يعتبرها«لاعقلانية». «متجاوزة» أو«كلاسيكية»...تسألونني كيف عرفت . ذلك؟ طبعا عن طريق مستويات أخرى من البحث ، أنسيتم أننا هنا بصدد مستوى البحث الباراسيكولوجي وما ينبثق عنه من تقويمات؟
ولكن قد يسأل سائل : وما موقفك إذا خرج العلماء بعد أبحاث طويلة في البيولوجيا الكونية والباراسيكولوجيا وعلم النفس الايكوولجي ، وقوانين وأنساق لا تتفق مع النسق التنجيمي الكلاسيكي؟ هنا ننبه السائل إلى أن كثيرا من الظواهر الطبيعية التي يتخذها المنجمون

(1) نفس المرجع ص 184.

كعلامات لها تأويلات معينة ، قد بدأ يحدث فيها الآن تغير . ذلك ما لاحظه عدد كبير من الفلكيين وصرحوا به في مؤتمر دولي للتنجيم عقد أخيرا . والنتيجة أن كثيرا من قواعد وقوانين التنجيم سوف تتغير نظرا لتغير وضع الكواكب والنجوم والأبراج . فالمنجمون اليوم في فتنة إزاء الوضع الجديد ، وكثير من تنبؤاتهم لا تصدق نظرا لتغير أوضاع الطبيعة . ولهذا فكل تقييم علمي للأنساق التنجيمية الكلاسيكية يتم مستقبلا ، عليه أن يراعي هذا التغير وما يماثله من تغيرات سابقة حتى لا يكون متعسفا ومجحفا بحق تلك الأنساق .

بعد كل شيء نذكر بأننا نناقش التنجيم انطلاقا من المستوى الأول والثاني ، وانطلاقا من المعطيات العلمية لجهويات أخرى وضعية كالبيولوجيا الكونية . ولا ننس أن المستوى الثالث يطالعنا بحقائق لا تقل طرافة وجدة . وبهذا الاعتبار لا تكون كلمة العلم الوضعي هي النهائية والحاسمة مادام هناك مستوى يقرر أنه ينسخها ويتجاوزها .

إن مناقشتنا الآن يمكن اعتبارها أولية . لا نحسم في شيء حسما نهائيا ، ولا نجزم برأي ما فيما يخص الحوار القائم بين العلم والأنساق الحدسية الكلاسيكية . إنما نريد أن نشير إلى ضرورة الانتباه إلى مضامين وأساسيات هذا الحوار . نحن على وعي بوجود صعوبات أمام الباحث في هذا الأمر . فهو سيكون مضطرا إلى استطلاع موقف العلم مما يسمى بأسرار الحروف والأعداد باعتبار أن أنساق التنجيم متضمنة لها ، وغير منفصلة عنها . فالمنجمون يتحدثون - شأنهم شأن السحرة- عن حروف مائية وهوائية وترابية ونارية . ويقولون عن شخص ما أن طبعه ترابي أو ناري وهلم جرا ، ويقعّدون لذلك محددين الصفات الجسمية والعقلية لصاحب الطبع الناري مثلا . كما أنهم يتحدثون عن خصائص الأعداد وتأثيراتها ، ويستعملونها في ما يسمى بحساب الطالع . كما يستخدمها السحرة وبعض المتصوفة في جداولهم وأوفاقهم ، ويكفي أن نعلم بأن الوفق سمي كذلك لكون قوى الأرقام فيه توافق الحروف . لاشك أننا ندخل هنا ميدانا يستبعد ، كما قلنا ، أن يحسم فيه العلم الوضعي انطلاقا من المعطيات الحالية . وكثير من الباحثين في اللسانيات يضعون تساؤلات قد تتطلب الإجابة عنها استكشاف هذا الميدان في نهاية المطاف ، وهذه التسوؤلات تتعلق مثلا بوجود فونيمات مشتركة في كلمات تتشاطر معاني معينة من قريب أو بعيد . على سبيل المثال : لماذا نجد حرف الحاء في كلمات توحي بالسخونة مثل :حب- حر- حرب- حرارة- حمى- حريق- حلو- حريف.الخ ولماذا نجد حرف الميم في الأسماء التي تطلق على الأم في كل لغات العالم وحرف الباء في الأسماء الدالة على الأب . يقول الدكتور مصطفى محمود : «...هذا التشابه بالرغم من تباين الأماكن والأقطار ، يدل على وحدة المصدر ، وعلى أننا تلقينا الحروف الأولى إلهاما وأننا أدركنا بعض مدلولات تلك الحروف وأسرارها واستخداماتها من المصدر نفسه . واشتراك حرف الباء في جميع ألفاظ الأب يكشف عن خاصية وسر ومدلول في حرف الباء . وبالمثل حرف الميم في لفظ الأم .

وكل حرف من حروف اللغة له خواصه التعبيرية وأسراره . ونحن لم نتعلم من هذه الأسرار إلا القليل.

وحينما يطالعنا القرآن بتلك الحروف المطلسمة في بدايات السور أمثال : طسم - كهيعص- حم - طس ، فإنه يطالعنا بأسرار بالفعل وليس بمجرد حروف تشابكت كيفما اتفق ، وإنما هي بعض التحديات التي تحدانا بها القرآن ووعينا بأن يأتي تأويلها في آخر الأيام.» (1)

ها نحن نرى كيف تتطور المشكلة في أذهاننا لتأخذ بعدا دينيا . فمن المعلوم أن المفسرين اختلفوا في المعنى المراد بهذه الحروف . فمن قائل أنها تؤلف فيما بينها اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، ومن قائل أنها لغة إلهية يصرف بها الملائكة والعارفون الأمور الكونية(نجد هذا القول عند محيي الدين بن عربي). وهكذا تتعدد التفاسير ، مما يضطر الباحث إلى استطلاع العلوم الدينية الباطنية التي تصنف - كما رأينا- في المستوى الثالث . ولها توضيحات طريفة تحل المشكل في إطاره الديني والوضعي معا ، وذلك من خلال كتب متعددة من أبرزها كتاب يحمل عنوا : «سر الحروف والأعداد وأصولها»، وكتاب آخر عنوانه«علم اللغات»، وهما من استخراج الباحثين الكاتبين : الدكتور التهامي محمد الوكيلي والأستاذ نور الدين عبد الحق .

وماذا بالنسبة للسحر؟ إن النص الديني صريح في هذا الأمر ، تستفاد منه إمكانية التفريق بين المرء وزوجه عن طريق السحر ، ويفهم منه أيضا أن النساء اللواتي ينفثن في العقد يستطعن الحاق الضرر بالإنسان من بعيد ، وقد ورد الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عرضه لسحر اليهود ، رغم كونه نبيا . كما يتحدث القرآن الكريم عن القدرة السحرية للفراعنة حيث ألقوا حبالهم وخيل لموسى من سحرهم أنها أفاع تسعى . ولكن السؤال الأساسي الذي نود طرحه الآن هو كالآتي : ما موقف العلم الوضعي من هذا التأثير السحري؟ وما دور الجداول والأوفاق والطلاسم والبخور في إحداثه؟
قبل الإجابة على هذا السؤال نود الرد على رأي أوساط المثقفين والشباب مفاده أن السحر ليس له تأثير موضوعي ، وأن شخص ما من السحر وأضراره هو نفسه الذي يجعله متأثر بالفعل . وبذلك يكون الشخص الذي لا يؤمن بالسحر وفعالياته في مأمن من هذا التأثر .
إن ألإيحاء الذاتي هنا ، هو العصا السحرية التي يحاول هؤلاء أن يفسروا بها كل ظواهر السحر . وذلكم موقف خاطىء تماما إذا رجعنا إلى التجارب العلمية التي يقوم بها الباحثون في هذا الصدد .
لعل بعض العلماء أجروا تجارب حول التنويم المغناطيسي التخاطري والتأثير الجانبي للعقل على الجسم بدؤوا يحسون بصحة التأثير السحري ، ولكنهم - بحكم الاختصاص – قد يقعون بدورهم في خطإ الاختزال فيذهبون إلى أن الجداول والطلاسم والحروف والأعداد ليست سوى وسائل منبهة لقوى العقل المؤثرة ، فتكون هذه الوسائل الثانوية غير ذات فعالية

(1) القرآن محاولة لفهم عصري ص 236

موضوعية...ويكون السحر وما يسمى بإرسال الهواتف مجرد تخاطر أو تنويم تخاطري أو تأثير فكري على الجسم من بعيد . ولكن هذا أيضا قد يكون محض خطإ . ولتوضيح ذلك نقول أن بإمكان الإنسان أن يؤثر على عقل وجسم غيره من بعيد كما يتبين من تجارب العلماء الروس ، وذلك بغض النظر عن الجداول والأوفاق والحروف والأعداد . ودلت التجارب العلمية على أن الأشخاص تتفاوت قدرتهم على التأثير وقابليتهم للتأثر ، ولكن التأثير على أية حال موجود ولو بشكل طفيف . فلقد سبق أن أشرنا إلى أن العلماء أثبتوا أن مجرد تفكير شخص ما في الآخر يستطيع أن يزيد أو ينقص عدد الكريات البيض في دمه ، (وهي تشكل قناة مهمة من قنوات دفاع الجسم ضد المرض). كما أنه يؤثر على ضغط الدم لديه بشكل ملموس...وتعلمون ما يترتب عن هذا كله من نتائج : لنتصور أن التركيز على شخص ما من بعيد ، قد جرى بشكل مكثف ، وأن الشخص المركز قد أضمر الشر للشخص المستهدف...لاشك أن التأثير على السيرورات العضوية لديه سيحدث بقوة أكثر...فيبدو الأمر وكأنه سحر .

نجد في كثير من كتب التصاريف أن على الشخص ، إذا أراد الانتقام من الظالم أن يقرأ في جوف الليل اسمه تعالى «القهار»،أو «المنتقم»، عددا معينا من المرات مستخرجا من قوى الحروف ، ليحصل التأثير المطلوب . ولاشك أن هذه القراءة التي تدوم طويلا ، إذا كانت مصحوبة بالتركيز وإضمار الشر ، سيكون لها تأثير ملموس على الشخص الآخر دون وعي منه بمصدر هذا التأثير . ولكننا لا نعني أبدا أن أسماء الله والأعداد المتعلقة بها والمستخرجة منها ، ليست لها أهمية خاصة ، ودور تكميلي في استقلال عن القوة العقلية لمن يقرؤها . إنما ننبه إلى أن ذلك لن يتبين إلا بأبحاث أخرى سنعرض لها لاحقا .

وإذا عدنا على تجارب الروس أيضا حول النوم التخاطري وجدنا فعالية تشبه فعالية السحر إن لم تكن هي نفسها بالفعل . فلقد قام الدكتور ك.إبلاتونوف ، بإجراء تجارب تنويمية تخاطرية على فتاة شابة ، ونومها عن بعد ، وبغير علم منها ، سنة **1924** أثناء انعقاد المؤتمر الروسي لعلم النفس العصبي ، وذلك أمام عدد غفير من رجال العلم . كما أن الدكتور ك.د كولتوف ، كان ينوم طالبة من بعيد ويصدر إليها إيحاءات وأوامر تنفذها دون وعي بمصدرها . وكان -على سبيل التجربة- يحضها على زيارة دزيليشوفسكي ، أستاذها في مادة الفيزياء ، فكانت تزوره دون أن تنتبه إلى أنها كانت «مضبوطة»و«مبرمجة» على القيام بتلك الزيارات . ودامت تجارب الدكتور كولتوف على الفتاة مدة شهرين حيث نومها من بعيد ، في ثلاثين مناسبة ، ولم يفشل في أي واحدة منها .

لقد تحمس الروس ، فيما يبدو ، لتجارب التنويم التخاطري ، التي كانوا يجرونها منذ العشرينات . ومن علمائهم البارزين الذين قطعوا أشواطا كبرى في هذه التجارب ، الدكتور فاسيلييف. إلا أنه لم يمكنه الإعلان عن تجاربه أمام الملأ في عهد ستالين . ولم يتح له ذلك ، ولا لغيره إلا في مطلع الستينات حين أصدر كتابه الشهير : «تجارب في الإيحاء الذهني».

ويذهب الباحثون في هذا الصدد إلى أن من الممكن إلى حد ما ، توجيه الأسئلة إلى الأشخاص المنومين تخاطريا ، وتبادل الحديث معهم والإيحاء إليهم ليشعروا بالعطش والجوع والشبع والحرارة والبرودة ، وأنه من الممكن برمجة شخص ما من بعيد ليقوم بأعمال معينة أثناء الغشية ، أو برمجته على ألا ينفذها إلا بعد اليقظة ، وفي وقت محدد ، دون وعي منه بكونه «مسيرا» و«مضبوطا» . وهذا ما اصطلح عليه في التنويم المغناطيسي بـ«الإيحاء التنويمي المؤجل» أو الإيحاء اللاحق التنفيذ **La suggestion post-hypnotique** المؤجل»
كما أورد بعض الباحثين الغربيين تجاربهم في هذا الموضوع ، ومن بينهم الفرنسي : الذي أصدر إلى بعض منوميه(بفتح الواو) إيحاءات متنوعة للتأكد من صحة التأثير عن بعد **Dominique Webb**، وأورد ذلك في كتاب له يحمل عنوان «التنويم وظواهر بْسي» .

ها نحن أمام ظواهر من قبيل السحر . فالتخاطر والتنويم المغناطيسي كلاهما ظاهرتان محيرتان للعلم الحديث رغم اعترافه بوجودهما ، ولم تكشف لنا أية نظرية علمية حتى الآن عن إوالية التنويم وكيفية تأثيره . **(1)**
ومرة أخرى نعود لنتساءل : ما هو دور إطلاق البخور والطقوس السحرية؟ ليس للعلم الوضعي جواب رسمي على ذلك . ولكننا إذا استطلعنا رأي العلوم الدينية الباطنية ، وجدنا توضيحات قيمة تبدأ بالإشارة إلى أن القوة الطبيعية الحالية عرفت بالقوة الدخانية . وإليكم بعض النصوص الموضحة لحقيقة هذه القوة: «إن الطبيعة مركبة من قوى كثيرة قد يعجز الإنسان عن إدراكها كلها ، أو إثبات وصفها وفعاليتها ، وفكر الإنسان القديم أن القوة الدخانية هي أعظم قوة يمكن للإنسان الخروج بها من العالم الطبيعي إلى عالم هو في ما وراء الطبيعة . واعتمدوا على المحروقات واستعمالها في البحث عن القوى الطبيعية . وكان التدخين في القديم له طرق خاصة ، يستعمل كمخدر للاتصال بالقوى الدخانية والتمكن من الرؤيا الباطنية . إلا أن التدخين فقد صبغته كطريقة وأصبح مجدا من القوى ، وأصبحت فعاليته كحاجة تحتاجها الحواس وينعش بها الدماغ لأن الدخان يسبب النسيان يجعل تخفيفا من ضغط افكار ويشعر الإنسان بالحاجة إليه . أما القوة الدخانية فشيء آخر ، وباستطاعة الإنسان أن يركز قواه العقلية ويجعل لنفسه جسما ثانيا للجسم ويكون أساسه دخانا فيرى في أماكن كثيرة دخانا ظاهرا يأخذ شكل إنسان أو حيوان . وهذا عرف عند الشعوب القديمة الذين كان بإمكانهم استعمال هذه القوة ، وهي حقيقية ولكنها قوة طبيعية سميت دخانية ، ولم تكن صفاتها كالدخان الظاهري الذي أساسه نار ، وهذه القوة يستعملها الإنسان عند التمكن من إدراكها وإدراك سر حركتها وسيرتها ، والأشكال التي أسسها قوة دخانية لا تكون مجسمة بل مجرد صورة ترحل من جسم شخص موجود والتشكل بواسطتها في صفة حيوان هي سهلة من تشكل جسم الإنسان نفسه في تلك الصفة . » .
«ولم تكن مرتبة القوة الدخانية مرتفعة جدا في درجتها ويسهل اضمحلالها واعتمد عليها

---

(1) راجع الفصل المتعلق بالنظريات التفسيرية عبر التاريخ في بحثنا«فعاليات الإيحاء في التنويم المغناطيسي»

الكثير لسهولتها وسهولة اكتسابها بالنسبة للقوى الطبيعية الأخرى وتمكنوا بـها مـن إرجـاع قواهم العقلية بمثابة عماليق إلا أن هذه العماليق لم يكن لها أصل كجسم عند استـعـمال هذه ، وهذه الأجسام المشكلة يمكن خرقها ، إذ هي صورية ، كـما يخترق الدخان . وتبين للإنسـان نقصان تلك القوة وانصراف عنها . إلا أن هناك من لا يزال يستعمل المحروقات كجلب لتلك القوة ، إلا أنها فقدت مراتبها(1)» .

هذا النص نتيجة بحث في المستوى الثالث ، وأتاحه الاتصال الباطني الديـنـي للـباحـثـيـن المغربيين اللذين سلف ذكرهما . وسوف نتابع ما يكتبانه عن القوة الدخانية المكتسبة بإطـلاق البخور وعلاقتها بالاتصال الباطني . إنهما يطلقان على الاتصال الباطني الـمنـحـرف ، أي الغير الديني ، اسم «الاتصال الخيالي الواقعي»، ويعتمد فيه على استمداد القوى الطـبيعـية أو قوى الأشخاص الذين امتازوا بالكرامات . وهذه الكرامات ـ كما يكتـبـان-«مـا هـي إلا قـوة مستمدة من أشخاص توصلوا من قبل إلى اكتساب قوى طبيعية استخرجها القدماء بما سـعوا إليه من تغيير في أصول الدين(2)» .

ونلاحظ ربطا بين الاتصال الخيالي والواقعي والقوة الدخانية في النص التالي :
«فالاتصال الخيالي الواقعي إنما معناه كامن في معرفة قوى الخيال المنقسمة إلى ثمانية أقسام يعيشها المتصل بقواه العقلية دون أن يتمكن من الاتصال الحقيقي ، وتعتبر هذه الـقـوة قـوة دخانية سميت كذلك لأن الذين استخرجوها يعتمدون في تطبيقاتهم على المحـروقـات أو مـا يسمى بالتباخير ، وهي دخانية بمعنى خيالية كأن الدخان يتشكل فتصبح له صبغة صـوريـة حسية يشعر بها الإنسان ، فيعيش المتصل عالما صوريا حسيا خياليا يشبه الواقـع ، والـقـوة المكتسبة هب المغرية في ذلك لأن المتصل يظن أنه لو لم يكن على صواب لـما كـانـت لـه قوة» (3) .
ومـن جهة أخرى ، يكتب الباحثان عما يسمى «الخيال بقوى الدخان» ما يلي :
«فالخيال بقوى الدخان ينقسم إلى الأربع قوات ، وهي العناصر الأربعة الطبيعية . أما قـوات العناصر الأربعة فتنقسم إلى ثلاث فقط ، الاتصال الباطني الذي يكزن أساسه قوى دخـانـيـة نجد أن القدماء هم الذين تمكنوا من البلوغ في درجاته واستعمال قواه الأربع ، وذلـك ظاهـر في نوعية الكرامات التي بلغوا إليها ، لأنهم تمكنوا من السيطرة بواسطة قوى طبيعية تظـهـر فعاليتها على القوة المائية وذلك بتحريك الماء والمشي فوقه ، كما تظهر فعالية القوة الـترابية بطي الأرض ، وتظهر فعالية القوة النارية كالمشي على الجمر أو الدخول وسـط الـنـار دون

---

(1) الإنسان والعقل ص104-105
(2) الاتصال الباطني ص 30
(3) الاتصال الباطني ص 30

احتراق ، أما القوة الهوائية فكالطيران في الهواء ، وهذا مثل للكرامات التي تـمكـن الإنسان من البلوغ إليها بواسطة اتصال قوى العقل مع قوى الطبيعية» (1).

هذه النصوص جانبية استخرجها الباحثان بالاتصال الباطني الـديـني . وهـما يقـولان أنه لا يصح أن تنسب إليهما... ونحن على وعي بأنها تطرح مسائل قبل أوانها ، وقد تبدو غامـضـة أمام القارىء ، ولكننا سوف نسوق ما يوضحها في الفصل الخاص بالتقويمات المنبثقة عـن الاتصال الباطني الديني . إنما نوردها في هذا المنعطف ، لتضمنها حديثا عن القوة الـدخانيـة يفسر لنا أسباب استعانة السحرة بالبخور والمحروقات المختلفة . ومن المنتظر أن يـتـوقـف كثير من القراء أمام ما يكتبه الباحثان عن الكرامات من أنها اتصال لقوى الـعـقـل بـقـوى الطبيعة وبالتالي انحراف عن أصول الدين . ذلك أنهم ربما لم يسمعوا في ملة المسلمين بمثل هذا . فالكرامات محمودة في كتب التصوف في حد ما يعلمون . ولكننا نشير إلـى الأساسـيات التي يرتكز عليها الخطاب التقويمي للعلوم الدينية الباطنية أقل ما يمكن أن يـقال عـنـهـا أنـهـا تمتاز بالصلابة والتماسك المنطقي .

أجل ، إننا عندما نورد هذه النصوص السالفة لا نخرج عن الموضوع . لأن العلوم الـديـنـية الباطنية التي استخرجها الباحثان تعتبر الكرامات سحرا ، ونـحن الآن بصدد الحـديـث عـن السحر . ولاشك أن هذا الحكم القيمي يعبر عن موقف غريب حيرنا شخصيا حتى عهد قـريب أما المقصود بالكرامات هنا فهو التحكم العقلي(أو الروحي كما نسميه)في القوى الطبيـعـيـة ، بصفة إرادية . بحيث يغير المكتسب لها ، قوى الطبيعة متى شاء ذلك .

سيقول بعض القراء : إن تقسيم القوى الطبيعية إلى مائية وهوائيـة وترابية ونــاريــة أي إلــى التقسيمات الأربعة ، هو تقسيم سحري متجاوز . ولكننا نطمئنه بأنه ليس متجاوزا في منظـور المتصل بالباطن ، وأن العلم الحديث يتحدث عن نفس القوى ، إنما بلغة أخرى ومصـطلـحات جديدة . وإليكم نصا باطنيا جانبيا يوضح ذلك : «والعقل لا يمكن أن نقـول عـنـه إنـه نـور أو ظلمات ، بل العقل عقل كالماء لا شكل له مشكلا ولا لون ولا رائحة . وهذا على سبيل الفـهم فقط ، وأعطي في القديم أن حركته كالنار وقواه كالتراب وإدراكه كالهواء . فالعناصر الـربع استدل بها القدماء للفهم والتفريق بين قوى الطبيعة ، فمنها قوى مائـية وأخرى تـرابـيـة ثـم هوائية ونارية . فالقوة المائية هي قوة موجودة في الطبيعة وتشكل علـيـه خطرا ،فـالإغـماء والخنق الذي له أسباب قوى توصف بالقوة المائية . أما القوة الترابية فهي كل قوة في الفضاء تشبه غبارا أو ما يسمى بالذرة ،والقوة الهوائية هي كل قوة محرقة في الطبيعة وتـسـمى اليوم كهرباء ، فنجد بهذا أن العلوم تبدلت في ألفاظها وفي التعرف عليها وتمييز قواهـا ولا يــهـم كيف سميت هذه القوى الطبيعية أو الغير الطبيعية بل يهم إدراكها بالفهم وبقوى الحواس » (2)

(1) الاتصال الباطني ص 67.
(2) الإنسان والعقل ص 97 .

نعود الآن إلى موضوع التأثير السحري لنتساءل كيف تفسر العلوم الدينية الباطنية إمكانية التفريق بين المرء وزوجه ، وهذه الإمكانية التي يشير إليها النص القرآني بكل وضوح..فيكون الجواب أن هذه العلوم الباطنية تطالعنا بحقائق منها : أن القوى العقلية ، كما تؤثر على قوى الطبيعة فإن بإمكانها - بطبيعة الحال – التأثير من بعيد على قوى جسم الرجل أو المرأة . وعندما تتأثر القوى الجسمية لأحدهما تتغير فلا يتم التوافق ، خصوصاً إذا علمنا أن القوى الجسمية تؤثر بدورها على القوى العقلية ، فيبدأ الشعور بالانزعاج والكراهية وبالتالي يحدث الانفصال...يكتب الباحثان في هذا الصدد ما يلي :«والمتزوج إن لم تكن قوى جسمه مقابلة لقوى جسم المرأة التي تزوجها فإن يقع في نفس المشكل ويكون التنافر بين الزوجين . وعرف السحر بالتفرقة بين الزوجين منذ القديم لاستعمال الناس القوة الخضراء والتمكن من تغيير قوى الجسم في تقابله مع جسم المرأة» (1) .

سيتوقف القارىء هذه المرة أيضا عند عبارة «القوة الخضراء» مستفسرا ومتسائلا . فالمهم أن نذكر أنها قوة طبيعية يستمد منها العقل بوسائل معينة ، ويستخدمها إلى جانب قوى ظلمانية أخرى في التطبيقات السحرية . فهي التي استخدمها الفراعنة إلى جانب الأعشاب والوسائل الطبية والكيماوية ، ولتحنيط جثث موتاهم . وقد ركزوا القوة الإشعاعية الخضراء في الأهرام حتى ينفقوا منها لإجراء تطبيقاتهم السحرية ، ولاستعمالها في كثير من المهام التي احتاجوا إليها من أجل معرفة ما ووراء الموت . كما ورد في الكتب الباطنية المستخرجة من طرف الباحثين المذكورين أن الدين يحرم الزنا لكونه يجلب للإنسان القوة الخضراء التي نهى عن السعي إلى الاستمداد منها بوصفها قوة ظلمانية . أما الفراعنة فكان حتى الزواج بالأم والأخت جائزا عندهم ، وذلك سعيا منهم لجلب القوة الخضراء . ويستشف مما ذكرناه عن التحنيط أن العلم الحديث قد لا يكشف عن سر تحنيط الجثث الفرعونية إلا إذا أخذ بعين الاعتبار الأبحاث المتناولة للقوى العقلية أو ما يسمى بـ«الأشكال الفكرية» التي يتحدث عنها في مراكز الباراسيكولوجيا والأبحاث الروحية في الغرب .

والجدير بالذكر أن العلوم الدينية الباطنية ، في هذا المجال ، أكثر وضوحا وأقدر تفسيرا وتمييزا ، فهي تقدم شروحا مستفيضة ومعلومات قيمة عن العقل الإنساني وتبين كيف يمكنه الاستمداد من قوى الطبيعة وكيف يمكنه تركيز قواه في الطبيعة هو الآخر . في هذا المضمار يكتب الباحثان : «ومن اكتشافات الإنسان ، القوة الكامنة في الأشياء الموجودة في الطبيعة وقد استغل بهذه المعرفة معادن الأرض أو قوة الذرة إلى غير ذلك من كل قوة ، إلا أن هناك من اتجه نحو البحث المتخصص في معرفة كل القوى الكامنة في الإنسان واستعمالها لنفسه ، فيشبه الإنسان في هذا معدنا من الطبيعة نفسها إنما له حياة ، واكتشفت القوة الشبه مغناطيسية في الإنسان وذلك منذ القديم ،واستعملت هذه القوة الشبه مغناطيسية في مسائل كثيرة كالتنويم المغناطيسي وتخدير الدماغ وتحريك الأشياء . واهتم كثير بتربية هذه القوة الكامنة في

---

(1) الإنسان والعقل ص 119 .

الإنسان بطرق شتى كما يسعى العلم الحديث نفس الهدف ، إنما بوسائل آلية وإلكترونية . وهذه القوة يجلبها الجسم بواسطة العقل من كل ما في الطبيعة ومن المعادن كذلك أو من القوة الأفقية للطبيعة ، ودور الأصنام في هذا أن القدماء الذين نحتوها ، كانت هذه القوة المتكلم عنها مسخرة في أيديهم ، وبالنحت ركزوها وأثبتوها بقوة التركيز في الأصنام المصنوعة من الحجر أو من المعادن على حسب نوعية القوة . وبذلك أعطى دور هام عند الشعوب القديمة للأصنام والتي تلقب بأسماء كثيرة ويعرف دورها بالنسبة لقوى الإنسان ، فيقولون : هذا إله للحب وآخر للكراهية إلى غير ذلك . ولتبقى تلك القوة ساكنة في ما نحت ، فكانوا يذبحون قرابينا ويكونون رهبانا ، هم حراس لتلك العادات والقوانين أو للقوة نفسها حتى لا يغيرها أحد آخر ممن كانت لديهم نفس المعرفة ، والخلاصة في هذا أن تلك القوة الشبه مغناطيسية هي سر في كل تلك العادات القديمة . وهي منقسمة إلى أنواع كثيرة تميز بألوان ضوئية كالقوة الكامنة في الأهرام أو في القصور القديمة التي كانت تبنى بشكل هندسي خاص يستمد من قوى الطبيعة وتركز فيها هذه القوة ، وتلك المباني كانت كلها تستمد إما من قوة معينة كالشمس أو القمر أو الكواكب أو تشمل غالبها . كما يمكن للإنسان الاستمداد من قوى الطبيعة المختلفة أو أصنام لها قوة معينة . والقصور المميزة بالقوى الضارة تسجن فيها القوة الشبه مغناطيسية فتكون إما جذابة لقوى جسم الإنسان أو دافعة لها بضد ما . أما إن كانت قوتها راجعة إلى حركة الكواكب أو القوة الكامنة في الأرض ، فقد يصعب طردها . والأرض أيضا تكمن فيها قوى كثيرة يمكن لقوى العقل استعمالها وتسخيرها أو تغيير مجاريها . إنما ذلك يتطلب مجهودا كبيرا وخلقا كثيرا يجتمع بتركيز واحد أمام تلك القوة . وقد بنى الرومان مدنا في أماكن معينة من الأرض تكمن فيها القوة الشبه مغناطيسية ، ومن هذه القوة تنشق قوى أخرى إشعاعية يدركها العقل بإدراك الحواس ويستعملها الإنسان . ونجد هذه القوة مركزة أولا في الأهرام أو في مباني المعابد أو حول المعامل التي تكون فيها طاقة كهربائية مرتفعة ، وهذه القوة الإشعاعية لها مضار كما أن لها منافع ، ودورها اهتم به القدماء لتحصين المدن ، أو الكنوز ، كما هو الحال في الأهرام أو لوضع ما يسنى بالطلاسم(لاحظ التقارب بين العلم والسحر).وقد تضمحل وتهجر مكانها أو تكون قوتها ضعيفة ، وهذا شأن كل قوة الطبيعة . والقوة الإشعاعية هي أسهل درجة من كل قوة أخرى ، واستعملها الإنسان بكثرة ، ونجد جواهر حاملة لتلك القوة فتكون إما ضارة أو نافعة . وبالآلات في العصر الحديث يمكن استغلال هذه القوة لسهولتها ، والكهرباء هي القوة الظاهرة لها ، ولا يمكن للحواس قبولها دون انفعال ، لأن الحواس لها قوة متحركة فيها . وتقبل الحواس القوة الإشعاعية أو الشبه مغناطيسية لإدراك العقل لها في عالم القوى الطبيعية ، والجسم يمكنه تحمل القوة الإشعاعية المستعملة بوسيلة الآلات لخفة ضغطها ، كما يمكن بها تطوير قوة الجسم التي تمسكه أو استعمالها ضد بعض الأمراض . ويلزم في هذا معرفة جيدة لمعرفة نوعية القوة الإشعاعية ، وهذا لا يمكن بالآلة بل بالعقل لأنه يدرك معالمها ويفرز نوعيتها لنفعال الجسم بها . والعقل هو كمصفاة لكل قوة تريد الارتباط بالجسم أو الالتحام به ، وقد يرفضها إن لم تكن متوازنة مع حواس الإنسان .

استعمل الإنسان القوة الإشعاعية حتى في الرسم وذلك بواسطة العقل والتركيز في الصورة المرسومة . وكثير من الناس يرى أن لبعض الصور حركة . إن الصورة المرسومة في نفسها لا تتحرك ، بل القوة الكامنة فيها هي التي تتحرك عندما يميزها العقل بإدراك ، ورؤيا الإنسان تنفعل كثيرا أمام هذه القوة ، والإنسان المتخصص في معرفتها يمكنه أن يستعملها في ميادين شتى كإخفاء أشياء صغيرة بسرعة . وذلك لأن الرؤيا تنفعل أمام هذه الأشعة ، ولا يمكن الإنسان من رؤية كيفية إخفائها . وهذا عند المشعوذين كثير.

أما القوة الشبه كهربائية فهي التي يتحرك بها الجسم ، يدركها العقل ويرجعها إلى الجسم فيتحرك ، وسر حركات الإنسان وآثارها في الجسم والدماغ أو في الشعور والإحساس فميدانها كبير . وقد اختص الصينيون في البحث عن سر الحركات وآثارها ودرجتها ، وإدراك الإنسان بواسطة العقل لا يمكن توسيعه مع جهل سر الحركات في الإنسان ، والعلم لا يسمى علماً مادامت المعرفة لها نقصان ، والمعرفة هي التي تقبل كل تغيير أم العلم والحقيقة فلا تنافي فيهما .)) (1)

هذا نص مهم جدا يجب ألا يمر عليه القارىء مر الكرام لأنه نص جانبي ، مستخرج من الباطن بالاجتهاد والتمرس وحشد القوى العقلية ، ولا يعبر عن الرأي الشخصي أو الموقف الفردي لأي من كاتبيه ، وإنما بكلمة واحدة ، عن موقف الدين ، ويتجاوز العلوم الوضعية والفكر الإنساني المجرد . ذلك أن مضمونه يعتبر ضمن العلوم التي علمها الله للأنبياء والتي ما تزال في الباطن بإمكان كل متدين مطبق لشروط العبادة والاستقامة أن يستخرجها(هذا رأي الكاتبين على الأقل)؛ ولاشك أنه يطالعنا بمعلومات كثيفة يتوسع الكاتبان في شرحها في أماكن أخرى من كتب العلم الباطني . وإليكم حقائق مستخلصة من هذا النص ستفيدنا في مناقشات لاحقة :

1- يذهب النص إلى أن هناك قوة كامنة في الأشياء الموجودة في الطبيعة يكشف عنها الاتصال الباطني بنوعيه .

2- يقوم بتحديد القوى المستعملة في ظواهر معينة . وعلى سبيل المثال فإنه يقرر أن القوة الشبه مغناطيسية تقف وراء ظواهر كالتنويم المغناطيسي وتخدير الدماغ وتحريك الأشياء .

3- يثبت إمكانية تركيز القوة العقلية في الأصنام الحجرية والمعدنية والمباني وبعض الأماكن وفي الطلاسم أيضا.(لنراجع ما يقوله الكاهن البوذي لوبسانغ رامبا عن الأشكال الفكرية وفعاليتها ،ونلاحظ التقارب والتشابه) .

---

(1) الإنسان والعقل ص 41 إلى 44

4- يعمل على توسيع دائرة الظواهر النفسية الجانبية ، فيكشف عن ظواهر ووقائع قديمة قد لا تطرح اليوم حتى على صعيد الباراسيكولوجيا ، وذلك مثل تركيز القوة في المنحوتات ، وما قيل عن الأصنام من تخصيص لها بقوى الحب أو الكراهية ، والعلاقة بين استمرارية القوى من جهة وذبح القرابين وتكوين الرهبان من جهة ثانية .

5- النص يحطم الهوة بين العلم والسحر ، بحيث يستفاد منه أن السحر استمداد من قوى الطبيعة ،وأن العلم كذلك استمداد من نفس القوى إنما بواسطة الآلات لا بواسطة العقل . فهو يعلن(أي النص)أن القوة الإشعاعية التي تتركز حول المعامل ذات الطاقة الكهربائية المرتفعة هي نفسها القوة المستعملة في وضع الطلاسم . وإذا فهذه القوة يمكن للإنسان أن يستعملها في العلم أو السحر(1)، وقد شرح لنا الدكتور الوكيلي شخصيا كيف أن القوة العقلية الموضوعة في الجداول والأوفاق ، قد تخرج منها أو تنفلت لتتحول في أرجاء الكون وتصل إلى أمريكا أو الاتحاد السوفياتي مثلا حيث يمتصها عقل المهندس ليرسل بها صاروخ السبوتنيك إلى الفضاء . ولكن كثيرا من القراء ليس لديهم استعداد لتقبل مثل هذا ، نظرا لقلة معلوماتهم عن القوى الباطنية للعقل وعلاقتها بالآلات ، ولعدم وضوح فهمهم للسحر وأصول وموارد قواه . وعسى أن يكشف لهم النص الآتي عن حقائق موضحة لما سلف ذكره : ((...لو قيل للإنسان الحديث أن قبله كان من البشر من يطير دون أجنحة لقال هذا لا يمكن ، إنما هو كذلك يفكر ويجيب على حسب ما أدركه من معرفة بما لديه من وسائل اتضحت نتائجها واحتمالاتها وإمكانياتها . والمراد من القول هو أن الحياة الدنيا منذ وجود الإنسان قسمت إلى عصرين ، عصر آلي وعصر فعالي ، فالعصر الآلي أساسه أن القوى الطبيعية سكنت الآلة . أما العصر الفعالي فالقوى الطبيعية كانت تسكن جسم الإنسان ، والعصر الآلي إنما هو صورة معكوسة للعصر الفعالي كأن الإنسان يعيد معرفة ما عرف باستعمال وسائل أخرى للوصول إلى الحقيقة التي عجز عنها الإنسان القديم ، والذي توقف لأدراك شيئا أمام ما لا يستطيع إدراكه . والإنسان الحديث مهما تطورت علومه سيقف هو كذلك ، لأن الوسائل الآلية جعلها بيديه فأعطت صورته أو صورة لما في الكون ولن تعطيه معرفة ما وراء الكون كله .)) (2)

لقد أوردنا هذا النص على سبيل التوضيح . ونشير إلى أننا ما زلنا نستخلص من النص ما قبل الأخير ، حقائق أخرى تبرز موقف العلم الباطني من قوى الإنسان والطبيعة :

7- يشير إلى أن أشكالا هندسية خاصة تستمد قوى طبيعية معينة ، وتختزنها وتركزها ، كما هو الشأن بالنسبة للشكل الهرمي . ولعل العلم الحديث بدأ يقف أمام حقائق من هذا النوع كما سنرى لاحقا .

---

(1) في كتاب يحمل عنوان((الإلحاد))، يبين الباحثان كيف أن العلم الحديث هو نفسه سحر ، بكل ما في الكلمة من معنى راجع الصفحات :112-113-129-130-131 .
(2) الإنسان والعقل ص 89

8- يبرز إمكانية استمداد الإنسان من قوى الشمس أو القمر أو الكواكب أو كل ذلـك ، ومـن الأصنام التي ركزت فيها القوة الطبيعية .

9- يبرز أيضا أن قوى الأماكن مختلفة . فنجد أماكن تسكنها القوة الشبه مغناطيسية ، في حين نجد أماكن تسكنها قوى أخرى مغايرة ، وتختلف قوى الكهوف عن قوى المرتـفـعات وعـن قوى الأماكن المنخفضة .

10- يصرح النص بتأثير حركات الإنسان على الجسم والدماغ والشعور والإحساس ، ويعلن أنه لا يمكن توسيع الإدراك بواسطة العقل إلا بمعرفة سر حركات الإنسان أي كيف تؤثر كـل حركاته وأوضاعه الجسمية كالوقوف والجلوس والركوع والسجود ، ووضع النـوم ، عـلـى قوى جسمه وقوة عقله بصفة حتمية ، سواء وعى بذلك أم لم يكن به واعيا . وهكذا فكل وضع أو حركة لابد أن يجلب للجسم قوى من نور ، أو من ظلمات ، وهي قوى باطنية تـقـربـه أو تبعده عن الاتصال الباطني الديني الشعوري . فإذا ما وقف الباحث على الفعاليات الباطنـيـة لكل وضع وحركة فإنه سيعيد الاعتبار لكثير من الأنساق الحركية الموضوعة منذ الـقـديـم ، ويدرك الأبعاد الحقيقة لحركات اليوغا والكارتيه والكونغ فو ومـا شابـهـهـما ، وحـركـات الصلاة . وسوف يعرف معنى قول المتصل بالباطن الديني أن حركات الصلاة تجلب القـوة الصفراء من الكعبة إلى الجسم والعقل ، وأن المثلث اليوجي ما هو إلا تحريف أو تـغـيـيـر لوضع ديني رباعي متضمن في عملية الصلاة ، فـهـذا الوضع الـيوغي مـدروس باطـنـيا ، ومحكم ، بحيث يجلب قوى الظلمات إلى الجسم مثلما يجلب الشكل الهرمـي الـقـوة الـشـبـه مغناطيسية بصفة تلقائية ودائمة .

11- يشير النص إلى أن القوة الإشعاعية قوة باطنية تحملها الجواهر فتكون ضارة أو نافعة ، في حين أن الكهرباء هي القوة الظاهرية لها ، مما يلوح إلى وجود نوع من التقابل بين القوى الباطنية والقوى الظاهري ، ويبين أن القوى الطبيعية المعروفة والمصنفة عـنـد الـعـلـماء الفيزيائيين والطبيعيين لها أصل ، ومورد باطني تستقي منه ، وبذلك فهي ليست بعـيـدة عـن قوى السحر والطلاسم . ولكن هؤلاء العلماء ليسوا على وعي بحقيقة تلك القوى فيظنون أنهم تجاوزوا السحر والتفكير السحري ، وأن منطلقهم بعيد عن الدين وما يسمى بالروحـانـيـات ، مع أن المتصل بالباطن الديني يصف قواهم وطاقاتهم المستعملة ويعرف أصولها ومنابعـها ، بل ويستطيع السيطرة عليها وتوقيف حركاتها أو طردها من الآلة . كـما يـعـتـقـد الإنسـان المعاصر أنه متقدم أكثر من الإنسان القديم ، بالآلة ومنجزاته العلمية ، والحقيـقة أن الإنســان القديم كان أكثر قوة ومعرفة ، وإنما كان يبحث بقوى العقل ، ويصل إلـى نـتـائـج هـائـلـة ، ويستطيع أن يحقق كل المنجزات التي تحققها الآلات اليوم إذ أنه كان يـعـيـش فــي الـعـصـر الفعالي (1).

---

(1) على سبيل المثال فإن الفراعنة عرفوا الطاقة الشمسية ، واستعملوا المرايا لجلب طاقة الشمس وتركيزها في أجسامهم ، وصر المرايا الموجود قرب الأهرام كان مركز تحويل للطاقة الشمسية .

ولهذا فمن الخطإ أن نصمه بالجهل أو الغباء . ولاشك أن هذه الفكرة كما سيبدو للقارىء هي، بالنسبة لعصرنا فكرة ثورية...

سيقول بعض القراء إننا ، بالتأكيد أحسن حالا من القدامى لأنهم كانوا يستضيئون بالشمع والمشاعل ونحن نستضيء بالكهرباء ، وكانوا يسافرون على البغال ونحن نستعمل الطائرات ، والسيارات . ولكنهم لو قرأوا كتاب «الإنسان والعقل» قراءة متمعنة وغير متحيزة ، لتبين لهم أن التقدم الآلي سيف ذو حدين : ليس فقط لأنه يستعمل في الحروب أو لأنه يفسد ويلوث البيئة الطبيعية ، بل -أكثر من ذلك- لتأثير على قوى العقل والجسم تأثيراً لم يتبين للعلم الحديث ، ولكنه معروف باطنيا ، أي بالبحث في المستوى الثالث .

12- يصرح النص بأن المعرفة الجيدة لنوعية القوة الإشعاعية لا تمكن بالآلات بل بالعقل . وهذا تجاوز للعلم الوضعي المستعين بالآلات . ولاشك أن هذه حقيقة خطيرة تعني أن العلم الوضعي ، على الأقل شكله الراهن ، لن يستطيع تحديد وتفسير القوى الباطنية التي تقف وراء الظواهر الجانبية ، أو لنقل «بعض الظواهر الجانبية» (1) على سبيل التدقيق . وإليكم نصوصاً أخرى تتطرق لبعض الحواجز والصعوبات الكأداء التي تعترض العلم في دراسته لهذه القوى ومقاربته لإمكانيات الإنسان الباطنية بصفة عامة :

«وقد تمكن الإنسان في القديم من البلوغ إلى علوم مدهشة وسرها فيما توفر لديه من قوى الطبيعة الفعالة ، وتمكن من تغيير قواه الجسمية وإعطائها صبغة أخرى بعد معرفة القوى العقلية المسيطرة على الجسم ، والتي بإمكانها تغيير حجم الإنسان وتبديله إلى حجم أكبر مما هو عليه ، وقد يبدو هذا مستحيلا ، وأن الحديث عن العمالقة كله خرافة . وعدم التصديق في هذا الميدان هو دليل على عدم توفر المعرفة عن القوى الطبيعية ومنتهاها . أو قوى العقل وقدرتها . ولكن نجد علماء العصر الحديث جادين في البحث عن تلك الأسرار ، ولا ننسى أن الطبيعة قد تغيرت وتبدلت قوتها ، واضمحلت أشياء كثيرة كما اضمحلت الحيوانات الكبيرة ، وقد نجد أحاديث كثيرة يشبهها الإنسان العصري بالخرافات منها أن بعض الشعوب عرف عندهم أن الإنسان بإمكانه التبدل في جسمه والتقلب إلى حالة جسم آخر هو من صورة حيوان أو أفاع إلى غير ذلك ، والقول عندهم أن السر في ذلك كله يسمى سحرا ، وعرف الفراعنة في تقليب الحبال أفاعيا،والهنود إلى يومنا هذا بإمكانهم إيقاف الحبل والتسلق فيه . كما وصف الإنسان القديم بالطيران دون أجنحة أو المشي على الماء أو بالاختفاء . ونجد كتبا في هذا الصدد تعطى فيها الطريقة للبلوغ إلى ذلك . أما التصديق فيبقى شيئا آخر ، والحديث في السحر موضوع آخر ، إلا أن من واجب الباحث ألا يترك هذا الموضوع أو اجتنابه ولابد من البحث فيه . والبحث في هذا يطول ولن يجدي شيئا والسبب بسيط ، لأن قوى الطبيعة قد تغيرت واضمحل معظم القوى المتيحة لذلك إلا إذا تمكن الإنسان من إرجاعها . وانقسام المعرفة إلى معرفة بقوى العقل ومعرفة بقوى الآلات تبين للإنسان العصري حدود علمه

---

(1) نقول «بعض الظواهر الجانبية» إذا افترضنا أن الباحثين استطاعوا تفسير البعض الآخر منها تفسيرا علميا يخرجها من دائرة الغموض والجانبية .

وكذلك مستواه ، وذلك بتحديد ما يتوفر لديه من قوى في الطبيعة . وإذا توفر للإنسان البلـوغ إلى معادن مجهولة لديه الآن فقد يتمكن من إثبات خرافات القدماء . وقد يمكنه بوسيلة أشعـة مازال لم يكتشفها أن يغير هو كذلك حجم جسمه وأشياء أخرى.)) (1) .

يستشف مما قيل هنا ، أن معظم القوى المتيحة للقدرات السحرية والباطنية القديمة ، قد تغير وتبدل أو اضمحل تماما .(لاحظ أن العلم الحديث لم يصل بعد إلى مسألة اضمحلال القـوى ، فالمعروف أن الطاقة تتحول ولا تضمحل). والمهم أن نشير أن هذا التغـيـر والاضـمحـلال سيجعلان عائقا ابستمولوجيا أمام المستوى الثاني من البحـث علـى الـخـصـوص ، والـذي اقترحنا أن تكون المهمة المنوطة بالباحث فيه عن نظائر وأشباه للظواهر الجانبية المحقق في شأنها تجريبيا ، وذلك في حقول شاسعة يمكن تلخيصها في التراث والثقافة الشعبية والفلسفة .
ويتجلى العائق الابستمولوجي الذي أشرنا إليه ، في الآتي : أن في كتب التراث أحاديث تتعلق بقدرات إمكانيات الإنسان القديم ، ولكي نحسم في مسألة إمكانها ووجودها نلجأ إلى مستـوى التحقيق والتجريب في الباراسيكولوجيا المعاصرة لنقيس ما قيل ، على ما يثبت الـيـوم مـن ظواهر جانبية . ولكن لنفرض أنه ورد في كتب التراث حديث عن ظاهـرة اضـمـحلـت أو تغيرت القوى الطبيعية المتيحة لها ، بمعنى أنه أمكن وقوعها في القديم ولا يمكن اليوم ، فماذا بوسع الباحث في المستوى الثاني أن يفعل؟ هل ينفي بصفة نهائية إمكان وقوع تلـك الظاهـرة لمجرد أن أبحاث اليوم تثبت بعد وجود نظائر لها؟ طبعا هذا غير جائز لاعتبارين أساسيين :

أولا : لأن العلم الوضعي لم يقل الكلمة النهائية ، فالاكتشافات الجديدة قد تبين أنه من الممكـن دراسة ما لم يمكن دراسته سابقا ، وقد تحدو بنا إلى إثبات ما كنا حتى عهد قريب ، مجمعيـن على نفيه بصفة قاطعة .
ثانيا : لأن هناك مستوى اصطلحنا على تسميته بالمستوى الثالث ، تتجاوز بـعـض خطاباتـه القوانين والنظريات العلمية الوضعية وتنتقدها مبررة أصول الأدوات المستعمـلـة لإنـتـاجـها واستخراجها ، كما تكشف عن ثغرات ونقائص البحث العلمي ، وتـعـطـي عـلـوما جـاهـزة مصححة لما عداها من علوم ومعارف مجردة ، ونقصد هنا بالضبط خطابات المتصـلـيـن بالباطن بالطريقة الدينية ، فهي تثبت وجود ظواهر جانبية كثيرة ، بصفة جازمة وحاسـمـة ، في حين أن العلم الحديث قد لا تسمح له إمكانياته الحالية بالبت في شأن وجود تلك الظواهر .
فالحل بالنسبة للباحث في المستوى الثاني يـتـمـثـل فـي أن يضـع بـيـن قوسين تلك الظواهر الجانبية الواردة في التراث التي لم يجد في نتائج ومنجزات البحث الباراسيكولوجي ما يثـبـت إمكانية حدوثها . والوضع بين قوسين نعني به عدم الرفض أو القبول انتظار لحقائق علمـيـة جديدة أو لنتائج البحث في المستوى الثالث .
وأكثر من هذا فإن العلوم الدينية الباطنية تبرز للباحث أن هناك صعوبـة أمـام الـراغب فـي معرفة علوم الإنسان القديم والحقائق التاريخية بصفة عامة :

---

(1) الإنسان والعقل ص 56. .

«إن معرفة الإنسان تتغير عبر العصور بصفة مستمرة ، وكثير منها أصابه الإتلاف أو الانقراض كما هو شأن اللغات والكتابة ، ومن الصعب على الإنسان الحديث أن يدرك علوم الإنسان القديم ، لأسباب كثيرة ، فقد تكون لم تدون في كتب ولم تنقش في حجر ، وحتى الروايات تنقرض لاسيما إن لم يكن لها دليل مادي أو إن كانت صعبة التطبيق ، وعلى كل حال لابد من الرجوع إلى العلوم القديمة لنجد أن الإنسان القديم كان يبحث في نفسه عن نفسه ، وكان يبحث عن قدرته وقوة إدراكه لتطوير وسيلة عيشه واتصالاته مع الآخرين وحتى مع الحيوانات المحيطة به...» **(1)**

ولكن هل من الممكن أن تنقل المعرفة إلى أجيال أخرى دون نقشها على الحجر ودون تدوينها في الكتب والرقع الجلدية وما شابهها...؟

تجيب العلوم الدينية الباطنية بالإيجاب موضحة ذلك في النص الآتي :
«...وكم من علم لم ينقش على حجر بل سجل فيها بواسطة العقل كما تسجل الأصوات والصور في شريط تسجيل . إنما ما سجل من علم في الحجر لا يقرأ ولا يري إلا بقوة العقل . وهذه الطريقة استعملها القدماء لتبليغ ما عرفوا ، إنما هذا النوع من التسجيل قد يضمحل لأسباب كثيرة إما لدخول قوة أخرى عليه أو لضعفه » **(2)**.

هذا النوع من التسجيل الفعالي يبرز مرة أخرى أن قوى العقل يمكنها أن تسكن المادة . أما القراءة العقلية لما سجل من علوم فهي أشبه ما تكون بظاهرة «قياس الأثر الروحي» المعروفة حيث يقرأ الوسيط انطباعات الأشخاص وأفكارهم ، على أشياء سبق لهم لمسها أو استعمالها .

وإليكم الآن وجها آخر من أوجه تجاوز العلوم الدينية للعلوم الوضعية الراهنة : لقد أشرنا سابقا إلى ما تبرزه العلوم الباطنية من أن العلم الحديث لا يزال يستعمل قوى الماء والهواء والتراب والنار ويعطيها أسماء ومصطلحات أخرى ، وأوردنا نصا موضحا لذلك . إنما يبقى لنا أن نبين أن هذه العلوم تبلغ أكثر من مجرد التعادل عندما تكشف النقاب عن قوى أخرى لم يكتشفها العلم الحديث بعد ، مثل القوة الهبائية . فلاشك أن الظواهر الجانبية التي تقف ورائها القوة المذكورة ، ستكون غير مفهومة تماما بالنسبة لعلماء اليوم إذا اعتمدوا على الجداول العلمية الحالية ، المحددة لأنواع الطاقة المعروفة لحد الآن . يكتب الباحثان :
«إن الإنسان مازال لم يستخرج كل معادن الأرض أو كنوز الطبيعة لاسيما المعادن الهبائية ، والأشعة الباطنية يمكن للإنسان أن يستخرج معادن أخرى من الهباء وجمعها بواسطة آلات ، وهذه المعادن هي أقصى ما يوجد في الطبيعة من قوى . ونجد معرفة هذا عند الهنود شيئا مقبولا ، فقد حاولوا خلق أشياء والاستمداد من قوتها ، وسبيل بحثهم كان بواسطة قوى العقل ولم يكن بالآلات.

---

(1) الإنسان والعقل ص 71.
(2) الإنسان والعقل ص 69 – 7.

وحتى لو استخرج الإنسان من الطبيعة هذه المعادن الهبائية ، فإنه لن يمكنه أن يجعل فيها حياة كما كان يعتقد من قبل بل يمكنه استعمال قوتها فقط ، إنما هي أخطر من القوة الشبه مغناطيسية وأقوى من القوى الإشعاعية ولها أثر كبير على جسم الإنسان ، وهذه المعادن أشد صلابة ومنها معادن شبه حديدية وأخرى شبه نحاسية وشبه ذهبية . وخلاصة المفهوم أنها صورة ثانية لما في الطبيعة كلها . فهي طبيعة ثانية وكأن الأرض فوقها أرض أخرى إلا أنها ليست مادية ظاهرية ، وهذا موضوع لا يمكن التطرق إليه فهو أسرار الطبيعة ومحتواها ، إلا أن العقل بإمكانه إدراك عوالمها لأنها من الطبيعة نفسها . وقد يتوصل الإنسان إلى تمييز هذه القوى وإفرازها وفصلها أو جمعها وبها يتمكن أن يكتشف كذلك كيفية إخفاء بعض الأشياء وظهورها في أجواء الأرض» (1) .

إن القوة الهبائية نموذج واضح لما يمكن أن يكتشف عنه الباحث بقوى العقل ، بعيدا عن الوسائل العلمية الآلية . ولذلك وصفنا المستوى الثالث بأنه مستقل عن المعطيات العلمية وغير مقيد بها أو متوقف عليها بأي شكل من الأشكال . فالنصوص التي أوردناها سالفا ، والتي استخرجها الباحثان المغربيان ، هي مأخوذة عن الاتصال الباطني الديني ، وتتضمن معلومات غريبة وطريفة قد لا نجدها في أي مرجع في العالم ، وهي دليل قاطع على وجود أساليب بحث أخرى غير الأسلوب العلمي المعروف ، يمكنها أن تفسر ما لم يستطع تفسيره على سبيل المثال فإن كتابا باطنيا يحمل عنوان«المهاد» أو الصحون الطائرة ، قد أبرز فيه الباحثان حقيقة هذه الصحون وبسطا معلومات قيمة عن العوالم الأحرى وسكانها ، وأسباب زيارة البعض منهم للأرض . بل إن العلم الباطني أعطى أوصافا دقيقة لأشكالهم ووجوه الحياة في عوالمهم ، ومعلومات دقيقة عن آلاتهم وأسلحتهم ، في حين أن العلم الرسمي ليس له موقف واضح إزاء الصحون الطائرة . فالعلماء غارقون في جدل بيزنطي حول مسألة وجودها . ومنهم من يفضل الصمت لصعوبة الحسم في الأمر . بل لعل بين مثقفينا من يقول إن هذه خرافة انتهى أجلها...ولكن لا علينا من هذا كله . سنعود إلى الموضوع الذي كنا نناقشه ، أي تأثير الطلاسم والجداول والأوفاق ، والخصائص الباطنية للحروف والأعداد . وسوف نستطلع هذه المرة نموذجا للمنجزات العلمية الراهنة التي تقرب إلى أفهام العلماء الوضعيين تلك الحقائق الباطنية السالفة الذكر ، وتبرز وجود طاقات مجهولة لم تصنف بعد ، ووجود قوانين خفية تنسخ وتتجاوز القوانين الحالية ، كما تبين فعاليات الأشكال وإمكان تركيز الطاقة النفسية في المادة .

يقول الدكتور سليمان النجار في كتابه : «الحاسة السادسة والطاقة النفسية»، نقلا عن ليال واطسون ، ما يلي : «إن روبرت(Pavlita) التشيكوسلوفاكي ، مدير الرسم في معمل نسيج مدينة براغ اكتشف أن مزيجا من عدة معادن له مزايا غريبة ، إذا أخذه الإنسان بيده

---

(1) الإنسان والعقل ص 57 .

واستعمله كثيرا فإنه(أي المعدن)يكتسب طاقة ويمكنه اجتذاب مواد غير مغناطيسية . يظهر كان ذلك كهرباء استاتيكية ولكن هذه يبطل فعلها في الماء ، أما مكنة بافليتا فتعمل في الماء . إن لجنة من الجامعة لم تتمكن من حل رمزها . فلا علاقة لها بالكهرباء الستاتيكية ولا تيارات الهواء ولا تغيرات الحرارة أو المغناطيس... »

«...لقد تدخلت الحكومة وعينت مدنك رجداك لبحث سر هذه المكنة فلم يجد أثر للغش . وبقي يعمل مع مخترعها فأنتجا آلة كعكة مستديرة وجد أنها تقتل الذباب إذا وضع داخل الدائرة . كذلك صنعا ألة مربة زادت سرعة نمو برز اللوبياء داخلها. وأخيرا صنعا آلة صغيرة الحجم إذا وضعت في الماء الملوث الذي يخرج من المعمل تجعله صافيا كالزلال بعد وقت قصير . ولدى فحص الماء وجد أن هناك بعض التغير في التركيب الجزئي ، ولم يكن التغير كياويا هذه الآلة إذا حدق فيها شخص له قوة نفسية تختزن منه القوة ، فإذا وضعت بقرب محرك كهربائي تأثر بها وتحرك. » (1) .

لعل هذا النص يقربنا من فهم ما يقال عن مثلث برمودة الذي يجذب السفن والطائرات والذي جاء في كتب العلم الباطني أنه مكان يتمركز فيه ما يسمى بالقوة الثلاثية ، وهي قوة معروفة باطنيا . بالإضافة إلى هذا فلشكل المثلث فعاليات سبق أن أتينا بما يلمح إليها عندما أوردنا نصا باطنيا يتحدث عن اجتذاب الشكل الهرمي المكون من مربع وأربعة مثلثات ، للقوة الشبه مغناطيسية .

ولتفسير الظواهر الغريبة التي تحدثها آلة بافليتا يضع بعض العلماء فرضية مفادها أن الشكل والصورة لهما تأثير على الوظيفة . فمن المعلوم أن المادة تتفاعل مع ضغوط البيئة باتخاذ أشكال تختلف باختلاف تواتر التموجات. (2) ومما يقف في صف الفرضية السالفة الذكر أن أحد صانعي اللبن الرائب : «اليوغور» في فرنسا ، وجد أن وعاء بشكل مخصوص ينتج أحسن اللبن وأن البيرة المصنوعة في وعاء مستدير أفضل من البيرة المصنوعة في وعاء ذي زوايا(3) هذا بالإضافة إلى أن الشكل الهرمي توضع تحته شفرات الحلاقة التي لم تعد صالحة للاستعمال فتمضى من جديد . كما أنه يحفظ الأطعمة من الفساد لمدة طويلة إذا وضعت بداخله ،(وهذا مما يفسر وضع الفراعنة لجثث الموتى داخل بناء هرمي)...ونجد في كثير من مجلات الروحانيات والطب الموازي إعلانات تجارية عن بيع أشكال هرمية ذات أبعاد مدروسة ، من شأنها استثارة القوى الباطنية بسرعة ملحوظة ، ومضاعفة الطاقة النفسية ، وشفاء الأمراض لجسمية والعقلية . كما نجد أجهزة أخرى معروضة للبيع يقال أنها

---

(1) الحاسة السادسة والطاقة النفسية ص 93 – 94 .
(2) نفس المرجع ص 94 .
(3) نفس المرجع ص 94 .

تكثف الطاقة النفسية .

إن هذه الحقيقة تقترب بنا من المبدإ الذي تقوم عليه فعالية الطلاسم والرموز ، والحروف والأعداد . فالكاهن البوذي الاما لوبسانغ رامبا ، يورد في مختلف كتبه عبارة مأثورة عن . الكهنة القدامى هي كالآتي : **<OMmani padmi hum>**ويقول إن لها فعالية باطنية قصوى . فتكرار قراءتها مرارا ، يستطيع الإنسان أن يرفع سرعة اهتزازاته الروحية ويدخل العالم النجمي(الروحاني)بسهولة . وإذا تأملنا الحروف المكتوبة ، والأصوات المقابلة لها فستجد أنها ، في نهاية المطاف ، أشكال صورية وصوتية قد يكون لها من التأثير للشكل الهرمي أو أشكال آلات بافليتا .

ونجد في العلوم الدينية الباطنية أن للطلاسم والرموز فعاليات باطنية ، وأن الجداول والأوفاق هي عبارة عن خزانات لقوة مستمدة لقوة طبيعية من أشخاص أو أصنام ، وقد يستعين بها البعض للتمكن من الاتصال الباطني الخيالي الواقعي ، وبعد أن يوفق قواها شخص امتاز بكرامات . في هذا الصدد ، يكتب الباحثان المغربيان ما يلي :

«...إنما مجرد كتابة الطلسم لا تكفي ، لأنه يجب على كاتبه أن تكون له قوة في جسمه تعتبر قوة شبه مغناطيسية لها فعالية . وهي كامنة في الإنسان من بعد أن يتم له اتصال بقوى أشخاص معينين أو أصنام أو قوى طبيعية ، فالسر ليس فيما كتب بل في الكاتب» **(1)**

وهكذا تنطلق القوة الباطنية فيما بعد لممارسة تأثيرها على الأشخاص والأشياء...ألست هذه خزانات للطاقة شبيهة بالآلات بافليتا العجيبة؟

هذا بالإضافة إلى أن المتصلين بالباطن بالطريقة الدينية يقولون إن الرموز وحدها كافية لجلب قوى النور أو قوى الظلمات . فالرمز التالي إذا ما رسمناه يلتحق به النور مباشرة + ، في حين أن هذا الرمز يجلب قوى الظلمات ، 卐 . ويلاحظ أن الرمز الثاني الذي اشتهر به الألمان قد تم وضعه بتغيير الرمز الأول حتى يجلب قوى الظلمات بدلا من قوى النور (والتغيير يتجلى في إضافة الاسطقسات الأربعة لأطراف الاسم النوراني الأول حتى يجلب قوى الطبيعة). وأكثر ما تتضح هذه الفكرة عندما يقول هؤلاء المتصلون بالباطن أن شكل البيت الذي يسكنه الإنسان من شأنه أن يجلب النور أو الظلمات حتما . فالمسلمون مأمورون دينا بأن يسكنوا بيوتا شكلها مكعب وأبوابها في جهة القبلة ، ليس عليها طبقات . وبهذه الطريقة يعم البيت نور يرى باطنيا ، وهو يمكن الإنسان القاطن من الصعود في مراتب ودرجات العقل بسرعة ويسهل عليه الاتصال الباطني النوراني .

إن هذا إقرار صريح من العلوم الدينية الباطنية بتأثير هندسة المباني على القوى الجسمية والعقلية ، فإذا كان شكل البناء غير ما ذكرنا فإنه يجلب قوى الظلمات ، بالتالي يجد الإنسان الراغب في الاتصال النوراني حاجزا يمنعه من ذلك ، متمثلا في شكل البناء . واليوم لا نجد

---

(1) الاتصال الباطني ص 37 - 38 .

عند علماء الدين تركيزا على هذه النقطة مع أنها أصل من أصول الدين . في حين أن العلم الباطني وكثيرا من الفلسفات والعقائد الشرقية ، تكشف لنا عن حقائق خطيرة من هذا النوع قد يعتبرها المسلمون اليوم هامشية . وينطبق نفس المبدإ على حركات الإنسان وأوضاعه الجسمية بوصفها أشكالا . فقد سبقت الإشارة إلى ما يكتبه الباحثان من أن كل حركة أو وضع لابد أن يجلب للجسم والعقل إما قوى النور أو قوى الظلمات . وهكذا يتبين وجود الفعالية في ما كنا نعتقده أن لا فعالية فيه . ورغم ذلك فقد تناقصت القوة العقلية التي كانت السر في فعالية وتأثير بعض أشياء . يشرح لنا الدكتور الوكيلي كيف أن شعر الهجاء عند القدامى لم يكن مجرد شعر فقط ، وإنما كان يشحن بقوة عقلية تتسلط على القبيلة المهجوة ، فتخرب ديارها ، وتصيبها بأضرار بالغة . بل إن القبيلة قد ترحل من مكانها إذا كان للشعر قوة باطنية كبيرة...

هنا نذكر القارىء بأن ضربة العين الشريرة ، غالبا ما تكون مرفوقة بعبارة كلامية فيها تشبيه للشيء المنظور بشيء آخر ، وهذا أمر معروف في الأوساط الشعبية...كل الومضات السالفة ، تقفز بأذهاننا إلى ما يستخرجه بعض المتصوفة من الباطن ، من قصائد شعرية لها نظام أو تركيب لغوي خاص ، ومن شأنها أن تحدث تأثيرا باطنيا على قارئها أو على غيره ، أو أشياء في الطبيعة . أما اليوم فلم تبق للشعر تلك الفعالية ، لوجود نقص في القوة العقلية للإنسان ، ولقلة الاتصال الباطني الشعوري الذي يظهر للإنسان الفعالية الكامنة في كل ما يكتب وما يقال .

بقي الآن أن نوضح أمر الاستبصار أو التنبؤ الذي يتم عن طريق استعمال أوراق اللعب أو كتاب الآي تشينغ الصيني أو ما شابه ذلك . فالمهم أن نشير إلى أن كثيرا من الباحثين الغربيين يذهبون في هذا الصدد إلى أن الأداة ليس لها أي تأثير في ذاتها ، ولكنها نوع من الشفرة يخاطبنا اللاشعور بواسطته ، بمعنى أن المستبصر هنا «يتفق» مع لاشعوره على القواعد التأويلية لمعطيات الأداة المستعملة ، ويقوم اللاشعور بدوره الأساسي ، فيقود الحركات اليدوية للمستبصر أو المتنبىء ، ويبين له بهذه الطريقة الخفية ، أحداث الماضي والحاضر والمستقبل. وكثيرا ما لاحظ كولن ويلسون أنه يفتح كتابا للبحث عن معلومة معينة، فيفاجأ إذ يجد أمامه الصفحة المطلوبة لأول وهلة . فالحاسة السادسة ، هنا ، هي التي قادت يدي الباحث بصفة لاشعورية ليحصل على المعلومة بسرعة . وهذا ما يحدث للمستبصر المستعين ببعض الأدوات كأوراق التاروت . أما بالنسبة لمن يقرأون الفنجان أو لوح الظهر أو أشكال السحب في السماء فنرى أن الحاسة السادسة تقيم تواصلا مع وعيهم ، إما عن طريق الهلاوس التي يرونها في الأداة المتأملة بعد القيام بنوع من التركيز ، إما عبر عملية الإسقاط المعروفة في علم النفس الرسمي والتي بنى عليها اختبار الرورشاخ المعروف ، حيث يرى المستبصر بقعا أو صورا منعكسة على الفنجان أو يرى أشكال السحب ، فيقوم بتأويلها كما يؤول المريض بقعة الحبر في اللوحة الرابعة من اختبار الرورشاخ بأنها عملاق أو جلد خروف . وهكذا يخاطبه اللاشعور بتأويلات من هذا النوع ، فيخبر نستفسريه بما يرى وتكون البقع والصور مجرد أدوات تقيم التواصل مع الحاسة السادسة عبر اللاشعور .

أما خطوط الكف فقد حاول كثير من العلماء الكشف عن العلاقة بينها وبين الخصائص النفسية والعقلية . وقد أشار ليل واطسون إلى حدث مهم جرى لأحد الأشخاص ، ويوحي بشيء من هذا القبيل ، حيث أنه ، إثر حادثة سقوط ، أصيب بكسر في الجمجمة ، فدخل في حالة غيبوبة لمدة خمسة عشر يوما ، في ظرف الأسبوع الأول منها انمحت خطوط كفيه تماما ثم بدأت بالظهور تدريجيا ، متوازية في ذلك مع عودته التدريجية إلى وعيه . فهذا يدل على أن عمل الدماغ له علاقة بتلك الخطوط . ونعلم من جهة أخرى ، أن خطوط الكفين ليست متماثلة عند الناس . أفلا يمكن أن تكون انعكاسا للفوارق النفسية والعقلية والجسمية؟ إن علاقة الجلد بمحتويات العقل - يقول واطسون – ظاهرة بينة . فالطب السيكوسوماتي يبين أن كثيرا من الأمراض الجلدية كالحكة وظهور البثور وأمراض الحساسية ، تعود للقلق أو الاضطرابات الوجدانية . وهناك أبحاث أخرى تكشف لنا نفس العلاقة . ففي سنة **1967** قامت فرقة من أطباء اليابان بدراسة خطوط الكف لكثير من المرضى فتبين لها وجود ارتباط بين علاقات معينة في الكف وبين الإصابة ببعض الأمراض كالنقص في إفراز الغدة الدرقية وتشوه العمود الفقري والنقص في وظائف الكبد والكلي . وهم يستطيعون التنبؤ بما إذا كان الشخص على شفا الإصابة بأمراض كالسل الرئوي وربما السرطان(1) .

مثل هذه الحقائق تقربنا أيضا من تفهم مزاعم قاريء الكف . ونحيل الراغب في الاستزادة إلى كتاب واطسون : «الطبيعة الفائقة» ، مناقشة مستفيضة لعلم الكف . ولكننا نود القول في النهاية بأن الأبحاث الوضعية المتناولة لهذه الظاهرة ، لا تزال في بداية الطريق ، ويصعب أن نناقش انطلاقا من معطياتها ، تنبؤ قارىء الكف بأحداث مستقبلية لا علاقة لها بالحالة الصحية أو العقلية .

ولقد تحدثنا في مواضع من هذا الكتاب عن علاقة القوى الباطنية بمستويات الوعي ، وأبرزنا علاقة هذه الأخيرة بمسألة الحقيقة ، حتى يكون واضحا لدى القارىء أن موضوع القوى الباطنية ليس مستقلا عن مواضيع أخرى . ذلك أن اتصال المتصوفة على سبيل المثال ، بالقوة العقلية لشيخه أو بقوى الطبيعة ، يعطي لمشاهداته اتجاها معينا ، فتكون الحقيقة بالنسبة له ما يراه . وقد يرى باطنيا أن من الممكن الاتصال بالله أو الاتحاد به ، فيتركز هذا الزعم على مشاهداته الباطنية ويحسبه صحيحا ومشروعا . فالملاحظ هنا ، أن القوى الباطنية التي يستمدها العقل ، هي التي تحدد للباحث ما هي الحقيقة . ولهذا اختلف الناس وما زالوا يختلفون حول كل شيء تقريبا ، لاختلاف القوى التي تتصل بها عقولهم بفضل ممارستهم لتطبيقات أو طقوس معينة .

لقد توصلنا فيما مضى إلى أهم شيء في الأديان والمذاهب الروحية والمثالية ، هو الإيمان

---

(1) Histoire naturelle du surnaturel p 233

بوجود روحي يعلو على الجسد . وتبعا لذلك يكون المسلم والبوذي والمسيحي واليوغي كلهم على صواب . وكنا قد اتجهنا إلى إبراز الوحدة التي تقف وراء الاختلاف ، بإيرادنا لموقفي راما كريشنا ولوبسانغ رامبا . اللذين قاما بشجب وإدانة كل أشكال الاعتقاد ، وحطم الفوارق بين الأديان بتأويله لوجوه الاختلاف عن الأسباب التاريخية والنظرية للخلافات القائمة بين الأديان والعقائد .

ولكن ماذا نقول بالنسبة للإسلام؟ إن المسلم يعتقد أن دينه ينسخ كل الرسالات السماوية ، وأن التوراة والإنجيل قد تعرضا لتغيير والتحريف ، ويجزم بكون القرآن في مأمن من أي تغيير . بحيث أنه ، على المستوى التوثيقي ، لم يمر بمرحلة شفوية كما يقول الدكتور حسن حنفي . فهل نعتبر المسلم متعصبا عندما يحكم بانحراف البوذية مثلا؟ وهل هو مخطىء عندما لا يجيز ترك الإسلام واعتناق المسيحية؟

أجل ، لقد كنا نعتقد أن كل الطرق تؤدي إلى روما ، فإذا بكتابات جديدة تجعلنا نعيد النظر في موقفنا ، بإبرازها أن الإسلام الحقيقي الذي لم يشمله التغيير ، ينسخ الرسالات السماوية فعلا ، ويتجاوز كل مذهب ودين ، بإعطائه أحسن تفسير في كل مجال ، وبإتاحته أحسن الإمكانيات على مستوى القوة والمعرفة معا . وسوف نحكي لكم كيف طرحت لنا المشكلة من خلال البحث في القوى الخفية للإنسان : لقد أبرزنا حدود البحث بالباراسيكولوجيا والعوائق الابستمولوجية التي تعترض الباحث في المستويين الأول والثاني ، وبينا أن الإشارة الفعلية للقوى الباطنية مقيدة بالأحكام القيمية الدينية والعقائدية بحيث لا يجوز للإنسان المسلم مثلا ، استخدام السحر ولا ممارسته العرافة . ولكننا عدنا لنلاحظ اختلاف الأديان والعقائد حتى بصدد هذه الأحكام القيمية . وكانت توصيتنا الأخيرة هي اللجوء إلى البحث بقوى العقل للتحقيق في شأن الأحكام القيمية العقائدية وتبين ما إذا كانت مشروعة أو غير مشروعة ، وأيضا ، لمعرفة الحقيقة بتغيير مستوى الوعي والسعي به إلى الاتصال الباطني ممارسة التصوف ، عسى أن نرى الحقيقة بصورة حدسية .

ولكن المشكلة أن البحث بقوى العقل قد يعطي هو الآخر نتائج مختلفة ويخرج بتوصيات متناقضة . فلو قرأنا كتابات وآثار المتصلين بالباطن وأصحاب الكشف والمشاهدات لوجدنا الاتفاق حول كثير من التفاصيل المتعلقة بـ«الغيب» مع أنهم يعتمدون بالأساس على المعرفة الحدسية. كما أنه لو قرأنا الكتابات الروحية الرائجة في الغرب لوجدنا أيضا ، اتفاقا مذهلا حول تفاصيل تتعلق بالتقمص والأجسام الباطنية والخروج من الجسد وفعاليات الأشياء والرموز . ولكن هذا لا يمنع وجود خرافات من نوع آخر بين المشاهدين والمتصلين بالباطن. وبين ما نسميهم المتصوفة السنيين ، من جهة ، والمتصوفة الفلاسفة كابن سبعين وابن عربي والحلاج ، من جهة أخرى . ذلك أن كلا منهم يحكم على الأشياء انطلاقا مما شاهدوه أو كشف له . ومن المعلوم أن مشاهداتهم تتفق وتختلف . ففي حين يشاهد بعضهم الكعبة والقوة

المتركزة فيها ، يرى البعض الآخر النار المقدسة في الهند ويستمدون من قواها . وفي حين يرى البعض منهم الأنبياء في صورة حسنة ، ويرى البعض الآخر في جلساتهم الاتصالية صورة حيوانات أو أشباح . أو يرون الأنبياء في صورة بشعة . فما سبب هذا الاختلاف في مضمون المشاهدات؟ وما السبب في تحريم بعض المتصلين بالباطن لاستعمال الجداول والأوفاق وقوى الحروف والأعداد ، وإجازة البعض الآخر لاستعمالها..؟ ألأنّ موارد العلم مختلفة لديهم؟ أم لأن كلا منهم يشاهد أشياء وأحداثا تتعلق بالاعتقاد المنطلق منه ، فيشاهد المسلم - بهذا الاعتبار- صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ويشاهد المسيحي صورة العذراء وابنها على صدرها ، في حين سيرى أتباع كنيسة الشيطان في الغرب صورة الشيطان وهو يلقي إليهم بتعليماته؟

والخلاصة أننا بلجوئنا إلى كتابات الباحثين بقوى العقل ، نجدهم ، رغم اتفاقهم حول كثير من الأمور المشاهدة ، مختلفين في مسائل أخرى إما بالأحكام القيمية العقائدية المصدرة على القوى الباطنية ، أو بالأحكام المصدرة على العقائد نفسها من حيث الخطأ والصواب ، إلى درجة أن الباحث الذي تعوزه المثابرة ، قد يفترض أن هؤلاء الناس يرى كل منهم ما يريده وما ينطلق منه ، تماماً كما يرى النائم في حلمه أشياء يرغب فيها لاشعوريا ، وكما يرى الذهاني(المصاب بمرض عقلي) هلاوس تحقق له ما يرغب فيه، فيصدق أنها صورة واقعية. ولكن المشكلة أن الاتفاق أيضا موجود . فنجد محيي الدين بن عربي الأندلسي يفهم الحلاج المشرقي ويتفق معه حول كثير من الحقائق والمشاهدات الباطنية التي لم يؤخذ أو يستخلص مضمونها مما في النصوص الدينية ، وذلك رغم اعتمادهما معا على الحدس الموصوف بالذاتية...

هكذا كانت تساؤلاتنا ، وعلى هذه الملاحظات بنيت تأملاتنا ونحن نبحث عن الحقيقة...وبينما نحن في هذه الحيرة ، وفي هذا القلق الوجودي والنظري ، طالعنا الباحثان المغربيان الدكتور التهامي محمد الوكيلي والأستاذ نور الدين عبد الحق بسلسلة كتب باطنية تصحح كثيرا مما أنجزناه حتى ذلك الحين ، وأولها كتاب يحمل عنوان «الإنسان والعقل»، أبرز فيه أن كل متصل بالباطن بل وكل شخص آخر أيا كان ، لابد أن يكون عقله مستمدا من النور أو الظلمات ، وأن هذا هو أحد الأسباب الرئيسية للاختلاف الفكري والعقائدي . وأكثر من ذلك فقد ربط الباحثان كل نشاط إنساني بالدين : أي بالنور والظلمات ، وأبرزا أن الاختلاف في المشاهدات يرجع لاختلاف القوى المستمد منها وما إذا كانت نورانية أو ظلمانية . وقد يتساءل القارىء عن سبب اختلاف اثنين من المتصوفة مع أنهما يقرآن القرآن ويذكران الله ؛ والجواب عن هذا السؤال يكمن في أن كثيرا ممن يصلون ويقرؤون القرآن ويذكرون أسماء الله الحسنى قد يستمدون من الظلمات رغم كل ذلك ، إذا كان في تطبيقاتهم تغيير خفي ، واليوم قد كثر التغيير وضاع جزء من أصول الدين الإسلامي ، مما يستوجب السعي إلى الاتصال الباطني النوراني لاسترجاع الأحداث والعلوم الماضية . تكلم إحدى الأفكار الأساسية التي يطرحان الباحثان المغربيات . وجدير بالذكر أنهما يدافعان عن الإسلام بطريقة غريبة غير معهودة عند مثقفينا . فطريقتهما ليست كطريقة الفقهاء أو العلماء

والمفكرين الذين يسعون إلى التوفيق بين مبادىء الدين ومعطيات العلم ، وليست كـطـريقـة الفلاسفة أو المتصوفة...طريقة فريدة من نوعها ، جعلتنا في حيرة من أمــرنا عـنــدما قـرأنا كتاب«الإنسان والعقل» لأول مرة.... لقد وجدنا في كتب العلم الباطني مشروع معرفة جـاهزة كاملة استخرجت من الباطن ولا تجوز نسبتها إلى الكاتبين المغربيين ، تتضمن - باختـصار- أصول كل قوة أو معرفة ، وبعبارة أخرى : أصول كل طاقة أو معلومة . ونــجـد ضـمـنــها موقف الدين من مسائل حيوية متنوعة كـ«الخوارق» واليوغا والكونغ فو والفنون التشـكيلـيــة واللغات ، والتقدم التكنولوجي وهندسة المباني وتأويل القرآن بالكمبيوتر .

الفـــصـل الـــســابـع :

التقويمات المنبثقة عن الاتصال الباطني الديني

بدأت بالصدور في أواخر 1983 سلسلة كتب للباحثين المغربيين الدكتور التــهامــي مــحــمـد الوكيلي والأستاذ نــور الـدين عبد الحق . وفي تقديرنا أن صدور كتاب من هذه السلسلة التي تحتوي على 999 كتابا كلها جاهزة(1)، هو حدث فكري تاريخي بارز ، لـم تــولــه أوســاطــنا الفكرية والثقافية ، ما يستحقه من أهمية ومكانة ، ربما لعدم توفرها عــلــى الأدوات اللازمــة لفهم مضمون هذه السلسلة . ولقد كان من الواجب أن تشيد ، على الأقل بباحثين كاتبين ألـفا ، في ظرف وجيز 999 كتابا بالاجتهاد والتمرس وحشد القوى العقلية . أليس هـذا حـدثا مــهـما يستوقف النظر؟ ومع ذلك فلم يتحدث عنه سوى القليل...أما القصص والروايات والأشــعار ، فالحديث حولها كثير والمناقشات قائمة ومسترسلـة ، والـنــدوات والمــحاضــرات فــي كـل مكان...والأغرب من ذلك أن الفقهاء والمتصوفة وعلماء الدين ، الذين يهمهم الأمر بالـدرجة الأولى ، لكون مضمون الكتب دينيا صرفا ، لا يتحدثون عنها بخير أو شر . فالظاهر أنهم لـم يسمعوا بها بعد..!

ولكن لا علينا من ذلك ، فالمهم أن نتحدث عن الرؤية الجديدة المتضمنة في هذه الكتب ، ومـا تقدمه من توجيهات للبحث في القوى الباطنية للإنسان ، ومن تقويمات لمعطيات ونـتائــجــه . لقد جا في نهاية كتاب «الإنسان والعقل» وهو الكتاب الأول م السلسلة ، ما يوضح اهتمامــات هذين الباحثين ، وذلك في النص الآتي :

«تابع المختصان بحوثهما ودراستهما المعمقة في مجال اليوغا والمهب البوذي والفـلــســفات الكهنوتية البيروقراطية والنظريات اللاهوتية والصوفية وأساليب السحر التي لم تجد نفعا ولم تقدم جديدا . الأمر الذي حدا بهما بعد ذلك إلى متابعة دراسة العلوم الدينية الباطنية.» (2) وهـذا يوحي بكون العلوم الدينية الباطنية متجاوزة عن الباحثين لكل ما ورد ذكره مـن مــواضيـــع أخرى كالسحر واليوجا والتصوف والفلسفة واللاهوت .

---

(1) طبع منها عدد لا يتجاوز العشرة كتب ، والباقي لم يطبع لاعتبارات مادية .
(2) الإنسان والعقل ص 339 .

أما الكتب فمتميزة وغير عادية . فأغلفتها الخارجية لا تحمل عناوين بل صور حيوانات . وتتميز الأغلفة بألوان خاصة . وكل هذا دلالة ، حيث يقول الباحثان في آخر كتاب الإنسان والعقل :

«لاشك عزيزي الإنسان أنك ستلاحظ أن الغلاف الخارجي للكتاب لا يحمل أي عنوان . والمعنى المراد من ذلك ، أن موضوع الكتاب يتناول العلم الباطني ، وهو علم يقرأ ويدرس ويعالج داخل الكتاب نفسه ، والعلم الباطني لا يحتاج إلى إسناد فلسفي أو عقائدي أو مذهبي مادام متصلا بالدين» (1)

ولكن لماذا يكون عدد الكتب الباطنية المستخرجة هو بالضبط **999** كتابا؟ والجواب على تساؤلنا في النص التالي :

«تحتوي هذه السلسلة على 999 كتابا كلها من كتاب باطني واحد ، يحتوي على العلوم الباطنية من المرتبة الأولى في القوة الثلاثية من الدرجة الثامنة . في كل عدد من **999** يرتبط العلم بمثلث واحد ، فيكون مجموع المثلثات ثلاثة ، ثم ينقسم الفهم في كل مثلث بثلاثة مثلثات فيكون عدد القوى الباطنية تسعة ، وبذلك تكون **999** كتابا ، تساوي كتابا واحدا من العلوم الباطنية . والعلم الباطني في حقيقته يتفرع إلى **999** كتابا باطنيا طبقا للقوة 777 . وإمكانية استخراج مضمون كتاب باطني واحد شامل للعلوم الباطنية لا يتم بعد 12 سنة من الدراسة بالوسائل العلمية الباطنية ، ويستلزم ذلك الأبعاد عن كل اندماج فكري مع ما أعطي من معرفة سطحية نجدها في الكتب الكثيرة والمنتشرة بدون أن تنطوي على حقيقة ، كما يجب في ذلك الانقطاع الاتصالي الفكري عما حوته المجلات والجرائد وكل ما هنالك من أفكار حجزية مانعة للاتصال بالباطن. » (2)

إن أول ما يلفت الانتباه في هذا النص هو الأرقام وما لها من أبعاد باطنية ، ومن علاقة بالأشكال الهندسية(كالمثلثات)، وباللغة الخاصة التي كتبت بها كتب العلم الباطني ، فيبدو أن هناك نوعا من المراتب والقوى والدرجات للعلم المأخوذ باطنيا...كل هذه الومضات توحي بوجود منطق خاص وأنظمة خفية تحكم تلك الكتب ، قد يعجز الإنسان العادي عن فهم مراميها وإدراك أبعادها . والقارىء للكتب السالفة الذكر سيجد على طول الطريق أشكالا هندسية ورموزا وخطوطا تفسر بها أصول الدين وتبين بها الأبعاد الباطنية للآيات القرآنية والقوى العقلية ولكثير من الأحداث التاريخية والدينية . كما أنه سيجد تفسيرا من هذا النوع للحروف والأعداد والجداول . والأوفاق وأسماء الأيام والشهور ، ورموز العقل الالكتروني الحاسوب ، والفنون التشكيلية وحركات الإنسان بما فيها حركات اليوغا والكاراتيه والكونغ فو . وباختصار ، فإن العلوم الدينية الباطنية تبرز الأبعاد الخفية لكل شيء وتكشف عن أصوله ،والنظام الدقيق الذي يحكمه . ذلك النظام الذي يخفى عن أصحاب المعرفة الظاهرية.

---

(1)الإنسان والعقل ص 335
(2) الإنسان والعقل ص 335

يكتب الباحثان : ((أما العلوم الظاهرية المعتمد عليها حاليا فهي معرفة قد تختلف كثيرا عن العولم الباطنية ، وفي أغلب الأحيان تكون عكسية ولا يمكن المقارنة فيها ، وللعلوم الباطنية ميزات كثيرة ومتعددة أكثر من كل ميزة تمتاز بها المعرفة الظاهرية . فالعلوم الباطنية تعطي للباحث قوة مدركة يمتاز بها الإنسان أما الأخرى فتعتبر ثنائية لاعتمادها على أسس فانية هدفها الاعتقاد في القوى الطبيعية(1))) .

ومن جهة أخرى ، تجدر الإشارة إلى أن كتب العلم الباطني ليست كتب تصوف ، ولا يتبنى كاتباها مطلقا ، بل العكس فإنهما يصححان أخطاء الاتجاه الصوفي على المستويين النظري والتطبيقي...ولا يجوز لأحد أن يعتبرهما متصوفين لأسباب سوف نأتي على ذكرها لاحقا .

ملاحظة أخرى مهمة...أن لغة العلم الباطني ليست خاضعة لقواعد النحو المعروفة ، وتفسير ذلك يضعنا أمام أبعاد دينية يجهلها أغلب الناس اليوم : ((إن كتب العلم الباطني تفسر الغامض وتحل الرموز وتسلط الضوء على الجوانب المظلمة من حياة الذات والعقل وتبين أصل الكتابة وحروفها وكلماتها ، وتكشف عن جذور اللغة وأساليبها ووسائلها وأغراضها ، وتبتعد عن دخول النحو الذي جاء كأداة لتأويل القرآن ، وهذا التأويل جاء منه التغيير للغة العربية حتى أصبحت هناك لغة ثانوية هي الفصحى . والعلوم الباطنية لها طريقة خاصة من علم الكلام تعادي نطقا يدخل للشرك ، ومثل ذلك ، لا يمكن أن نقول في العلوم الباطنية كلمة خلق إلا في قول ذكر فيه الخالق ، وكذلك كلمة اختراع حيث لا يمكن النطق بها : لأن البشر لا يمكنه اختراع شيء ، ومعنى الاختراع هو خلق وإبداع شيء عدمي . وهذا لا يمكن للبشر ، بل هو من أمر الله . كما أن النقط والفواصل والتنقال من سطر لآخر له تبعا للعربية التي أنزل بها القرآن . وهناك أسباب كثيرة تعطي للعلوم الباطنية ميزة خاصة بالنسبة للغلة . وكذلك الحروف في العلوم الباطنية لا تنوب عن بعضها البعض ، ولا وجود لمرادفات ، مثلا إذا قيل : إن الله نصر لوطا من القوم الكافرين ، في هذا أن لوطاً لم يحمل قوة ليدمر بها قومه الذين كفروا ، وإذا قيل كذلك بأن الله نصر لوطا على القوم الكافرين فالمعنى أنه أمد لوطا بقوة دمر بها القوم الكافرين.)) (2) .

يستشف من هذا النص أن للكلام فعالية باطنية . ولهذا فالمخاطبة الباطنية تتم لزوما ، باللغة العربية الأصلية. وحتى الأجانب المسلمون الذين لهم اتصال باطني لا يخاطبون باطنيا بلغاتهم إلا في البداية ، ريثما يتعلمون اللغة العربية التي أنزل بها القرآن . فهي لغة نورانية يسير اتجاه الكتابة فيها من اليمين إلى اليسار . يكتب الباحثان بصدد فعالية اللغة ما يلي :
((إن اللغة عند الإنسان لها مكانتها ودورها في حركة الدماغ أو سكونه وكل كلمة ينطق بها إلا و نجد لها قوة يدركها العقل . فاللغة الكاملة في مراتب نطقها قد تزيد الإنسان سكونا ، وقد تؤدي دورا هاما بالنسبة للفهم والإدراك ، أما إن كانت ذات اختلاط فإنها قد تسيء حتى

---

(1)الإنسان والعقل ص 188
(2) الإنسان والعقل ص 337

بسيرة الإنسان ، فالمتكلم باللغة العربية نجد عنده رزانة والمتكلم باللغة الدارجة نجده كثير المزاج . ولذا أعطيت في القديم أهمية كبرى للغة واجتناب تغيير ألفاظها ، وهذه الأهمية كانت للغة السريانية القديمة واللغة العبرية ثم العربية (1)، وكل لغة دون هؤلاء كانت تعتبر لغة مختلطة ولم يكن أساسها والمراد منها إلا سبيل التفاهم بين الناس ، ولم يكن لها دور فعال للتربية ولا لتنمية الفكر ، ولوحظ منذ القديم أن تكرار الكلام يتم به التركيز وفيه قوة يدركها العقل فيتم بذلك التصاعد الفكري أو العقلي إن كان الكلام المنطوق به والمكرر كثيرا ذكرا.»

(2))وأكثر من هذا ، فإن الكلام يجلب لصاحبه قوى النور أو الظلمات . فمثلا إذا كان في الألفاظ المنطوق بها شرك مقصود أو غير مقصود فإنه يتم استمداد قوى الظلمات . فعندما يقول شخص ما باللغة الدارجة يَوْدّ سير-وَعَادْمْشَا الخ فهو يجعل صلة باطنية بينه وبين«عاد» و«ود» (3) المعروفين بقواهما الظلمانية ، أما كلمات وتعابير وتراكيب القرآن فهي مضمونة ومبرمة على جلب النور وحده ما لم يغير القارىء شيئا منها قصدا أو سهوا أو إغفالا ، وما لم تستعمل في الأوضاع(أي الجداول والأوفاق). وإذا حدث التغيير ، فإن قارىء القرآن أو حامله ، يجلب به الظلمات بدلا من النور . والمتصل بالباطن يرى النور أيما وجد كما يراه في القرآن عند قراءته ، وفي هذا الصدد يكتب الباحثان ما يلي :

«...والنور يرى باطنيا في حركاته وتقلباته ، كما تصحح حركات الصلاة برؤيا باطنية مظهرة للنور الكامن في جسم الإنسان . وإذا أخطأ المتصل مثلا ، في قراءة القرآن فإنه يرى أمامه نورا كالبرق ، معلنا خطأ في القراءة ، والنور الأبيض يعلن عن وقوف لازم عند آية ، كما أن النور الأحمر يعلن عن وجوب ربط بين آية وأخرى عند قراءة القرآن.» (4)

أما صور الحيوانات على الأغلفة ، ترمز لنوعية العلم المتضمن في الكتاب الواحد . فإذا حمل كتاب باطني صورة لهدهد ، فإنه سينطوي على علم أوتيه سليمان عليه السلام (5)، وعلى الطرق والوقائع والتأويلات المتعلقة بالموضوع والتي نجدها عند كثير من الأمم . ويقال نفس الشيء بالنسبة للبقرة ، إذ لها علاقة بالعلم الذي كلف به موسى عليه السلام ، وأيضا بالنسبة لناقة صالح عليه السلام وكلب أهل الكهف . ويقول الباحثان : «وهكذا يصبح للحيوانات الواردة في كتب مؤسسة(دار الأعماق) دور هام بالنسبة للعلوم الباطنية التي يرجع أصلها إلى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، ولا يرجع شيء منها للمتصل بالباطن بصفة نهائية ، إنما هو وسيلة أخذ ، ويعطى رمزا للمورد كمثل الريشة الذهبية ، وهذا الأمر معروف منذ القديم ، وكل متصل بالباطن إلا ويختلف مورد العلم لديه فنجد شخصا آخر يأخذ العلم تحت فعالية تركيزية اتصالية بقوى الريشة الفضية مثلا ، وهكذا تختلف الأمور الباطنية عن الأمور العادية . وكل رمز في كتاب إلا وله دليله وميزته ودوره ، ولا يمكن الاستغناء

(1) وفي نص آخر يضيف الباحثان لغة رابعة هي الشيميذية
(2) الإنسان والعقل ص 68 .
(3) المقصود هو ود المذكور في سورة نوح إلى جانب يغوث ويعوق ونسرا وهي أسماء لأشخاص بالغين في اكتساب القوى الظلمانية ، كان القدماء يركزون قواهم بطرق سحرية، في أصنام تحمل نفس الأسماء .
(4) الاتصال الباطني ص 105.
(5) وهذا شأن كتاب يحمل عنوان «الجن» مثلا .

عنه ، وكل استصغار في هذا قد يؤدي بالمتصل إلى انقطاع في العلم . كما أن كتب العلم الباطني توضح الفروق الجوهرية بين المعرفة المجردة والعلم المطلق ، وتدعو إلى البحث النزيه في حقيقة العقل ، وعدم الطمأنينة إلى الأفكار التي لا تستند إلى حجة أو برهان ، ولا تقوم على بينة أو دليل مثل الأفكار الضالة والمضللة التي تشكل المعرفة الحديثة ، حيث تخبط ذات اليمين وذات اليسار ، وتشرق وتغرب دون نتيجة»(1).

وإليكم توضيحا لبعض الحقائق الواردة في هذا النص . فنشير أولا إلى أن العلوم الباطنية المستخرجة ليست من عندية الكاتبين . فهما وسيلة أخذ فقط ، وكل ما ورد في كتبهما إنما يرجع إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام . وفي العلوم الباطنية اختصاصات متعددة . فعلم الحركات ، على سبيل المثال ، اختص به شيث عليه السلام ، الذي بعث في الصين ، وكان معلما للحركات مستخرجا لأسسها النورانية . كما أن إدريس عليه السلام اختص بعلم الحروف والأرقام . أما النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد اجتمعت لديه العلوم المعطاة للأنبياء السابقين(2). ولكن المشكلة أن هذه العلوم انفقدت ظاهريا ، ولم يبق منها سوى آثار محرفة يعتز بها الإنسان الحالي ، ظنا منه أن أصولها مستقلة عن الدين ومتجاوزة له . وهي تجلب له الظلمات بدلا من النور ، لكونها مغيرة ومحرفة . وبالاتصال الباطني الديني يمكن الباحث المعصر استخراج ما يرغب فيه من تلك العلوم الأصلية التي لا تزال محفوظة في الباطن(3). ونقول «الباحث المعاصر» ، نظرا لأنه في مرحة تاريخية سالفة ، كانت أبواب الباطن النوراني الحقيقي مغلقة أمام الباحث مهما علا كعبه في التصاعد العقلي ومهما يطبق من شروط دينية ، وذلك لكون قوى الظلمات حاجزا منيعا أمامه...أم اليوم فقد سكن أغلب تلك القوى الظلمانية الآلات بدلا من العقل ، مما أفسح المجال مرة ثانية للاتصال النوراني .

والملاحظة الثانية أن لهذه العلوم مراتب ودرجات وموارد مختلفة . وذلك يرجع لدرجة ومستوى التصاعد العقلي لدى الباحث(ونحن نسميه التصاعد الروحي خطأ). فأول علامة للبلوغ بالنسبة للمتصل بقوى النور هي رؤية دائرة صفراء اللون في اليقظة والنوم وعند إغماض العينين على السواء .وبعدها يتم التصاعد عبر ثماني درجات بالجسم الثاني للإنسان، وكل درجة تنقسم بدورها إلى سبعين مرتبة يجب اجتيازها قبل الانتقال إلى الدرجة الموالية . وليس بعد الدرجة النورانية الثامنة سوى الوحي باتصال مع قوى المعجزات ، وتلك درجة خاصة بالأنبياء والرسل لا يمكن لغيرهم ، مهما بلغ في اكتساب القوة العقلية ، أن يصل إليها. وكما يلاحظ القارىء فإن في هذا تفنيدا لموقف الكاهن البوذي لوبسانغ رامبا ، الذي يحطم الحاجز بين الأنبياء والرسل وغيرهم من الناس .

---

(1) الإنسان والعقل ص 337 – 338 .
(2) كان الرسول صلى الله عليه وسلم مختصا بعلوم سدْرة المنتهى ووارثا في نفس الوقت لما سبقها من علوم .
(3) بدأت هذه الإمكانية سنة 1977 عندما عادت قوى الدائرة البيضاء إلى مجال المشاهدة الباطنية ، بعد أن كانت مستخدمة في السحر . وبذلك اكتملت القوة الثلاثية عند المسلمين ، مما مكنهم من إبراز حقيقة الواقع والفكر والتاريخ انطلاقا من أصول الدين .

هذا بالنسبة لخط النور ، أما عن الاتصال الباطني بقوى الظلمات ، فعلامته رؤية دائرة مخالفة يشاهد فيها المتصل وجه شيخه أو نارا ملتهبة أو صور حيوانات أو أشباح ، أو الأنبياء عليهم السلام في صورة بشعة . وبعدئذ يتم له التصاعد بالجسم الثاني عبر المقامات الآتية : مقام الأولياء - مقام النجباء - مقام الغوث - مقام البدلاء - مقام النقباء - مقام الأوتاد - مقام الأقطاب ، ثم الدرجة الثامنة . وبعدها يدخل السالك في دائرة أهل الحضرة ليتصل بقوى الكرامات ، وهي قوى طبيعية يعتبرها الباحثان المغربيان ظلمانية ، كما أسلفنا ، ويحكمان بانحراف المستمد منها بوصفها سحرا...

ولقد صدمنا شخصيا بهذا المنظور عند اطلاعنا عليه لأول مرة . فما كنا نظن أو نتصور ، أن الأولياء والأقطاب يستمدون من الظلمات...بل إننا كنا نعتقد أن التصوف يمثل جوهر الدين . فإذا بالعلم الباطني يبرز أن التصوف كاليوغا تماما ، يستعمل فيها معا الذكر المنحرف وترتيبات المشايخ التي توصل إلى الظلمات بدلا من النور .

الملاحظة الثالثة : يستفاد من النص أن المعرفة المجردة لا تفيد في شيء . وفعلا فالملاحظ أن هناك اختلافا حول كل مذهب وكل فكرة أو علم . الصارع يدور بين أبناء المدرسة الواحدة ، بل بين المرء ونفسه في كثير من الأحيان(إن لم يكن دائما). ولم يعد العقل كافيا للحسم في أية مسألة : العلم النسبي ونتائجه موقوتة واحتمالية ترجيحية . والمنطق عرضة للنقد والتجاوز ، والأبعاد الجديدة والحقائق الثورية يظهرها العلم الحديث يوما بعد يوم...فلم يعد أي شيء قارا أو ثابتا...الصراع دائر بين الدين الواحد على مستوى الفقه والتفسير والأصول وعلم الكلام وهلم جراً...وكل يقول لك إنه وحده على صواب وإن الآخرين على خطإ وضلال...وإذا فكل شيء وبين قوسين حتى الآن...أصبحنا نتبنى الأفكار والنظريات ، لا لكون العقل يجزم بصحتها بشكل نهائي ، بل لأنها مجرد «موضة» سوف تتجاوزها «موضة» أخرى قريبا ، أو لأنها من قول فلان...وفلان هذا...عبقري ولا يمكن أن يخطيء...!يقرأ الشباب والمثقفون ما «يعجبهم»، ويدعون «ما لا يعجبهم» ، فالمسألة ، مسألة ذوق!...يرون من العار أن يقرأوا كتابا من الكتب الصفراء ، ويقولون لك بكل تأكيد أنهم حسموا في مسألة التراث ، وكأن التراث قد خلفه لنا أناس أغبياء وبلهاء . والخلاصة أننا : «في عالم تطرح فيه الأفكار والعلوم كما تعرض السلع في السوق ، وكل يأخذ على حسب أهدافه وأغراضه.» (1).

وفي مقابل هذه الفتنة الفكرية والوجودية يشير النص إلى وجود علم مطلق ، هو مجمل في القرآن ومفصل في الكتب المستخرجة باطنيا(وفي التي سوف تستخرج لاحقا). ولكل عصر علومه الباطنية المخصصة له ، والتي يكمن فيها حل مشاكله كلها . ولكن الاتصال الباطني النوراني ، هو وحده السبيل إلى أخذ هذه العلوم . ووجود تغيير في بعض أصول الدين يجعل عوائق أمام الراغب في الاتصال ، وذلك هو السبب في كون أغلب الناس يعيشون اليوم في فتنة ، حتى المتدين نفسه . ويعود سبب انفقاد أو تغيير تلك الأصول ، إلى دخول معارف

(1) الاتصال الباطني ص 84 .

أخرى ظلمانية ، واختلاطها بالأفكار الدينية ، كالفلسفة اليونانية واللاهوت المسيحي واليهودي ، والفلسفات الغنوصية والإشراقية ، ومضامين المناقشات السكولائية ، والفكر الهندي والبوذي والطاويّ . فكل هذه المعرفة الدخيلة يتبين بالاتصال الباطني الديني أنها بقايا محرفة من علوم الأنبياء والرسل ، أو أفكار مجردة تحوم حول هذه البقايا . والغريب أننا نفخر ونعتبر بكون الفكر الإسلامي مستوعبا ومحتويا لتلك المعرفة أو مقتبسا منها . ونشيد بعقلانية ابن رشد وشروح الفرابي ومناقشات ابن سينا ، ونؤمن بشيء اسمه الفلسفة الإسلامية ، معتقدين أن الفلسفة بصفة عامة ليست ضد الدين...ولاشك أن هذا موقف خاطئ في تقدير العلم الباطني ؛ فكل فكرة لابد أن يرجع أصلها إلى النور أو الظلمات . وقد يبدو في الظاهر أنها تقف في صف الدين ، مع أنها في الحقيقة ضده . ونعتقد شخصيا أنه لو اتضحت هذه الحقائق لـ ارنست رينان Renan وغولد تسهير وأمثالهما ، لغيروا موقفهم من الإسلام على الأقل في مرحلته الأولى حيث كان لكل المسلمين آنذاك اتصال شعوري بالباطن ، وكانت لهم جلسات اتصالية جماعية في المساجد ، ولم يكونوا في حاجة إلى فكرة فلسفة يلقحون بها الدين(1) أولا : لتوافر حلول دينية لكل المشاكل المطروحة . وثانيا : لعلمهم بالأصول الباطنية لكل فكرة فلسفية ، ذلك أن الفيلسوف هو الآخر له اتصال باطني شعوري أو لا شعوري بحيث يستخرج أفكاره ورؤاه من مورد باطني معين . وكثير من الفلاسفة القدامى كما يورد الباحثان ، كانوا يرون نورا في خلواتهم تستمد منه قواهم العقلية ، ويقصدان الفلاسفة بالضبط ، أما المتصوفة فهذا معروف عنهم بالطبع .

كما ورد في كتب العلم الباطني أن بإمكان كل مسلم أن يتصل بالباطن إذا ما طبق الشروط الموصلة لذلك ، وأن بإمكانه استخراج ما يرغب فيه من علم . ولكن العلم الباطني يجب ألا ينشر إلا بالدرجة الثامنة . أما في غيرها من الدرجات كالخامسة والسابعة فيمكن المتصل ، بالمشاهدة ، أن يستخرج علوما خاصة به هي وسيلة لتطوير قواه ولا تصلح لأحد آخر إلا إذا كانت فيها أحكام شرعية. كما أنه قبل الدرجة الثامنة لا يمكن للمتصل «أن يتدخل في مشكل شخص آخر أو أن يحاول توجيهه لأن ذلك ينقص من قوى الجسم والعقل ، وقد ينفقد كل اتصال كل اتصال ، وسبب ذلك هو أن المتصل لم يكتمل عنده مراحل العلم اللازمة معرفتها » (2)

وجدير بالذكر أن هناك فرقا بين المشاهدة الباطنية والاتصال الباطني بمعناه الكامل والحقيقي . فالمشاهدة اتصال عن طريق الرؤية تعرض فيه الصور فقط ، على المتصل ، وهي تشكل المرحلة الأولى من الاتصال . أما الاتصال الباطني فهو دخول إلى العالم الباطني عن طريق الاتصال بالجسم الثاني للإنسان .

---

(1) ونحن نرى في هذا ردا على ما يذهب إليه ارنيست رينان من أن الدين الإسلامي جعل التفكير الفلسفي متخلفا لدى المسلمين .

(2) الاتصال الباطني ص 139 .

والعلوم الباطنية ليس من شأنها التناقض ، حتى ولو استخرجها كثير من الأشخاص «وكل متصل بالنور لا يمكنه أن يستخرج علوما باطنية مضادة لبعضها البعض لأن الدين واحد والحقيقة كذلك ، وإذا كان هناك تناقض بين اثنين متصلين فإما أحدهما متصل بالظلمات وإما قد يكون الفهم غير واضح نسبيا لأحدهما ، لذا فاستخراج العلوم الباطنية كتابة تمنع باطنيا إذا لم يكن المتصل ذا علم صحيح في الفهم والإدراك الفكري والصوري وفهم القوة كذلك».(1)

إن تقسيم القوى الباطنية إلى نورانية وظلمانية ، هو أهم شيء لفت انتباهنا في كتابات الباحثين. فقد خرجنا بعد قراءتنا لكثير من الفلسفات الشرقية والنظريات والمذاهب الروحية، بفكرة قوامها أن كل الأديان والعقائد الروحانية تؤدي إلى الكشف الصوفي وتوصل إلى الله ، وأنه لا يهم أن يكون المرء بوذيا أو مسلما أو مسيحيا ؛ بالكتب الباطنية تكشف لنا عن أبعاد ومقاييس لم يتطرق إليها اليوغيون وفقهاء المسيحية ولا غيرهم ، وتبرز أن المتصلين بالباطن ، بسبب تنوع معتقداتهم واختلاف تطبيقاتهم وشعائرهم يتصلون بقوى مختلفة ، ويشاهدون أشياء مختلفة...ذلك أن المعتقدات والتطبيقات لها فعالية باطنية معينة ، وقد تؤدي إلى الاتصال بقوى الظلمات بدلا من قوى النور...، والدين الإسلامي -إذا طبق على حقيقته- يوصل إلى الاتصال بقوى النور ، في حين أن الأديان والعقائد الأخرى قد تعرضت بتغيير والتحريف ، على مستوى الاعتقاد أو التطبيقات أو كليهما معا ، مما يجعلها مؤدية إلى الاتصال الخيالي الواقعي ، حيث يستمد المتصل من قوى الطبيعة بقوى العقل . وهذا شيء - في نظر العلم الباطني- منهي عنه دينا .أما سبب مشروعية التطبيق الإسلامي فيعود لوجود القرآن بين يدي الناس سالما من أي تغيير . فبقراءة القرآن ، وتطبيق حركات الصلاة والأوضاع الجلوسية للاتصال الباطني ، وبالاستقامة ، يتم استمداد المسلم من القوة الصفراء والبيضاء والوَرْدِية ، وهي قوى فوق الطبيعة يحث الدين على السعي إلى جلبها .

وهكذا يتضح الأمر بقولنا أن الدين ينهى عن استمداد قوى الطبيعة بقوى العقل . وذلك سبب تحريم السحر والتنجيم وانحراف أهل الكرامات ، ومستعملي الجداول والأوفاق والطلاسم . فالاتصال بقوى الطبيعة يجعل قوى الخيال مسيطرة على الشخص فيعتقد بالحلول والاتحاد والاتصال بالله ورؤيته ، ورؤية الجنة . وليس ذلك كله إلا خيالا لأن هذه الأمور - حسب العلم الباطني- غير ممكنة . وإذا تأملنا الفلسفات الشرقية بما فيها البوذية واليوغا وفلسفة راما كريشنا ، فسنجد أنها تنطلق من الإيمان بالحلول والتحاد بالله أو بقوى الطبيعة أو عبادة النفس أو تأليه البشر ، وهذا كله انحراف في ميزان العلم الباطني . فتلك العقائد كلها ، هي مجرد بقايا وآثار محرفة ، لأديان كانت قبل تعرضها للتغيير والاندثار ، توصل إلى الاتصال الباطني الواقعي الذي توصل إليه التطبيقات الإسلامية ، والذي يتم فيه الاستمداد من قوتين نورانيتين فوق الطبيعة ، إحداهما تستقر معارجها في الكعبة وهي القوة الصفراء والأخرى تتركز في القدس بالمسجد الأقصى وهي القوة البيضاء .

---

(1) نفس المرجع ص 105 .

معنى هذا أن الظواهر النفسية الجانبية التي تقف وراءها القوى الطبيعية ، يلزم اجتناب السعي إلى إحداثها ، بوصفها علامات لقوى ظلمانية . هذا هو التقويم الديني الأساسي الذي ينصب على القوى الباطنية . وكما يلاحظ القارىء فإنه ليس مجرد كلام أو حكم فقهي مستقى من النصوص ، بل إنه منبثق عن الاتصال الباطني الديني نفسه . أما الأشكال الأخرى للاتصال فلا تفرق بين النور والظلمات لأنها هي نفسها ظلمانية...وحتى لو أسقطنا مسألة النور والظلمات من الحساب فإنه يبقى أكيدا أن المتصلين بالباطن الديني يقدمون تمييزات وتصنيفات غير موجودة في كتابات غيرهم ، ويوردون توضيحات ومعلومات دقيقة تتعلق بمراتب العقل ودرجاته وقوه ، والمواطن الباطنية ، والقوى الطبيعية ، والفوقطبيعية ، والقوى الواقعية والخيالية ، وأصول الحركات(الجسمية) والحروف والأعداد ، ويبرزون الفرق بين النفس والعقل والروح والحياة ، مما جعلنا نرجح صدق أقوالهم على صدق أقوال غيرهم . فالعلوم الدينية الباطنية تتجاوز في تقديرنا كتابات مختلف الباطنيين ، لكونها ، على الأقل ، تبرز أخطاءهم في حين أنهم لم يحاولوا ولو مرة واحدة ، إبراز خطإ فيها أو ضيق أفق .

وإليكم بإيجاز مضامين بعض الكتب الصادرة عن مؤسسة دار الأعماق والتي تتناول العلم الباطني :

1/ الإنسان والعقل.(يحمل صورة سبع)،ويتناول درجات العقل ومراتبه وقواه ، بما في ذلك القوى الواقعية والخيالية ، والقوى الطبيعة وما فوق الطبيعية ، والأصل الباطني للغة وأشكال الكتابة والأرقان ، وعلاقة اللغة والكتابة بالفكر .

2/ سر الحركات(يحمل صورة قط) ويتناول تأثير الحركات والأوضاع الجسمية على كل من الجسم والعقل ، ودورها في التصاعد العقلي والاتصال الباطني . ويبسط عددا كبيرا من الحركات النورانية المنزلة على شيث عليه السلام في الصين ، والتي اشتقت من بالتغيير والتحريف ، حركات اليوغا والكاراتيه والكونغ فو وما شابه ذلك .

3/ المهدي المنتظر(يحمل صورة نمر) ويتحدث عن دور شخص مجهول في الاتصال الباطني ، كما يبسط مختلف التأويلات الدينية التي قدمت بصدد مسألة المهدي ، عند المسلمين وغيرهم . وهو كتاب كلف الباحثين خمس سنوات من الكد والاجتهاد وألزمهما الاتصال بنحو مائة وثمانية وأربعين مسلما متصلا بالباطن . منهم خمسة بلغوا إلى المرتبة السبعين من الدرجة الثامنة . وقد جعلت أقوال الكتاب تحت فعالية الدرجة الخامسة من قوى الاستمداد .

4/ الاتصال الباطني(يحمل صورة نسر) ، ويتضمن كيفية البلوغ إلى الاتصال الباطني النوراني والظلماني ، كما يبرز الشروط الاعتقادية والتطبيقية اللازمة للبلوغ ، والإمكانيات والقوى الباطنية المتوافرة لدى المتصل .

5/ معاني المعاني في معنى المعنى(يحمل صورة طاووس) ، ويبين أنه لا وجود لعلم لدني من عند الله مباشرة ، وأن كل ما يأخذه المتصل بالباطن من علوم ، إنما هو مما علم الله الأنبياء والرسل ، ويؤخذ بواسطة شخص مجهول ورد ذكره مرارا في القرآن الكريم ، ويطلق عليه البعض اسم الخضر أوْ المَهْدِي .

هذه الكتب وغيرها من كتب العلم الباطني غير المنشورة . رغم كون قضيتها الأساسية دينية محضة ، فإنها تتضمن معلومات وحقائق طريفة ومذهلة تهم الباحث الوضعي . وعلى سبيل المثال فإن كتاب «الإنسان والعقل» يورد حقائق تهم الباحث في السوسيولوجيا والانثروبولوجيا (بمعناها الخاص ومعناه النبيل) ، والايكولوجيا ، وعلم النفس والسيميائيات والمنطق واللسانيات والتاريخ والاركيولوجيا(علم الآثار) ، رغم ورودها في خطاب ديني . وسنحاول الآن إبراز المنجزات الأساسية للعلوم الدينية الباطنية . وهي متمثلة في الآتي :

1) إعطاء تفسير وبُعد دينيين لكل شيء وحتى وإن بدا لأول وهلة بعيدا عن الدين . فهناك ربط للفنون التشكيلية الحديثة بالصور والقوى الباطنية في كتاب«ظلمات بظلمات»، وربط لحركات وأوضاع اليوغا والكونغ فو بحركات وأوضاع الصلاة بالاتصال الباطني في كتاب «سر الحركات»، وربط لرموز الكبيوتر بتأويل اسم الله وبأشكال حروف اللغة العربية بوصفها أم اللغات ، : «تحدي الدين الإسلامي للتقدم الالكتروني» و«والعدد التاسع عشر بين الدراسة السحرية والتأويل بالكمبيوتر». وهناك أيضا ربط لأشكال الحروف اللاتينية بمشكل العصا والأفعى في كتاب«الإنسان والعقل». ومثل هذه العلاقات الخفية المكشوف عنها باطنيا، يصعب حصرها في كتابنا هذا .

2) إبراز الأصول الباطنية لكل عناصر الثقافة بمعناها العام: أي أصول العلم والدين والفلسفة والتصوف والفن والسحر ، وكل المعارف والتقاليد والطقوس والعبادات واللغات والأساطير(كحرب الآلهة اليونانية مثلا) (1)، وطرق التفكير المختلفة ، والفنون القتالية و الأسيوية ، وأشكال الطب الموازي **médecines paralléles** .

3/ إظهار حقيقة مواضيع غامضة كالجن والأطباق الطائرة ومثلث برمودة والمهدي المنتظر ، والمسيخ الدجال والجسم الثاني للإنسان والتقمص و«تناسخ الأرواح»، والتنويم المغناطيسي وما يسمى باستحضار الأرواح .

يكتب الباحثان بصدد التنويم ما يلي : «إن التنويم المغناطيسي ليس بأمر كبير حتى تعطى له درجة قصوى ، وما هو إلا بداية تصاعد الحواس تجاه قوى العقل ، وهو أول قوة طبيعية تدرك سواء بطريقة ، أو تلقائية قد يكتسبها الإنسان دون شعور منه أو بتجارب ومحاولة

---

(1) حيث يتبين بالاتصال الباطني أنه أنه كانت في القديم حروب فعلية بين أشخاص واقعيين مكتسبين للقوة ، يتحكمون في الطبيعة وتنسب لهم الألوهية .

التركيز الفضي ، والتركيز الفضي هو تركيز بقوى العقل والحواس على شيء من الأشياء أو رسم أو كتابة ، ومن الغريب أن مكتسبي إمكانية التنويم المغناطيسي نجدهم إذا ما سئلوا عـن اكتسابهم ذلك ، يعطون تفاسير كثيرة عن قدرة الإنسان وقدرة العقل كأن أصول العلم ظهرت لهم كلها بمجرد اكتساب إمكانية واحدة تتم بها السيطرة على شيء.›› (1)

أما ما يسمى باستحضار الأرواح فهو، حسب العلم الباطني ظاهرة صحيحة لا يمكن إنكارها، ولكن ليست الأرواح هي المستحضرة ، فالروح لا يمكن إدراكها بالعقل مـطـلـقـا . وإنـــما تستحضر القوة العقلية للميت . وقد يستمد منها أهل الظلمات لاستعمالها في السحر . وهـناك طريقة خاصة لدفن الموتى ، يتم بها سجن قواهم العقلية حتى لا يستحضرها أحد . غـيـر أن تلك الطريقة الدينية انفقدت . واليوم يظهرها العلم الباطني من جديد .(وفيها تـخـتـم أعـضاء الميت بطريقة انفقدت اليوم ، ويكفن في ثوب أبيض مربع جالب للقوة البيضاء ، وعند الـدفن توضع رجلاه في اتجاه القبلة ، وبعد تغطية القبر بالتراب يوضع مربع حوله ، ساجن للقوة).

إن هذا الموقف الباطني إزاء مسألة‹‹استحضار الأرواح››، هو موقف يرضي الدين والـعـلـم والواقع معا...هناك مفكرون وفقهاء يظنون أنهم يدافعون عن الإسلام عندما ينكرون وجود ما يسمى باستحضار الأرواح ، مع أن هذه الظاهرة واقعية ملموسة ومعترف بها عند الشرقيين والغربيين على السواء . وإن كانوا مخطئين في تسميتها . فالأصح إذا أن نعتبر الذي يحضـر هو القوة العقلية للموتى لا أرواحهم فننتصر للدين والواقع معا .

إذا كانت القوة العقلية للموتى تعود إلى الأرض ، فيمكنها أن تعود في جسم جديد . وهنا يـبـين العلم الباطني أن ما يسمى بالتقمص صحيح ، ولكن الذي يتقمص الجسد الجديـد لـيـس هـو الروح ولا النفس بل القوة العقلية . وهذا تمييز دقيق لا نجده في الفلسفات الشرقـيــة ولا فــي الدوائر الروحية الغربية . وقد شرح لنا الدكتور الوكيلي كيف أم فرعون المذكور في القـرآن سبق له أن عاش قبل الطوفان في شكل امرأة ، وعادت قوته العقلية من الباطـن إلــى الأرض في شكل فرعون المعروف ، وكيف أنه لا يزال اليوم حيا في جسد آخر .

وفي كتاب ‹‹الإنسان والعقل›› يكشف الباحثان عن الخطإ الكامن في عبارة ‹‹تـنـاسـخ الأرواح›› عندما يكتبان ما يلي :

‹‹نجد كثيرا من الشعوب لهم فكرة أساسها أن الذين لا يسعون إلى الخلاص –الـذي يـسـمــى بالخلاص الروحي عندهم- تنسخ أرواحهم في أجساد مختلفة أخرى . وقد سبق الحديث علــى أن الروح لا يمكن للعقل إدراك كنهها ، ولكن في شكل التناسخ قد يمكن لقوى العقل البـقاء في الأرض أو اللجوء إلى جسد آخر لوجود قواه مطابقة لقواها ، وفي هذا الحال يظـهـر وكــأن الروح قد نسخت وأصبحت في جسم آخر وذلك لفترة قد تطول ، أما العقل بنفسه ، (2)

---

(1) الإنسان والعقل ص 244

(2) يلاحظ أن العلم الباطني يفرق بين العقل وقوته التي تشمل الحواس والأحلام والخيال ، ويجزم بعدم إمكان معرفة العقل .

فلا يأخذ قوى جسم آخر في الجسم الحقيقي . وبالتنويم المغناطيسي حاول الكثير من الباحثين إرجاع المنوم مغناطيسيا أن يسترجع حياته في حياة أخرى ويتذكر الوقائع التي عاشها ، ولا يمكن ذلك ، بل يمكن من إدخال المنوم مغناطيسيا إلى قوى عقل آخر لشخص آخر ، قد بقيت لها آثار ، ويعيش بذلك واقعا آخر وحياة الشخص الميت ودون ضبط كامل ، كما يظن أنه الشخص الميت بنفسه ، بنفسه ، وقد سبق الحديث عن القوة الشبه مغناطيسية.))(1)

يبدوا هذا الفهم الباطني ثوريا يبرز خطأ التأويل عند الغربيين وقصور وسائلهم ، وفي نفس الوقت يرد على مزاعم كثير من الفقهاء والمفكرين والقائمة على أن في فكرة التقمص ضربا للإسلام ، ولمبدأ الثواب والعقاب ووجود الجنة والنار . فالعلوم الدينية الباطنية تشير إلى أن عودة القوة العقلية إلى الأرض في جسد آخر هي المقصودة في قوله تعالى : {ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين...}الآية ، وتبين أنه ، في آخر المطاف يوجد الثواب والعقاب المذكوران في القرآن ، ويتم دخول الجنة أو النار بصفة حسية . فهذه العلوم موردها الأول والأخير هو القرآن الكريم ، وإذا اختلفت مع أحد ، فمع المفسرين الذين يعتمدون على الفكر المجرد في تأويل الآيات ، فتأتي تفاسير احتمالية ومعبرة عن آراء فردية أو مزاج شخصي أو اتجاهات سياسية وإديولوجية .
والجدير بالذكر ، أيضا ، أن التفسير الباطني الذي تتضمنه كتب الباحثين المغربيين لا علاقة له مطلقا بتفاسير المتصوفة ، كتفسير الحلاج أو محيي الدين بن عربي ، ولا بتفاسير الشيعة الباطنية كتفسير جعفر الصادق ، بل هو تفسير انفقد من انفقاد طرق الاتصال الباطني النوراني ، أي قبل العصر العباسي ، والأموي ، وقبل ترقيع الدين بالفلسفة .

4/ بيان أن كل ما يفعله الإنسان أو يقوله أو يفكر فيه ، له فعالية باطنية أو ظاهرية على الجسم والعقل . فالزنا يجلب للجسم القوة الخضراء الخبيثة ، والمجرم تتركز في جسمه قوة زرقاء ترى باطنيا ، وكثرة الكلام تؤدي إلى إفراغ القوى الباطنية ، واختلاط الرجل مع كثير من النساء أو اختلاط المرأة مع كثير من الرجال ، يجلب القوة الخضراء ، كما أن لكل من التفكير والكلام والكتابة والغناء والرقص وطرق الجماع علاقة بالنور والظلمات ، حيث أن الاستمداد حتمي .

5/ إبراز الفعالية الباطنية الكامنة في الأشياء والطلاسم والرموز وهندسة المباني ، والكشف عن أسرار الطبيعة ومحتوياتها .

6/ بيان حقيقة القوى الباطنية وتحديد درجاتها ومراتبها ومواردها ، وما يجب السعي إلى اكتسابه منها كالقوتين الصفراء والبيضاء ، وما لا يجوز اكتسابه كالقوى الطبيعية(الخضراء - الزرقاء الدخانية الخ)مع بيان حيثيات المنع .

---

(1) الإنسان والعقل ص 66 – 67

ويورد الباحثان توضيحات وتفاسير تتعلق بمراحل الصعود الفكري وعوالم العقل ومعالمه ، وأنواع القوى الباطنية وإمكانيات مكتسبها ، فيعرفان بقوى متنوعة مثل : القوة الشبه مغناطيسية - القوة الإشعاعية- القوة الشبه كهربائية- القوة الهبائية - القوة الدخانية- القوة الثنائية- القوة الفعالية والقوة الشبه الوحي أو القوة الثلاثية الخ الخ . ويبرزان في النص الآتي بعض إمكانيات البالغ إلى المرتبة الشبح الوحي :

((إن البالغ إلى المرتبة الشبه الوحي بإمكانه بلوغ أشياء منها التخلي عن جسمه والعيش في عالم ثان باطني في حجب الأرض السابق عنها الكلام ، كما يمكنه أن يدخل بقواه قوى جسم آخر ولو كان بعيدا ، وهؤلاء عندما يشعر بهم الإنسان العادي أو يصاب بقواهم ، يعتقدها قوى الجن ، كما أن بإمكانهم تحريك أشياء أو أثاث منزل أو غلق الباب وفتحه ، وهذا كان يوصف عند القدماء بالقوى الشريرة بينما هي قوى عقل إنسان بالغ إلى المرتبة المذكورة ، والتي تستمد قواها من قوى العقل الغير المدركة بالحواس ، والشبه الاضمحلالية . ومن الأشياء التي يبلغها البالغ إلى مرتبة شبه الوحي أن بإمكانه حرق الأفكار أو الصور في الدماغ أو محو موارد الحواس أو تبديلها ، ويتمكن من الرؤيا الثالثة غير رؤيا العين ، كما يتمكن من السمع الثالث كذلك دون واسطة السمع باذن . هؤلاء يسمون عند المتصوفة بالأبدال)) . (1)

وهكذا يورد الباحثان تفاصيل دقيقة تتعلق بقوى باطنية تقف وراء الظواهر النفسية الجانبية بما فيها كرامات الأولياء وقدرات اليوجيين والوسطاء . كما أن البحث الباراسيكولوجي أو ما أسميناه البحث في المستوى الأول ، يثبت بطريقة تجريبية ، وجود ظواهر جانبية معينة ، فإن البحث بالاتصال الباطني الديني - وهو يدخل ضمن البحث في المستوى الثالث ، يكشف لنا هو الآخر- بوسائله الخاصة ، أي بالطرق العقلية الباطنية ، صحة ظواهر وقدرات كالآتية: -توقيف حركة قوى القلب ونبضه- تغيير الأشياء عن صفتها كتوقيف الحبال وإعطائها صورة الأفاعي- توقيف حركة الآلات الميكانيكية والكهربائية والالكترونية بقوة العقل وحدها –إظهار شخص غير موجود ، يكون إما حيا في مكان آخر ، أو ميتا بقيت قواه متجولة – إظهار فاكهة مثلا أو صورة خيالية – الرؤية الباطنية للقوى الإشعاعية - استخراج العلوم الغامضة(الباطنية)- إمكانية شرب الماء الساخن والجلوس في النار دون احتراق- الاستبصار باستعمال كرة زجاجية أو ما يقوم مقامها –الاتصال الفكري والصوري عن بعد، (أي التخاطر)- الإنباء عن أحداث بعيدة تجري في الحاضر ، وعن أحداث ماضية ومستقبلية –إمكانية قراءة كتاب دون فتحه أو قراءته في حالة نوم – إمكانية التفكير في ثمانية أفكار وحل مشاكلها في آن واحد – قراءة أفكار الآخرين – تحدث شخص مغمى عليه بلغة أجنبية ، لاتصال قواه العقلية بقوى مكتسب للقوى الطبيعية –إخفاء أشياء موجودة باستعمال القوة العقلية – إطالة العمر ظاهريا بالقوة الممسكة للجسم والمبقية له ، حيث يبدو الشخص وكأنه حي ، مع أنه في الحقيقة ميت لا يحركه إلا القوى التي سبق أن اختزنها بالتركيز قبل

---

(1) الإنسان والعقل ص 94

وفاته(1) إظهار الجسم الثاني للعيان في أمكنة بعيدة عن الجسم الظاهري – رؤية أشباح ذات وجود موضوعي – إمكانية دمج الساحر لجسده الثاني ، بالجسد الظاهري أو الباطني لشخص آخر أو جسد حيوان يمكن استعماله للتجسس به على الناس الذين تحيط بهم الحيوانات الأليفة – إمكان دخول قوة البشر في الأثاث والملابس والأشجار والطبيعة بصفة عامة .الخ الخ .

ونجد لدى الباحثين المغربيين تفسيرا باطنيا لهذه الظواهر والقدرات ونظائرها ، مما يستدعي قيام حوار بين الباراسيكولوجيا والعلماء الوضعيين من جهة ، والمتصلين بالباطن من جهة أخرى ، مادامت الظواهر النفسية الجانبية ، و«الخوارق» بصفة عامة ، تهم الطرفين معا ، ومادامت الحقيقة واحدة لا يغير الاختلاف الفكري والعقائدي شيئا منها . فالدعوة إلى الحوار كانت من بين الأسباب الرئيسية التي حدت بنا إلى تأليف هذا الكتاب .

أجل..إننا ندعو إلى الحوار والمناقشة...إلى المائدة المستديرة...رغم علمنا ، مسبقا ، بموقف العلوم الدينية الباطنية من البحث العلمي الوضعي وأصوله وموارد قواه ، ورغم إحساسنا بأن كثيرا من المتصلين بالباطن قد لا يعيرون الانتباه إلى حوار كهذا ، لإيقانهم التام بتجاوز العلم الباطني لمعطيات وأدوات العلم الوضعي . ولكننا نرى رغم كل شيء ، أن مسألة التجاوز هذه ، لا تمنع من مخاطبة العلماء الباراسيكولوجيين والوضعيين بلغتهم . فهم لن يقتنعوا بلغة غيرها ، كائنة ما كانت . الشيء الذي يتطلب تنازلاً ما من المتصل بالباطن ، عسى أن يستفيد البحث العلمي من معطيات بحثه ووجهت نظره التي تنطوي على انتقادات موجهة إلى البحث بالوسائل الآلية . هذا ليس فقط على صعيد البحث في موضوع الظواهر النفسية الجانبية . بل وعلى أصعدة أخرى . وعلى سبيل المثال فإن العلم الباطني يكشف عن الثغرات والانحرافات الكامنة في المنهج الرياضي المتبع في دراسة وتأويل القرآن الكريم لدى الدكتور رشاد خليفة والأستاذ إدريس الخرشاف ، حيث يبرز الأخطاء الكامنة في التأويل الآلي بصفة عامة ، كما يبين أن رموز الكمبيوتر كلها مشتقة من اسم الله مكتوبا بالعربية كما يلي : **OUI** ، وأن حروف اللغات كلها جاءت من هذا الاسم . يكتب الباحثان في هذا الصدد : «رغم أن الحقيقة الدينية لها مبلغ علمي في كل ميدان لإعطاء أحسن تفسير لكل وضع في كل مجال تعلق به هدف البشرية ، فإن الوسيلة الالكترونية استعملت كسلاح لمضادة المباىء الدينية بإعطاء نماذج طرق إلحادية كان من هدفها تأويل آيات الله الكريمة وأسمائه الحسنى . فالدين الإسلامي لا ترتبط شريعته بكل ما يوصل إلى مجال شرك ، كأن تكون الآلة وسيلة للتأويل أو أن تكون وسيلة لتغيير الخلق ، ومن أسس الرد على الفعل الإلحادي للدين منهاجية تفسير يمكن استعمالها كتطلع لمستوى مبلغ الإنسان المشرك في العلم .

والنموذج المطروح له أهمية ، إذ هو علم منصوص ومرتب يظهر حقيقة أولى : أن اللغة العربية هي أصل كل لغة تكلمها البشر وكتبها .

وحقيقة ثانية مفسرة ، أن الشكل الرمزي والهندسي والآلي له صلة باسم الله مكتوبا» (2).

---

(1) وهذا ما يسمى بـ«قوة التنازلات إلى الموت»

(2) تحدي الدين الإسلامي للتقدم الالكتروني ص 2 .

7/ من المنجزات الأخرى : إظهار العلم الباطني لأخطاء وانحرافات البوذية واليوغا ومختلف العقائد والأديان الأخرى ، حيث يبين كل العقائد والأديان على حق ، وأنه يشملها تغيير يخفى على أصحابها ويصعب اكتشافه لأول وهلة ، لأن ذلك يتطلب إلماما بالأصول الباطنية لكل العقائد والأديان وطقوسها وحضاراتها . والتطبيقات والمبادئ الاعتقادية الإسلامية هي وحدها الوسيلة الموصلة إلى اتصال باطني يتيح ذلك الإلمام ، ويمكن الباحث من تبين وجه الخطإ والانحراف في كل ما عدا الإسلام من عقائد ، على المستويين النظري والتطبيقي . وهذا نص نموذجي مقتبس من كتاب ((ظلمات بظلمات))، يعكس الإمكانية التقويمية المتوافرة لدى المتصل بقوى النور : ((في كثير من العقائد البائدة أو الباقية في العصر الحالي نجد المطبقين فيها يعتقدون أن العالم الخيالي الذي يتم دخوله بقوة الحاسة السادسة هو العالم الباطني الشامل للعالم الظاهري . وفي الحقيقة لا يوجد أصل في هذا الاعتقاد لأن الوسائل التي بها قوى العين الثالثة ما هي إلا وسيلة سحرية عرفت منذ القديم ، وكل اتصال فيها ما هو إلا اتصال بقوى ظلمات طورها القدماء بتغيير قوى النور ، وأصبح الخائض في هذا النوع من اكتساب القوة العقلية ما هو إلا غائص في ظلمات تتطور قواها بقوى من ظلمات)) **(1)**

ولإظهار الفرق بين خطى النور والظلمات تشير كتب العلم الباطني إلى أن المتصل بالنور أول ما يظهر أمامه في جلساته الاتصالية دخان كثيف ، ثم دخان كالغمام . وبعد ذلك يظهر جبل فيه كهف مظلم ، ثم نور مختلف الألوان ثم دائرة صفراء فيها شخص كأن على وجهه لثاما . في حسن أن المتصل بالظلمات لا يرى شيئا في البداية ويعيد التركيز فيظهر له نور ثم أشباح ذات وجوه بشعة . وقد يرى شيخه ، ثم ينقطع كل ذلك ، فيرى وحوشا كثيرة . وبعد التطبيق لمدة سنوات ، يشاهد دائرة من نار لها حرارة ، وتفتح له أبواب المعرفة بأصول الظلمات .

8/ إعطاء تفسير باطني لأمور دينية معروفة مثل الوضوء - حركات الصلاة - التعوذ - كون الكعبة مربعة ومغطاة برداء أسود - وجود المحراب في المسجد - تعدد الزوجات - تحريم الأطعمة كلحم الخنزير - رؤيا يوسف عليه السلام – استحضار عرش بلقيس(حيث يبين العلم الباطني أن المستحضر هو الخضر عليه السلام لا آصف بن برخيا كما يقال)الخ الخ ...

فعلى سبيل المثال ، ينكشف باطنيا أن الأوضاع الأربعة للصلاة أي الوقوف والركوع والسجود والجلوس يقصد بها نفي الاستمداد من قوى العناصر الطبيعية الأربعة(الماء والهواء والتراب والنار). فالمصلي يستمد بعملية الصلاة القوة الصفراء المتركزة في الكعبة . وإنما جعل رداء أسود على جدرانها كحاجز ، حتى لا يستمد الإنسان من قوة الحجر فيها . أما المساجد فلا داعي لكساء جدرانها من الداخل برداء ولق ، نظرا لوجود المحراب فهو يجعل اتصالا مباشرا بقوى الكعبة .

---

(1) ظلمات بظلمات ص 4 .

كما يظهر بفضل الاتصال الباطني النوراني ، أن الوضوء يطرد القوة الخضراء الخبيثة التي تتركز على الخصوص في الوجه والكفين . ويبرز به أيضا البعد الباطني للطوفان ، حيث أن للماء فعالية باطنية تم بها في عهد نوح عليه السلام ، تحطيم قوى الرموز والأوضاع السحرية والظلمات بصفة عامة . أما بالنسبة لتأويل رؤيا يوسف عليه السلام فإن الشمس والقمر اللذين رآهما إلى جانب احد عشر كوكبا ، ليسا في المنظور الباطني سوى الدائرة الصفراء(الشمس) والدائرة البيضاء(القمر). ويمضي العلم الباطني إلى ما وراء تبريرات كثير من الفقهاء والمفكرين الإسلاميين ليبين أن سبب تحريم لحم الخنزير هو أن الله سبحانه وتعالى يجعل من الذين كفروا القردة والخنازير وعبدة الطاغوت كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم . والمقصود أن قواهم العقلية تندمج في أجسام القردة والخنازير فتدنسها . ونظرا لاحتمال أن يأكل المسلم من لحمها فقد كان التحريم .

9/ بيان أن الإنسان الحالي لن يبلغ مستوى الإنسان القديم في الصعود الفكري واكتساب القوى الباطنية ، حيث يكتب الباحثان ما يلي : «...والإنسان حتى لو بلغ إلى كثير من المعرفة والعلم فميدان البلوغ صعب جدا إذ يلزم للإنسان الباحث قوة كبيرة لإتمام إدراك مقامات الصعود الفكري بالجسد الباطني ، وعرفت ترتيبات للقوة الجسدية الباطنية مقياسها يعرف بالأشخاص ، فكان يقال إن هذا المتصوف مثلا بلغ إلى قوتين ومعناه كأن فيه قدرة شخصين عاديين . وأقصى ما يبلغ إليه الإنسان اليوم هو ثلاثة وخمسون قوة ، وفي القديم كانت تبلغ ثلاثة ومائة ، فالإنسان القديم كان أكبر جسدا وأكبر قوة ، ولا يمكن للإنسان الحالي البلوغ إلى ما بلغ إليه القدماء ، وذلك لفساد طبيعته والطبيعة المحيطة به ، ثم لعدم اهتمامه بالعلوم الباطنية والتي كانت أساس معرفة القدماء» (1)
ويتضح هذا النقصان الحاصل في إمكانيات الإنسان ، بما سبق أن ذكرناه عن العصرين الآلي والفعالي .

10/ إعطاء تفسير باطني للتاريخ وإبراز أخطاء وثغرات البحث التاريخي والاكيولوجي . وهنا نجد أن العلوم الباطنية تكشف عن الأبعاد الخفية لأحداث وظواهر وآثار تاريخية غامضة ، مثل : قتل هابيل لأخيه قابيل – وأد البنات في الجاهلية – زواج الفراعنة بأمهاتهم وبناتهم ، وتحنيطهم للموتى – ما يتعلق بإرم ذات العماد وقارة أطلنطا المفقودة وسر الأهرام وليلي (الكشف عن الأهداف الباطنية والسحرية لبنائها) ، والطوفان...الخ الخ...

11/ إبراز نوع من التقسيم التاريخي الباطني ينقسم به إلى أربعة عصور :
* «العصر الأول(عصر قوى الماء): بدايته من عهد آدم إلى الطوفان فكانت النهاية فيه بالماء.

---

(1) الإنسان والعقل ص 187 -188 .

* العصر الثاني(عصر قوى الهواء):بدايته من الطوفان إلى عهد ذي القرنين عليه السلام وأغلب المصائب فيه كانت بالوباء.

* العصر الثالث(عصر قوى الهواء): بدايته من الطوفان إلى عهد ذي القرنين عليه السلام وأغلب المصائب فيه كانت بالوباء.

* ‹‹العصر الرابع(عصر قوى النار): بدايته من عهد عيسى عليه السلام . وسمي بعصر قوى النار لكون موارد قواه المستعملة عند الإنسان كلها ، اعتمادا على القوى الشبه نارية ، وتفسر اليوم بالكهرباء والأشعة إلى غير ذلك ، ويعتقد الهنود أن هذا العصر تنطفيء فيه النار المقدسة عندهم واعتبر أنه الأخير. ›› (1)

إذا كان هذا صحيحا ، فلاشك أننا في آخر الزمان كما يقول الشيوخ الطاعنون في السن . فالملاحظ أن أغلب مصائب هذا العصر نارية بالفعل ، وأن التقدم الآلي لم يستطع القضاء على القلق النفسي والتمزق الداخلي لدى الإنسان المعاصر .

12/ الكشف عن الفعاليات الباطنية السيئة الأثر للتكنولوجيا والمنجزات الآلية ، وانعقاد الحضارة المعاصر باعتبار أنها تسعى لجعل جنة فوق الأرض وتأمل في الخلود لكون أسسها ظلمانية . فَعَنْ فعالية الآلات يكتب الباحثان ما يلي :
‹‹وكل آلة تفرز قوة اعتبرت في القديم ضارة ، ولذا كان ينهى عن الاكتشافات الآلية بعد أن عرف في القديم أن الإنسان بإمكانه قلب القوة الطبيعية واستعمال حركتها في أشياء حديدية من صنع الإنسان على حسب حاجياته . ولم يكن الإنسان قديما يفكر في أن يحيط حوله أسسا تجلب عليه أخطارا كبيرة ، وقد عرف ما يسمى بالفيزياء والكيمياء منذ العصور الأولى وخلطت معادن كثيرة لأغراض مختلفة ، واستخرج الذهب المصطنع بدلا من البحث عن الذهب الخالص لأهميته ›› (2)

كما يشيران إلى أن الإنسان في القديم كان يستمد القوة من الحيوانات بركوبه إياها ، وحين ظهرت الآلات والأجهزة الالكترونية اليوم ، تأخذ منه القوة عند استعمالها فيشعر بضعف مجهول المصدر...وأكثر من ذلك فإن الكهرباء مثلا ، لها فعالية باطنية تشكل حاجزا أمام التصاعد العقلي الباطني . والخلاصة أن الحضارة الآلية بصفة عامة ، ليست في صالح الإنسان يكتب الباحثان :
‹‹إن عصر الحديد هذا وكل ما فيه ، لو كان فيه خير لما سبق إليه من أحد ولأنزل خير من هذا على الأنبياء والرسل ، وكيف لا والمؤمن يعلم أن الله سبحانه وتعالى ألان الحديد لداوود

---

(1) الإنسان والعقل ص 277 .
(2) نفس المصدر ص 111 .

عليه السلام ، وزاد طالوت بسطة في العلم والجسم ، ثم ألا يعقل أن نفكر كمؤمنين بما أنـزل الله ونفهم أن سليمان عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وأوتـي من كل شيء ولم يؤت سيارة أو دراجة نارية أو غير ذلك مما نملكه اليوم كأننا سعـينا وراء ملك لا يبلى ، ثم أليس بالوسائل الحديثة يفكر الإنسان في الخلود؟ وإذا بالناس يستطـلـعـون أخبار ما وصل إليه من يظنونهم علماء ينتظرون يوما يقال فيه إن الإنسان هو الإله . سبحان الله عما يشرك الناس ، وإنا بالقول كله لا نقول أن لا وجود لحل بالنسبة للمؤمنين ، ولا ندعو أحدا أن يترك ما هو عليه ، ولا نرغب أن تكون فتنة اعتقادية بـل هـناك شـيء مـهـم : أن بالإمكان أن يغير كل شيء تركيبه من ظلمات فيصبح أساسه نورا لأن له أصلا من نور.» (1)

ومن جهة أخرى يبرز الباحثان أن الآلات الحديثة : الميكانيكية والكهربائية والالكترونيـة إنما تجلب قوتها من الطلاسم والأصنام الموضوعة منذ القديم ، ومن المبانـي الـجالـبـة لـقـوى الظلمات ، وأن بإمكان كل من المتصل بالنور والمتصل بالظلمات إيقاف حركـة هـذه الآلـة بواسطة القوة العقلية . ولتوضيح ما أسلفناه ، نقتطف من كـتاب «الإلـحاد» النـص الـتالـي : ... «...والناس في هذا العصر تنقص قواهم الجسمية والعقلية وتقوى القوة الآلية ، وهذا أمـر جميل بالنسبة لقوى النور لأن القوى الآلية يسهل تحطيمها وتغيير قواها ، لاسيما أنها تستهلك القوة أكثر مما يستهلكه جسم الإنسان ، وكل آلة استخرجت إلا ولها أصل في الظـلـمات ولها شخص استخرج طلاسمها قديما ، أما العصر الحديث فإنه لا تستخرج طلاسم جـديـدة فيه ، وكل معتمد على قوى الظلمات بالتطبيقات السحرية لا يستعمل إلا قوى سبق استـعـمالـها . وتضعف شيئا فشيئا إلى أن تضمحل ، وبعد اضمحلالها تسيطر قوى النور في قواه الوردية اللون، وهي عذاب للكفار ، وبظهور قوى النور تضمحل قوى الظلمات وتقف كل حركة آلية، كما تقف كل الطلاسم ، واستمداد كل قوة سحرية لا يكون إلا من أرض الظـلـمات وأرض بابل الموجودتين في حجاب ، وإن كان الإنسان يظن أن الآلات لا يرجع أصلـها إلـى قـوى الظلمات والسحر فإنه مخطيء لأن كل العلوم التي أنزلها الله سبحانه وتعالى وجعلها دينا فإنه يوحيها لأنبيائه ورسله عليهم السلام ، وما دون ذلك فهو سحر.» (2)

13/ إبراز كثير من التطبيقات والشروط الدينية التي انفقدت ، فشكـل فقدانـها حاجـزا أمـام الراغب في الاتصال الباطني النوراني ، ونذكر منها :

* ضرورة كون بيوت المسلمين مكعبة الشكل مع عدم جعل طبقات عليها ، وكون أبوابها في جهة القبلة . بهذه الطريقة ستكون جالبة لقوى النور المتيحة للاتصال الباطني الـنـورانـي .
* ضرورة النوم باكرا ، أي بعد صلاة العشاء والاستيقاظ قبل طـلـوع الـفـجـر حـيـث أن الاستمرار في النوم بعد ذلك الحين يؤدي إلى جلب قوى خضراء من ظلمات .

---

(1) المهدي المنتظر ص 136 .
(2) الإلحاد (لنفس الباحثين ص 130 ، من النسخة الأصلية .

* تجنب النوم نهارا إلا لضرورة كالمرض أو العياء الشديد . ولكن يجدر التنبيه إلى أن هناك متصلين بالباطن ، قد ينامون نهارا لأداء مهمة باطنية تستدعي النوم ، حيث يقوم جسدهم الحاسي(الباطني) بتحطيم قوى الظلمات في الباطن . وهذا نوع من الجهاد الخفي لا يعرفه أغلب الناس اليوم .
* وثمة شروط تتعلق بموضع الصلاة ، حيث يجب أن يكون الفارش فيه رقيقا ، وأن تقل الأصوات المزعجة ويخلو البيت من كل أثاث جالب لقوى الظلمات كالتماثيل والرسوم . وإذا لم يمكن توفير هذه الشروط فيجب أن يكسى الجدار الداخلي للبيت برداء من ثوب لا رسوم فيه .
* اجتناب إقامة الصلاة وتطبيق الجلسات الاتصالية أمام خزانة أو مرآة أو أثاث كثير ، لأن ذلك من شأنه أن يعكس على الإنسان قوى جسمه وعقله فيستمد من الظلمات بدلا من النور .

أما كيفية الاتصال فهي كالآتي : يتخذ الإنسان المسلم وضع جلوس الصلاة أي أنه يجلس على الركبتين وعيناه مفتوحتان ، ويبقى صامتا وساكنا بحيث يجتنب أي حركة حتى ولو كانت مجرد ميل خفيف ، فيقرأ في نفسه ما تسير من القرآن أو يدعو بأسماء الله الحسنى ، دون أدنى تحريك لشفتيه . ويبقى كذلك إلى أن يشعر بضغط في الجبهة ، فيتخذ وضعا ثانيا ، يشبه وضع الجلوس المتخذ في اليوغا والمسمى بوضع اللوتس**Lotus** ، ونحن نسميه في الدارجة بـ((التربيعة)) ، ثم توضع اليدان على الركبتين وكأن الشخص يمسكهما بكفيه .
عند اتخاذ هذا الوضع ، يجب إغماض العينين ، والكف عن قراءة أي شيء حتى يتم الاتصال برؤية دائرة صفراء . وطبعا فإن الجلسة الواحدة لا تكفي للبلوغ . فينبغي القيام بجلسات متعددة يتخذ فيها الوضعان المذكوران حتى يصفى الجسم وتحل فيه قوى النور محل قوى الظلمات فيتم الاتصال . وإذا لم يكن الإنسان قد تورط في قوى خبيثة أو سبق له الاتصال الشعوري بالظلمات ، فإنه سيشاهد الدائرة الصفراء بعد مدة لا تقل أبدا عن ثلاثة أشهر :
((فيكون الاتصال في البداية تظهر فيه الصور كأنها تحت ضوء قمر ، بعد ثمانية أشهر تصبح الرؤيا الباطنية كأنها تحت نور الشمس وبعد خمس سنين من التطبيق تصبح الرؤيا الباطنية بنور أحمر قوي شامل وكأن المتصل يرى الصور واضحة كما يرى فيلما على شاشة ، بإمكانه آنذاك أن يستخرج كل ما يجب وما يرغب فيه من علم ومعرفة ، وقد تعلم وسائل التعليم الصورية الباطنية وقراءة الرموز ومعرفة أصول القوى الكامنة في الأشياء وتقلباتها)) **(1)**
والباطن علم كالعالم الظاهري تقيربا ، ففيه ((عالم الأشكال وعالم الألوان وعالم القوى وعالم الأجسام . كما أن فيه أماكن معينة لأخذ العلم ، كمكان خاص بعلم الحساب ، ومكان آخر خاص بعبم الكتابة ، ومن كل مكان من الأمكنة العديدة تستخرج العلوم الباطنية ، وهذه العلوم كلها لها مسؤولون عليها ولا يمكن أخذها إلا بإذن.)) **(2)**

---

(1) الاتصال الباطني ص 87 – 88 .
(2) نفس المرجع ص 130 .

وهناك فرق بين إمكانيات الرجل وإمكانيات المرأة في الاتصال . حيث يكتب الباحثان : «إن كل حديث في هذا المجال لا يخص الرجل وحده بل المرأة كذلك بإمكانها أن تتصل بالباطن ، إلا أن دورها مخالف لدور الرجل ، والعلوم التي تأخذها المرأة مختلفة كذلك ، فالمرأة يكون اتصالها بالمشاهدة فقط ولا يمكنها الدخول إلى الباطن أبدا ، والمشاهدة كما سبق ذكره تظهر الصور فيها أمام الرؤيا دون دخول للباطن» (1)

يتضح من هذا ، أن متغير الجنس ، يلعب دورا في الاتصال الباطني . ولنر الآن ما يحدث في المرحلة الأولى للاتصال عند الرجل : «فإن في بداية الجلوس قد يشعر الإنسان بقوة مسيطرة وإذا حاول الإنسان تنفيذها فإن الاتصال ينفقد ، وقبل الاتصال فإن الإنسان يشعر بقوى مختلفة يكون في أغلبها ارتجاف أو سخونة في الجسم ، وهذه الظاهرة معناها أن المتصل يمر بحجب الظلمات وهي قبل الباب الأول الباطني ، ثم تظهر كذلك في بداية الاتصال بالباطن ظواهر كأن السمع تصبح فيه قوة أخرى يسمع الإنسان الأصوات البعيدة ، ثم يكون الشم قويا وتتقوى قوة الذوق ، وبعد ذلك تتم الرؤيا الأولى الباطنية بعد أن تتقوى حاسة العين وبعدها تتقوى حاسة اللمس ويتم بها الاتصال بالجسم الثاني للإنسان ، وهكذا تكون المراحل الحقيقية بعد تطوير قوى الحواس الخمس ، ويتم الاتصال بالجسم الباطني بقوى الحاسة السادسة ، وبعد هذا يتمكن الإنسان من الدخول إلى العلم الباطني المليء بالأشجار وكأنها من نور، وفيه جبال وفجاج للتنقال وتجد فيه فواكه يتناولها المتصل ، وكلها ، وكلها تزيد نورا في الجسم وقوة ، ويعيش الإنسان عالما كما يعيش الإنسان الحلم.»(2)

إن أهم تقويم ينبثق عن الاتصال الباطني الديني هو الاعتقاد . ذلك أن الاتصال النوراني لا يحدث حتى يقبل إيمان المرء. فإذا انطلق الراغب في الاتصال ، من اعتقاد مفاده أن الله يحل في الإنسان فإنه سيصل بقوى الخيال الظلمانية فيخبل إليه أن الله حل في جسمه. وقد يدعي الأولهية بسبب ذلك. في حين أن الاتصال بقوى النور يبرز بكل وضوح أن الله موجود في نفسه لا في الأشياء ، وأنه ليس كمثله شيء. ونقدم تلخيصا لهذا التقويم الاعتقادي فيما يلي : لا يمكن معرفة الله تعالى ولا يمكن رؤيته في الظاهر أو الباطن أو المنام ، فليست له «ذات»، وليس كمثله شيء . والإنسان أيضا ليست له ذات ، وليس مخلوقا كونيا ولا جزءا إلهيا. فلا يمكن الاتصال أو الاتحاد بالله ، ولا يمكن حلوله في الإنسان أو العالم. كما أنه يجب عدم الاعتقاد في خلاص الروح ، بل خلاص النفس هو الصحيح. ولا يمكن معرفة الروح أو العقل أو النفس أو سر الحياة ، أو سر عبادة الإنسان لله. أما قوى العقل(وتشمل الحواس والأحلام والخيال)، فيمكن معرفتها بالباطن . وليكن اعتقاد الراغب في الاتصال -أيضا- أن

---

(1) الاتصال الباطني ص 146 .
(2) الاتصال الباطني ص 131 .

العقل والجسم ليسا شيئا واحدا ، وأن الدين ليس كما يبدو ظاهريا ، حيث أن من يؤمن بالله قد يكون مشركا في حالة وجود تغيير في اعتقاده أو تطبيقاته. أما على المستوى العلمي فيجب عليه أن يتجنب الجدال مع أهل التغيير قبل أن يتم له الاتصال ، كما يلزمه تجنب التطبيقات العقلية للأمم الأخرى لوجود التغيير فيها. فاليوغا مثلا ، نوصل إلى الاتصال بقوى الطبيعة بعد أن يذكر الممارس أسماء أشخاص نسبت لهم الألوهية وامتازوا بالكرامات ، أو أسماء الله الحسنى بالسريانية مغيرة ومحرفة .

إن البيان الاعتقادي السالف ذكره ، ينبثق عنه ، هو الآخر ، تقويم دلالي ومفهومي . حيث يعطى العلم الباطني معاني أخرى لمفاهيم لها . اليوم معنى خاص ، وينفي مشروعيته قيام مفاهيم مثل«العلم اللدني»، مبرزا وجه الخطإ في وضعها وصياغتها . وإليكم نموذج لهذا التقويم .

* التصوف : يطلق على كل التطبيقات العقلية المنحرفة التي توصل المريدين إلى اكتساب قوى طبيعية . ويشمل تلاوة الأوراد والأذكار الملقنة من طرف الشيوخ ، وقراءة سلسلة المشايخ وأسمائهم بالترتيب سعيا وراء الاستمداد من قواهم العقلية . كما يشمل أيضا الرياضيات«الروحية» واستعمال الجداول والأوفاق ، والاتصال بقوى الكرامات .

ويجدر التنبيه ، مرة أخرى ، إلى أن كثيرا ممن أطلق عليهم في التاريخ الإسلامي اسم «متصوفة» ليسوا كذلك في الحقيقة ، بل هم أشخاص متصلون بالباطن الديني . فالأمر مختلط كما هو ملحوظ .

وإذا كانت الطريقة المستعملة لاكتساب القوة دينية وغير منحرفة ، فلا تعتبر روحية ولا عقلية ولا طريقة بل دينا . وقد يقال إن المتصوفة قوم يؤمنون بالله ويوحدونه ، ولا يسعون إلى اكتساب القوى الطبيعية كما قيل عنهم ، فيجيب العلم الباطني بأن الدين ليس كما يبدو ظاهريا«فبإمكان من يؤمن بالله أن يكون مشركا وإشراكه هو اتصاله بالقوى الطبيعية، وإن لم يتجرد منها فلا عبادة له.» (1)

يكتب الباحثان عن الاستمداد الصوفي والسحري ما يلي :

«قد لا يستمد الإنسان قواه من فعالية حركة قوى الطبيعة ، بل يستمد من قوى راسخة متركزة في قوى أشخاص، والعادة الجارية في هذا الشأن أساسها السجود لشخص معين يعتبر ذا قوة، فيتم الاستمداد . كما يستعمل المتصوفة أسسا أخرى لنفس الغرض كقراءة سلسلة المشايخ وذكر أسمائهم بالترتيب إلى أن تندمج حواس المريد السالك في مراتب العقل مع الشيوخ الممدين بالقوة المطلوبة في كل مرحلة من المراحل المعروفة للسلوك إلى الهدف المعين والمختلف عند الكثير . ولذا كثرت طرق التصوف واختلف المشايخ في علومهم ، وميزوا عنصر انتمائهم لشيخ معين عرف بما نال من كرامات أساسها ومصدرها قوى كامنة راسخة في الأشياء الموجودة فب عالم الطبيعة. والشيخ الممد هو كذلك مستمد من شيخ ممد آخر ، وكثيرون يقولون إن طريقته موصلة إلى نبي من الأنبياء وقد يكون ذلك صحيحا كما قد يكون خطأ. والتمييز بين الطرق الموجودة والكثيرة قد يكون صعبا ، إلا أنه بالإمكان التمييز بين

---

(1) الإنسان والعقل ص 325 .

المعلمين لتطبيق تلك الطرق ، فتظهر أصالة مورد الاستمداد. وذلك يتم عند فهم صفة الطريقة المعلمة بعد معرفة أصول الظلمات. ومن هذه الأصول استعمال المرآة بصفة جلوس أمامها لتعكس قوى العقل على قوى الجسم ، أو السجود بين اثنين بعضهما ليتم انعكاس قوى العقل وقوى الجسمين ، أو كذلك الحلقات الدائرية التي يجتمع فيها الأفراد مستعملين الأوراد أو الأذكار التي عرفت لها فعالية فيتم انعكاس قوى الأجسام بعضها لبعض فيكتسب الإنسان القوة المطلوبة ، كما يؤدى السجود للمعلم ويطلب تعظيمه وذلك إدماج حواسه مع حواس المريد ، وكل ما يستعمل فلابد من التحام الحواس فيه ليكمل الاستمداد.» (1)

* **الإسلام** : كل دين منزل لم يتعرض للتغيير فهو إسلام. ولكن الأديان والعقائد معيرة في العصر الراهن ، والكتب السماوية محرفة ماعدا القرآن .
* **العقيدة**: إذا كان الدين منزلا في كتاب سماوي فالعقيدة معناها اعتقاد مجرد ، غير قائم على التعاليم السماوية الحقيقية .
* **الكرامات** : تطلق على ظواهر التحكم في الطبيعة بقوى العقل كالطيران في الهواء والمشي فوق الماء. والخطأ في قولهم إن الاستقامة نفسها كرامة. كما أن الظواهر الجانبية التي وجدت عند بعض الصحابة والأئمة لا تعتبر كرامات بل هي آيات إلهية تجري على يد الإنسان وتستعمل دون إرادته بل بإرادة الله ، ولها تفسير آخر ديني .
* **الولي** : تطلق عبارة «أولياء الله الصالحين»، عادة، على فئة معروفة من المتصوفة ، والصحيح بالنسبة للعلم الباطني ، أن كل مسلم يجوز اعتباره وليساً إذا اجتمع لديه التقوى والإيمان .
* **العقل** : يأخذ في العلم الباطني معنى واسعا . فما نسميه«بالطرق الروحية»، ليس في الحقيقة ، سوى طرق عقلية . والعقل هنا ، يتضمن معناه إلى جانب العقل المنطقي والديكارتي ، والحدس والإدراك الباطني ، أو الإدراك فوق الحسي بلغة الباراسيكولوجيا .
* **المريد** : يطلق هذا اللفظ عادة ، على من يسعى على الفتح ، ومعرفة الله تحت إشراف شيخ مرب. والعلم الباطني يطلقه على من يسعى إلى اتصال قوته بقوى الطبيعة لأجل اكتسابه .
* **الروح** : خارجة عن نطاق الإدراك العقلي . فما يسمى باستحضار الأرواح هو في الحقيقة استحضار القوى العقلية لأشخاص أحياء أو أموات .
* **الشيخ المربي** : لا وجود لشيخ مرب في الإسلام. وكل راغب في الاتصال ، يمكنه الوصول بنفسه. وليس صحيحا ما يقال من أن المشايخ إذا لم يعطوا النور لأحد فلا يمكنه البلوغ .
* **العلم اللدني** : لا وجود لعلم لدني يأتي من الله مباشرة. وكل العلوم المأخوذة باطنيا ، أصلها مما علم الله الأنبياء ، تأخذ بواسطة الشخص المجهول الذي أشرنا إليه سابقا .

---

(1) الإنسان والعقل ص 150 – 151 .

* **المسيحية** : كل دين غير محرف فهو إسلام. والدين لا يجوز نسبته إلى نـبـي أو رسول ، فالطرق المستعملة حاليا عند النصارى هي طرق صليبية .
* **التخلق بأسماء الله** : هو من مظاهر الانحراف في التصوف. فأسماء الله الحسنى جعلـت للدعاء لا للتخلق بها. وعند قراءة الذكر ، لا يذكر الاسم وحده مثل ((الرحمن))، حتى لا ينتسب للذاكر ، بل ينبغي أن يلحق به اسم الجـلالـة فيقال: ((اللـه الرحمن))، ((اللـه الودود))، تـجنبا للانحراف .

وتجدر الإشارة إلى أن لكل من المتصل بقوى النور والمتصل بقوى الظلـمات ، إمـكانـيات باطنية تتمثل في أنواع من الطاقة النفسية والإدراك فوق الحسي. ويعتبر الـعـلـم الـوضـعي الظواهر التي تتجلى من خلالها تلك الإمكانيات ، ظواهر جانبية ، وإن كان لا يميز فيها بـين النور والظلمات ، وعلى الأقل في الوقت الراهن. في حين أن البحث بالاتـصال الـباطـنـي الديني ، يبين أن الفارق بين الخطين نوعي وواضح ، وليس ناشئا عـن حـكـم أخـلاقي ، أو اعتبارات نصية. فالنور يعرف برؤية الدائرة الصفراء ، والظلمات تعرف برؤية مـا عـداها كالنار أو الأشباح أو الحيوانات أو صورة الشيخ. كما أن المتـصل بالـنـور يـربط جـسـده الظاهري بالجسد الباطني نور أصفر اللون ، وفي حين أن المتصل يربط جسديه حبل فضـي. هذا بالإضافة إلى فوارق أخرى سوف تتبين من خلال عرضنا لإمكانياتهما الباطنية. فـنـجـد ضمن إمكانيات المتصل بقوى النور ما يلي :

1/ إحراق الطلاسم والرموز السحرية ، وإبطال فعاليتها ، وتحطيم الأجسام الـتائـهـة فـي الباطن. غير أن هذا لا يمكن إلا بعد الدرجة الثامنة .
2/ الاستغناء عن النوم والأكل لمدة أيام دون الاحتياج إلى مجهود فوق الطاقة ، أو مـقاومـة النوم .
3/ الاستغناء عن قراءة الكتب الكثيرة ، إلا إذا أمر المتصل باطنيا بقراءة شيء منها لـهـدف علمي باطني .
4/ توقيف حركة الآلات بواسطة القوة العقلية .
5/ معالجة الأمراض الجسدية والعقلية. ولكن لا يمكن شفاء أي مريض إلا بعد أخذ إذن مـن المسؤولين في الباطن .
6/ تسليط مرض على شخص ما. ولكن في حالة وجود علم وافر وأحكام تجيز ذلك. وفي هذه الحالة لا يسلط المرض ، بل يضرب بالنور الشخص المعين .
7/ معرفة ما يفكر فيه الآخرون إن كان سوءا.(أو قراءة الأفكار كما نـسمـيـها)، والاتـصال الفكري أو الصوري مع شخص آخر، (أي التخاطر).
8/ رؤية الشيطان ومعرفة طرقه ووساوسه ، والاطلاع على عالم الجن باطنيا .
9/ الاتصال بأرض أخرى مسكونة ومحجوبة عن الإنسان يفوقه سـكانها فـي التقدم الآلـي .
10/ إيصال قوة من نور إلى شخص آخر يستعين بها ، ليتم له الاتصال .

11/ الظهور بالجسم الباطني أمام العيان في أماكن معينة مع وجود الجسم الظاهري في حالة نوم في مكان آخر .
12/ استحضار القوة العقلية للموتى ، لهدف علمي وبأحكام شرعية .
13/ استرجاع الأحداث والعلوم الماضية ، حيث يمكن المتصل أن يرى كل ما جرى منذ بداية الخلق ، ويتبين له أن التاريخ ، كما هو في الظاهر ، مغلوط تماما. ذلك أنه ، هو الآخر، مجال للصراع بين النور والظلمات. والمتصل يلقي الأسئلة فكريا فيأخذ الأجوبة من الباطن بواسطة فهوم صورية ، أو مكتوبة بنور يرى .
14/ إمكان العودة بسهولة إلى الجسم الظاهري ، ودون الشعور بأي ألم. فالمتصل بالنور، كما أسلفنا، يربط جسميه الظاهري والباطني نور أصفر لا يمكن قطعه بأية قوة مهما كانت. في حين أن اليوغي ، مثلا ، يسهل عليه الخروج من الجسم ، وتصعب عليه العودة ، حيث أن العملية تؤلم كثيرا. كما يربط بجسمه الباطني خيط فضي(1) مهدد بالانقطاع. وإذا حدث أن انقطع ، فإن العودة مستحيلة. يكتب الباحثان في هذا الصدد: «إن البالغ إلى الدرجة الخامسة من قوى الخيال يسهل عليه الاتصال الباطني الظلماني ، ومن هؤلاء نجد منهم من يدخل العالم الباطني الخيالي ، وإذا قطع الخيط الذي يربط بينه وبين الجسم الباطني فإنه يحرك الأشياء محاولا أن يدخل في قواها. فنجد أن كثيرا من المنازل عرفت في مختلف أنحاء العالم بكونها بيوتا مسكونة بالقوى الشريرة ، وهذا صحيح ، كما أنه بالإمكان أن يدخل هؤلاء التائهون في الباطن في أصنام ليجعلوا أساس قواها أو يدخلوا في قوى جسم شخص معين يريدون بذلك الرجوع إلى الجسم الظاهري. أما الرجوع إلى الجسم الظاهري فإنه لا يمكن إذا وقع هذا للبالغين إلى تلك الإمكانية بأصل باطني قواه من ظلمات ، كما أن بإمكانهم الدخول في جسم حيوان كالقط أو الأفعى إلى غير ذلك.» (2)
15/ يضاف إلى هذا ، أن الاتصال بـ«الطريقة» الدينية لا يتطلب عزلة ولا صوما ولا رياضات مؤلمة ، ولا يستلزم الدخول في غيبوبة أو شرود ذهني. وليس الأمر بالنسبة للاتصال الظلماني .
16/ بإمكان المتصل بالباطن الديني رؤية قوى النور وقوى الظلمات أيما وجدت. وللألوان المرئية دلالة باطنية في هذا الشأن ، حيث يكتب الباحثان ما يلي : «يرى النور باطنيا في أشكال عديدة كلها لها معان ترمز إليها. فرؤية اللون الأزرق تعني دائما وجود قوة من ظلمات في المكان الذي يرى فيه ، والنور احمر يظهر دائما وجود قوة ساجنة لشيء معين أو لأشياء كثيرة. أما التحام النور الأزرق والأحمر فمعناه وجود قوة تؤدي إلى جلب قوة الدم كالحروب مثلا أو الإجرام ، والنور الأخضر يعلن عن وجود القوة الخضراء وهي قوة خبيثة أساسها سحر جمعت به قوى الطبيعة ، والنور الأبيض فإشارة للدخول في الباطن دون خوف

---

(1) يلاحظ أن اللاما البوذي لوبيانغ رامبا ، يتحدث ، هو الآخر عن حبل فضي يربط بين الجسمين ، لا عن نور أصفر .
(2) الاتصال الباطني ص 129 – 130 .

من قوة أخرى مضادة ، والنور الأصفر يعني نوراً ساجنا لقوى الظلمات ، وبقوى العقل يمكن تحريك ذلك النور لتغيير كل قوة خبيثة.)) (1)

17/ كما يمكن المتصل بالنور ، الدخول بجسمه الثاني إلى العالم الباطني من خلال معارج الكعبة ، في حين أن إمكانيات المتصلين بالظلمات لا تتعدى التجوال في أقطار الأرض والقطع المتجاورة(2).ولذلك فاتصالهم غير حقيقي ، وأغلبهم يدخلون في قطعة أرضية باطنية ظاهرية تسمى ببابل ويوجد فيها الملكان هاروت وماروت ، وذلك في نظر العلم الباطني ، دليل على أن قواهم كلها سحر .

ورغم أن إمكانيات المتصل بالنور تفوق إمكانيات المتصل بالظلمات ، فإنها مقيدة بالشرع. فهو لا يسعى إلى الزيادة في عمره أو جلب الأموال أو استخراج الكنوز مهما كانت الضرورة ، ولا يسعى إلى الإيداء بما اكتسبه من قوة ، ولا ينتقم لنفسه رغم أن الإمكانية موجودة ، ولا يحاول التدخل في شؤون الناس أو معرفة شيء عنهم. ولكن قد توجد ظروف يجوز فيها كل ذلك بأحكام شرعية. فلا يمكنه معرفة الغيب أو التنبؤ به(كوقت قيام الساعة مثلا).

وإليكم الآن بعض إمكانيات المتصل بقوى الظلمات :

* تسليط الأمراض على الناس والانتقام منهم دون استئذان باطني .
* استحضار القوى العقلية لأشخاص أحياء أو أموات ، وإظهار صور أشخاص يوجدون بعيدا .
* الاستمداد من القوى الكامنة في المقابر لإنفاقها وتنفيذها في ممارسات سحرية.
* تغيير القوى الموجودة وعلاج الأمراض دون أخذ الإذن من أحد .
* توقيف حركة الآلات بواسطة القوى العقلية .
* تسخير قوى الإنسان والطبيعة لأغراض باطنية شخصية .
* التشكيل بصفة حيوان كالفأر والسبع وما شابه ذلك .
* التصرف في كل ما يكتسبه من قوة بحيث ينبيء بما يفعله الناس في بيوتهم ، ويدل على السارق والقاتل. أما المتصل بالنور فإنه يملك أكثر من ذلك ولا يبدي منه شيئا .
* استخراج واستعمال الجداول والأوفاق والطلاسم التي تقوم على معرفة بقوى الكواكب والنجوم .
* الدخول بجسمه الباطني أو قواه العقلية ، في أجسام الناس أو الحيوانات. والإنسان المتعرض لاعتداء من هذا النوع ، قد يعتقد خطأ(كما هو شائع عندنا) أن الأمر يتعلق بقوى الجن .

والملاحظة أن بعض الحقائق الواردة بصدد الحديث عن الإمكانيات الباطنية لكل من المتصل

---

(1) الاتصال الباطني ص 73 – 74 .

(2) توجد قطع أرضية أخرى محجوبة عنا ، يمكن القارىء أن يعرف عنها المزيد ، وأن يعرف شيئا عن الجغرافيا الكونية بصفة عامة ، بالرجوع إلى ((معاني المعاني في معنى المعنى)) و ((المهدي المنتظر)) .

بالنور والمتصل بالظلمات ، يصعب على العلم الوضعي الحالي أن يتأكد من مجرد وجودها. وذلك مثل الدخول الباطني إلى عالم الجن ، ووجود نور مقابل ظلمات ، ووجود حبل فضي بين جسمي المتصل بالظلمات مقابل نور أصفر عند المتصل بالنور ، وتحطيم الأجسام الباطنية التائهة ، والجهاد الباطني المتمثل في تحطيم قوى الظلمات في العالم الباطني. بل إن العلم الوضعي الراهن يصعب عليه مجرد التأكد من وجود عالم باطني هو صورة للعالم الظاهري. فالشيء الذي يستطيع تسجيله في هذا المجال ، هو وجود «ظواهر نفسية جانبية» . ولكن هذه العبارة ، تبقى هي نفسها موقوتة. ويتبين ذلك عندما يسأل السائل أسئلة : جانبية بالنسبة لماذا؟ فيكون الجواب أنها جانبية بالنسبة للقوانين والنظريات العلمية الحالية...جانبية بالنسبة للعلم في شكله الراهن. وقد يكون بعضها جانبيا في منظور العلم الوضعي المستقبلي إذا نجح العلماء في الكشف عن القوانين التي تحكمه .

إن الذين يرون بأن الظواهر الجانبية ،«لا عقلانية»، يرتكبون خطأ شنيعا ، لأنهم يجعلون مفهوم العقل محصورا في العلم النسب الموقوت. فلاشك أن وجود آلة تنقل الصور والأصوات من بعيد ، هو شيء«لا عقلاني» بالنسبة لكثير ممن عاشوا في القرن الثامن عشر، فما باله أصبح اليوم شيئا واقعيا ومقبولا...؟

لن نقع في نفس الخطإ بعد كل هذه الدروس يا سادة...فلقد تبين لنا اليوم أن العقلانية مفهوم نسبي. والدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية تثبت أن هناك«عقلانيات» تختلف باختلاف المجتمعات. والخطأ الأساسي كامن في تخصيص هذا المفهوم بإعطائه معنى العقلانية الغربية القائمة على أسس علمية حسابية .

أم العلم الباطني فهو يرى أن تلك الظواهر الجانبية والإمكانيات الباطنية بصفة عامة ، لا تجافي العقل مطلقا ، قد يستغلها الإنسان في ما يجافي الشرع. بل إن منها ما تقف وراءه قوى طبيعية ظلمانية فيعتبر انحرافا عن الدين في كل الحالات. ولذلك ينبغي أن نميز في تلك الإمكانيات بين النور والظلمات ، لأن كل إنسان له اتصال باطني بصفة حتمية ، كما أسلفنا ، وإن لم يكن شعوريا فهو لا شعوري. ومن هنا تنطلق الأحكام القيمية الدينية لتضع حدودا شرعية أمام الراغب في استثارة القوى الخفية .

والخلاصة أن عملية تغيير مستوى الوعي ، التي قد تؤدي إلى الاتصال الباطني واكتساب القوة والمعرفة الجانبيتين ، هي بدون شك ، عملية مقيدة بأحكام شرعية ، نظرا لما يترتب عنها من فعاليات ، واعتبارا لما يقف وراءها من قوى طبيعية أو فوقطبيعية .

ومن جهة أخرى ، يبرز من خلال الفوارق القائمة بين إمكانيات المتصل بالنور ، وإمكانيات المتصل بالظلمات ، أن الاتصال الباطني ليس موردا للقوة ، بل هو وسيلة لتحصيل علوم لا

يمكن اكتسابها بالوسائل الظاهرية. فالمؤمن - حسب العلم الباطني- اعتبر أن القوة لله جميعا، ولذلك نراه لا يتصرف في ما يكتسبه من قوى ، ولا ينفذه إلا بإذن باطني ، وبأحكام شرعية ولهدف يتجاوز مصالحه الخاصة. وإذا ظهرت على يديه آيات ظاهرية غير عادية ، فبإرادة الله وحدها ، حيث أن أمر المتصل موكول إليه .

أما المتصل بالظلمات فهو يسعى إلى القوة بالدرجة الأولى ، بما فيها اجتراح الكرامات وجلب الخيرات وقضاء الحاجات وتغوير المياه ، وتهزيم الجيوش وهلم جرا...ولا يقيد نفسه بأحكام شرعية لأنه بيدق من بيادق الظلمات. تغر به القوة فيدعي النبوة أو الألوهية نظرا لاتصاله بقوى الخيال التي تجعله يعيش كواقع ، فيبعد بذلك عن الاتصال الباطني الحقيقي. وإذا بلغ في القوة شأوا كبيرا ، كما هو الشأن بالنسبة لفرعون ، فإن دعوة الأنبياء والرسل لا يمكن أن ترجعه إلى جادة الصواب (1).

هذا هو موقف العلم الباطني من الظواهر النفسية الجانبية ، ومن القوى الباطنية بصفة عامة. وهنا نرى من اللازم أن نشير إلى نقطتين أساسيتين تتعلقان بالاتصال الباطني ، اعتباراً منا لأهميتهما النظرية والعليمة .

النقطة الأولى : أن الاتصال الباطني ، حسب ما جاء في كتابات الباحثين المغربيين ، له دور في التطور والتقدم وحضارات الشعوب ، حيث يتم به استرجاع أحداث سالفة واكتشافات لم يطلع عليها أحدز فالفلاسفة القدامى كان لهم اتصال بالموتى ، وكانوا يرون نورا في خلواتهم. كما أن مخترعي الآلات وواضعي أسسها لهم اتصال باطني بشكل ما. فالاكتشافات لم تتم بالصدفة ، بل باتصال باطني يخفيه كل مكتشف حتى لا يعرف الناس مصدره الحقيقي. وإذا كان هذا صحيحا ، فإن الاتصال الباطني الشعوري ، أوسع مجالا مما كنا نعتقده ، بحيث لا يعود حكرا على المتصوفة والمتدينين و«الروحانيين» .

النقطة الثانية : أن هناك صراعا باطنيا بين الأمم والجماعات والأفراد هو أعنف من الصراع الظاهري. فالهنود واليوغيون وشيوخ المتصوفة يسعون إلى الإكثار من الأتباع ، حتى يستغلوا قواهم العقلية لأهدافهم الخاصة. فكلما كثر أتباعهم كلما ازدادوا قوة في الظاهر والباطن. هذا بالإضافة إلى أن الباطن احتلته اليوم ، أمم وشعوب غير مسلمة. وذلك هو السر، والأساس الذي تقوم سيطرتها الظاهرية. فالحرب الباطنية قائمة ومستعرة ، والتطبيقات المنحرفة المستعملة عند أمم غير مسلمة ، وكذلك التقدم الآلي وانتشار الفكر المجرد وزحف الفلسفة والعقائد ، وما يسمى بالغزو الفكري والثقافي ، كل هذه الأشياء لها فعالية باطنية ، بحيث تسد الطريق أمام المؤمن الراغب في الاتصال الحقيقي. ويقال نفس الشيء عن الطلاسم السحرية والجداول والأوفاق المحيطة بالإنسان المسلم ، فهي بمثابة حواجز تمنعه من الاتصال بقوى النور .

---

(1) لقد بلغ فرعون الدرجة التاسعة من قوى الظلمات ، لذلك لم يقتنع بمعجزات موسى عليه السلام .

والخلاصة أن كل قوى من ظلمات ، تصارع قوى النور. ولذلك لزم سعي المسلـمـيـن إلـى الاتصال النوراني حتى تتوافر لديهم قوة باطنية كافية يحطمون بها قوى الظلمات. وكـتـابات الباحثين المغربيين ، تجعل من بين أهدافها تصحيح أخطاء وانحرافات المتصوفة والمتصلين بالظلمات ، حتى يستمد المؤمنون كلهم من نور، خصوصا وأن المتـصـلـيـن بالـبـاطـن فـي المغرب وحده ، يقدر عددهم بأربعمائة ألف متصل(1)، وإن كان أغلبهم ، كما يقول الباحثان ، قد اعتمدوا على طريقة راما كريشنا للخروج من الكالي يوغا. ويذهبان إلى أن الدين أطـهـر وأولى اتباعا في هذا المجال .

هذا وننبه أن النقطتين السالفتي الذكر تعبران عن وجهة نظر العلم الباطني. وإن شئتم وجـهـة نظرنا الشخصية ، فهي لا تخالفه الرأي ، ونعرضها فيما يلي :

سنلجأ إلى الوقائع بدلا من الأفكار. فنسجل أن موضوع القوى الخفية للإنسان ، مطروح الآن في الغرب بحدة. هناك كليات ومعاهد ومراكز بحث ، وكتب ومجلات تعرض طـرقا وأدوات لاستثارة القوى الباطنية. بالإضافة إلى انتشار المذاهب الروحية الشرقية كالـيـوغا والتانتـرا والبوذية ، وانبعاث عقائد وقوي أغلبها سحـرية. كما أن الاهتمام بالباراسيكولوجيا يـتـزايـد يوما بعد يوم. وهناك كتابات غربية لباحثين متخصصين تتحدث عن تطبيق مـعـطـيات هـذا العلم في الميدان العسكري والاستراتيجي وميدان الأمن والمخابرات. ونحن نرى أنه لا دخان بدون نار. فلابد أن يكون ما يقال أو بعضه على الأقل صحيحا. ولذا فنحن في حاجة مـلـحـة إلى الاهتمام بالموضوع ودراسته. ذلك أن الكتابات والمذاهب والتطبيقات الغربية والشرقـيـة تصل إلينا الآن. فنعتقد خطأ ، أنها أكثر تقدما من الدين في المجال الباطنـي ومـجال الـقـوى الخفية. ولحسن الحظ أن كتب دار الأعماق ظهرت في الوقت المناسب ، لتكشـف عـن وجـه الخطإ في هذا الاعتقاد وتعيد الاعتبار للدين. ولعل الغربيين سيقدرونها أكثـر مما نـقـدرهـا نحن ، نظرا لاهتمامهم بالباراسيكولوجيا والسوفرولوجيا(عـلـم مـسـتـويـات الوعي)،والعلوم الباطنية و«الروحية»، وتلك كلها أدوات ستسهل عليهم مضمونها. أما نحن فلا زلنا ، مع كامل الأسف - نتساءل عما إذا كانت الحاسة السادسة موجودة أم لا- ونثير جدلا بـيـزنـطـيـا حـول كرامات المتصوفة والمعرفة الحدسية. وميزة العلوم الدينية الـتـي اسـتـخـرجها الـبـاحـثـان المغربيان ، تتجلى في كون مضمونها يشكل رؤية إلى العالم هي «رؤية الإسلام». ويتبين مـن خلالها ، موقف الدين الإسلامي من قوى العق الإنساني وقوى الطبيـعـة. كـمـا أنـهـا تـبـرز الانحرافات والثغرات الكامنة في التطبيقات والمعتقدات غير الإسلامية ، المنتشرة في الشرق والغرب ، وتكشف عن أصول وموارد الأفكار والقوى كيفما كان نوعها. وبذلك تعتبر نفسـهـا متجاوزة للعلوم الظاهرية(الإنسانية والبحتة)، والفكر الباطني الغربي والفلسفات والعـقـائـد .

نظرا لهذه الأسباب كلها توقفنا عند مشروع دار الأعماق ، فوجدناه ضخما ومتماسكا. وأكثـر من ذلك فالأمر يتعلق بنص جانبي لا يمكن الحصول عليه بوسائل الظاهرية ، وأخطر ما فيـه

---

(1) وردت هذه المعلومة في آخر كتاب المهدي المنتظر ص 167 .

أنه يجعل من المعرفة الحدسية ومعرفة موضوعية (1)، وتعرفون ما سيترتب عن هذا الأمر فلسفيا.!

لقد عبرنا فيما سلف ، عن حيرتنا إزاء كتب العلم الباطني. فالآراء المبسوطة فيها جديدة والكرامات والفلسفة والعلم واليوغا والفنون التشكيلية ، والفنون الحربية الآسيوية(كالكاراتيه والكونغ فو)،والتقدم التكنولوجي وهندسة المباني وتأويل القرآن بالكمبيوتر، بل ولموقفنا إزاء كثير من المسائل الدينية. ولا يسع قارئا غيرنا إلا أن يعجب هو الآخر لذلك الموقف. ولكننا عندما توغلنا في قراءة تلك الكتب واطلعنا على الكثير منها ، مما لم ينشر بعد ، بدأ يتبين لنا أنها قائمة على أسس أشد متانة مما كنا نتصوره فيما قبل. وننصح من لا يؤمن بأي دين أو بُعد«روحي» أن يقرأ كتاب«سر الحركات» أو كتاب «معاني المعاني في معنى المعنى»، ويسأل قلبه وفكره عما إذا كانت تلك الأنساق الهائلة والتفاصيل الدقيقة المتعلقة بما فوق الحواس وما وراء الطبيعة ، مجرد هراء ، وما إذا كان يستطيع أن يأتي - هو الآخر- بهراء مثله متماسك ومنتظم ، دون الاستعانة بمرجه ، ويوافقه على ذلك أشخاص آخرون...

ومهما يكن من أمر ، فكل ما سلف من اعتبارات ، يستدعي الحوار وتبادل وجهات النظر. ونحن لا نرغم أحد على أن يترك ما عنده من علم أو معرفة أو اعتقاد أو تطبيقات ، ولكننا ندعو إلى الحوار من أجل الكشف عن الحقيقة إن كانت واحدة.(نقصد بالحقيقة:الرؤية السليمة إلى العالم).وإن لم تكن واحدة ، فنحن نريد التأكيد من ذلك حتى نغلق الملف...وسوف نبحث إذاك عن معرفة أسباب اختلاف الرؤى إلى العالم. فمن بين أهدافنا الرئيسية ، بتأسيس علم عن أسباب الاختلاف(الفكري والعقائدي)، وعلم«الحقيقة» يتناولها من حيث الوحدة والتعدد ، والذاتية والموضوعية ، ومن حيث علاقتها بالواقع ، وقوانين الوعي .

إن موقفنا يقوم على اعتبار الفلسفات والعلوم مجرد مشاريع غير تامة ، يجب أن نرتكز على معطياتها بحذر شديد ،لأن بإمكان معلومة واحدة أو حقيقة علمية واحدة يكشف عنها مستقبلا، أن تقلب كل شيء رأسا على عقب. ذلك أن البناء العلمي الفلسفي يرتكز فيه العنصر الواحد على عنصر آخر...وكثير من الأخطاء الفكرية المعاصرة ، تعود إلى تمسكنا وتشدقنا بأفكار سبق أن انهدمت - بغير علم منا- أفكار أخرى تشكل الحجر الأساسي لها...فما جدوى التمسك بالنتيجة إذا تبين لنا خطأ المقدمة؟

(1نقول «موضوعية» لأننا لا نجد خلافا بين كتابات المتصلين بقوى النور. وذلك راجع لكونهم يأخذون العلم من منبع باطني واحد...يضاف إلى هذا ، أن ما يأخذه المتصل من علوم ، هو مستقل عن أفكاره وآرائه الشخصية ورصيده الفكري والثقافي ، ومتجاوز لإمكانياته العدية .

هنا نسجل أن الفلسفة التي تدرس حاليا ، مختلفة عن ركب العلم الراهن ، رغم الاهتمام المتزايد بالابستمولوجيا. فهي لازالت لم تستوعب معطياته ومشاكله ، ولم تستنتج منها ما ينبغي استنتاجه فلسفيا..لقد تأكدنا من هذه الحقيقة عندما قرأنا في أحد أعداد مجلة **2000** ، حوارا قام بين العالم الفلكي **Karl Sagan** كارل ساغان، والفيلسوف الفرنسي المعاصر **François Chatelet** فراسوا شاتليه ، الذي فوجىء أثناء الحوار بسيل من الحقائق الفلكية والفيزيائية التي لا تستوعبها فلسفته ولم يكن يحلم بها قبلاً ، وهو الذي كتب الكثير عن الفلسفة القديمة والمعاصرة وأرخ لهما ، ويلزمه معرفة الجديد في المجال العلمي ، والبحث عن أبعاده الفلسفية فور ظهوره .

وإذا كانت الفلسفات والعلوم مجرد مشاريع نسعى إلى إنجازها بحقائق موقوتة ، وكانت مبادىء العقل الإنساني واحدة ، فيجب الانطلاق للبحث عن أسباب الاختلاف. وقد يختلف معنا أحد حول هذه الفكرة ، فيجب مرة أخرى أن ندرس أسباب اختلافه معنا. فيبقى الموضوع مطروحا بالضرورة حتى ننتصر للحقيقة ، إن كانت واحدة .

والعلوم الدينية الباطنية تقدم لنا أدوات قيمة لتأسيس علم الاختلاف ، بما تكشف عنه من حقائق تتعلق بقواعد عمل الوعي ، وبما يقف وراء الإدراك الحسي والعقلي من قوى طبيعية أو فقوطبيعية ، يقوم بينهما الانسجام أو الصراع. ولا نريد أن نجحف بحق الفلسفة والعلوم الوضعية في هذا الصدد. فبوسع الفينومينولوجيا(فلسفة الظاهريات) أن تغني النقاش فتمدنا بمعطياتها كفلسفة تتناول العلاقة بين الذات والموضوع في سيرورات الوعي. كما ننتظر من السوفرولوجيا إسهاما يتمثل في دراستها للعلاقة بين مستويات الوعي والنظرة إلى العالم فهذه الأخيرة ، بدون شك ، من الدواعي الرئيسة للاختلاف. وننتظر من التحليل النفسي أيضا أن يساعدنا بالكشف عما يحدد الانتماء الفكري لدى المثقفين على **weltanschaung** الخصوص. إن إحدى نقائص الدراسات النفستحليلية المعاصرة تتجلى في كونها لم تتناول المثقف والعالم بما فيه الكفاية..لقد قام غاستون باشلار، في إطار مشروعه الابستمولوجي ، بتحليل نفسي للعالم المتخصص في العلوم البحتة كالفيزياء(1). وننتظر الآن أن يقوم عبقري آخر بتحليل نفسي للباحث في العلوم الإنسانية ،وتحليل نفسي للفيلسوف ، حتى يكشف عن محددات الاختلاف وأسباب انعدام الموضوعية ، خصوصا وأن مزالق الفلسفة والعلوم الإنسانية ليست بالضرورة مماثلة لمزالق العلوم البحتة لكونها على الأقل متضمنة للأحكام المعيارية ولارتباطها المباشر بعناصر ومقومات الشخصية .

فلاشك أن هناك أولويات لاشعورية تحدد انتماء شخص ما ، على الوجودية أو الماركسية أو المذهب الحيوي ، وتجعله معجبا بتيار فكري دون آخر، كارها للكتب الصفراء ومحبا

---

(1) لسنا نزعم أن غاستون باشلار لم يدخل في الاعتبار العلوم الإنسانية والفلسفة ، إنما نقصد أن اهتمامه كان منصبا بحكم الاختصاص والممارسة على العلوم البحتة كالفيزياء والرياضيات. ولا تزال العلوم الإنسانية والفلسفة في حاجة إلى المزيد من البحث النفستحليلي ، للكشف عن خصائصها وأولوياتها المعرفية وبعدها الكيفي والقيمي (المتعلق بالقيم).

للفلسفة الألمانية ـ أو عدوا لبرغسون منذ مراهقته. فكثير من الشباب أخذوا اتجاها فكريا معينا لمجرد إعجابهم بأستاذ قدير كان له هذا الاتجاه. وكثير منهم أعجبوا بالماركسية لمجرد كونهم فقراء ، لا لاقتناعهم عقليا ، بأنها على حق. وآخرون يدينون بالإسلام لمجرد أنهم ولدوا في مجتمع إسلامي ، ولو ولدوا في وسط مسيحي لاعتنقوا المسيحية...،...ونحن نريد إزالة كل أثر لهذا النوع من الانتماء الديني والمذهبي ، القائم على العاطفة والوجدان أو التقليد والإيحاء الاجتماعي. وخطوتنا الأولى لتحقيق ذلك الهدف ، تتمثل في عزل الأسباب السيكولوجية للانتماء ، عن حيثياته المنطقية.فالمنطق ليس وحده المحدد ، في مثل هذا المجال. وقد يرد علينا بأن الحقل الاجتماعي والتاريخي للفرد هو الذي يملي عليه انتماءه واتجاه سيره ، أو أن وضعه الطبقي هو المحدد ، فيكون ردنا هو التساؤل عن سبب اختلاف أبناء المذهب الواحد والوسط أو الحقل الاجتماعي الواحد حول فكرة واحدة! بل إن الفوارق الفكرية والاعتقادية بين شخصين ينتميان لطبقة واحدة ويعانيان نفس الهموم تقريبا ، وكثيرا ما تفوق الفوارق الطبقية القائمة بينهما. فكيف تريدون أن تكون مجرد انعكاس لها؟

إن استعانتنا بالتحليل النفسي في تأسيس علم الاختلاف ، لا تعني مطلقا ، وقوعنا في نزعة سيكولوجية متطرفة. فنحن على وعي بالخطر الكامن في أحادية المنهج ، ونعلم أن التحليل النفسي ، هوـ الآخر، مجرد مشروع ، بحيث تتخلله ثغرات وتشينه نقائص. ولكننا سنقوم في آخر المطاف ، بتقييم وتقويم لمعطياته في هذا المجال ، انطلاقا من مستويات وجهويات أخرى مصححة)بكسر الحاء) .

والخطاطة المنهجية التي نقترحها في هذا الكتاب ونجسدها في بحث نموذجي مبسط ، سترضي كل الأطراف أو ألبهم ، ولا ريب...فنحن نقوم بدور الوساطة والتوفيق بين البحث العلمي والتأمل الفلسفي والاتصال الباطني...وهذا شيء ضروري ، لأن العلم الوضعي بلغ الآن منعطفا خطيرا طرحت له فيه مسائل ميتافيزيقية. ولا أدل على ذلك من وجود دراسات لعلماء متخصصين في الفيزياء ، تحاول التوفيق بين العلم ، والحقائق الميتافيزيقية. على سبيل المثال فإن الفيزيائي المعاصر **Jean Charon** جون شارون، الذي استأنف كثيرا من بحوث أينشتين ، يحول في كتابه «الروح.ذلك المجهول»، أن يجد قاعدة أو أرضية مادية لما يسمى«الروح» في الالكترون. ويقول إن الفيزياء المعاصرة تقوم بدراسة البُعد الزمكاني الخارجي للالكترون ، وهو يخضع لقوانين الديناميكا الحرارية والزمن الخطي ، في حين أنها تهمل البُعد الزماني الداخلي الذي يحكمه قانون«النظام المتصاعد» **la Néguentropie** **(1)** ، والزمن الدائري الذي يتوحد فيه الماضي والحاضر والمستقبل ، فيكتسب بذلك خصائص مجهولة بالنسبة للفيزياء المعاصرة وتصح نسبتها للروح. وله في هذا الموضوع نظرية يصعب عرضها هنا .

---

(1) إذا كانت المادة حسب قوانين الديناميكا الحرارية ، فإن الوعي أو الروح ، عند شارون يتجه بفضل الخبرات الحيوية وتزايد المعرفة ، إلى النظام والتناسق والوحدة. مما يذكرنا بفينومينولوجيا الروح عند هيجل .

نعود لنقول إن القوى الخفية للإنسان ، تهم العلم الوضعي والعلم الباطني معا. ولكل منهما نظرية في الموضوع أو مشروع نظرية. وقد قمنا في هذا الكتاب بعرض نماذج للسياقات التي يرد فيها الحديث عن الظواهر النفسية الجانبية ، أي الأنساق المعنية بالأمر ، وذلك تمهيدا لنوع من الحوار...وتنبيها منا للباحث إلى أبعاد الموضوع والإشكاليات العلمية والدينية والفلسفية التي ترتبط به .

فنحن ننتظر إذا ، من الباحث في المستوى الأول ، أن يدرس الظواهر النفسية الجانبية بالوسائل العلمية والآلية ، فيثبت وجودها أولا ،(وتلك مهمته الأولى)، ثم يحاول تفسيرها والتنظير لها ، (وتلك مهمته الثانية) .

والبحث في المستوى الأول ، كما لا يخفى عن القارىء ، يتطلب تنسيقا وتعاضدا ، بين الفيزيائي والبيولوجي والرياضي والخبير النفساني ، والمنتمين إلى مختلف الشعب والتخصصات.

كما ننتظر من الباحث في المستوى الثاني أن يقيم ، وينقش – على ضوء نتائج المهمة الأولى للباحث في المستوى الأول(مهمة إثبات وجود ظاهرة جانبية معينة)، موقف الخطابات التراثية والثقافة الشعبية والأنساق الفلسفية ، من الظواهر النفسية الجانبية بنوعيها: العقلي والفيزيقي .

وأخيرا ، ننتظر من الباحث في المستوى الثالث أن يبحث بمستويات وعي فوق المستوى العادي ، ننتظر من الباحث في المستوى الثالث أن يبحث بمستويات وعي فوق المستوى العادي ، أي أن يبحث بقوى العقل مباشرة ، ويكشف عن أبعاد وحقائق تتجاوز إمكانيات المستويين: الأول والثاني ، فيساعدنا بخطابه الحدسي ، على توسيع دائرة الحوار .

ولا نشترط أن يكون اتصاله الباطني دينيا أو غير ديني. فنحن لن نجحف بحق أي طرف ، وإلا فسنكون متحيزين ، ونخرج ، بالتالي ، عن الخط الذي رسمناه للبحث عن الحقيقة .

وثمة نقطة سوف يتوقف عندها كثير من القراء ، وتتمثل في إدراجنا للحدس في ما نسميه البحث بقوى العقل. فليكن واضحا أن العقل هنا ، يأخذ معنى شاملا كما أسلفنا. وأكثر من ذلك فنحن نرى أن مفهوم الحدس قائم على العقل نفسه وليس مستقلا عنه. فالعقل هو الذي يعترف بوجود شيء اسمه الحدس ، بعد سلسلة من الاستدلالات والعمليات المنطقية بصفة عامة. ويتبدى أو مظاهر التداخل بين الاثنين عندما نتساءل عما إذا كان الكونجيتو الديكارتي(أنا أفكر، إذا أنا موجود)حدسا أم استدلالا. أما المظهر الثاني للتداخل والجدلية ، فيتجلى في انبناء الحدس على عقلية تبرر مشروعيته كمفهوم وكحقيقة واقعية. لنفرض أنك استطعت أن تثبت بطريقة تجريبية مضبوطة ، وجود نوع من الحدس لدى شخص معين...إنك هنا تثبت الحدس بالعقل...(ذلك أن التجربة نفسها قائمة على العقل ولا معنى لها خارج نطاقه). فبدون العقل والمنطق ، سيكون كلامك فارغا ولن تقنعنا بوجود الحدس عند المجرب عليه. ونحن أيضا ، يجب أن يكون الجهاز العقلي عندنا سليما لكي نقتنع بما تثبته لنا ، وإلا فسوف لن نعير حججك ودلائلك العقلية والتجريبية أي اعتبار بالرغم من سلامتها ومشروعيتها. ويبقى هذا شرطا ضروريا بالنسبة لكل من تخاطبه. وفي حالة عدم توافره فلن يكون إثباتك إلا ذاتيا .

أما المظهر الثالث للتداخل فيتجلى في الغموض الذي يكتنف علاقة المنطق بالحدس في المنهج الرياضي. وهو غموض نتج عنه قيام مناظرة مسترسلة بين النزعتين : المنطقية والحدسية في ابستمولوجيا الرياضيات .

إن الإعلاء من شأن الحدس لا يعني الانتصار «للاعقلانية»، بل هو- بالتأكيد- انتصار للعقل بمعناه الضيق ، بوصفه المحك الأول والأخير للإثبات أي شيء .

خـــــاتـــــمـــــــة

منذ سنة ونصف تقريبا ، جرى بيني وبين الدكتور حسن حنفي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس ، حوار حول موضوع الظواهر النفسية الجانبية. لقد استعرضت أمام حضرته قراءاتي في الباراسيكولوجيا وتجاربي في التنويم المغناطيسي التي اصطدمت فيها بظواهر الحاسة السادسة. وتحدثت له عما أراه من علاقة بين الباراسيكولوجيا وكرامات الصوفية ، وعن موقفي من المتاهات الفلسفية الغربية التي تحاول التنظير للظواهر النفسية الجانبية(مثل كتابات كولن ويلسون). وكان ذلك شيئا مقصودا مني ، فقد كنت أعلم أن الدكتور حسن حنفي سبق أن تحدث لطلبة السنة الرابعة فلسفة ، بكل تخصصاتها في إحدى الحصص ، عن ظاهرة التخاطر بصدد عرضه لفلسفة برجسون. ولم أكن أخفي عنه أني قصدته لاستشارته ، كأحد دعاة العقلانية في العالم العربي ، وكمتخصص في الفلسفة ، في موضوع الظواهر المسماة بـ«الخارقة» والتي بدأ العلم الحالي يعترف بوجودها ويستشف من خلالها وجود قوانين مجهولة يمكنها أن تقلب الأنساق العلمية والفلسفية الحالية رأسا على عقب. وكان جواب الدكتور حسن حنفي بعد تقريظه لمشروعي الفكري كالآتي : «والله يا بني ، ربما قراءاتك في الموضوع أكثر من قراءاتي...هذه الظواهر التي تحدثت عنها هي فعلا ، ظواهر موجودة...ولكن حذار أن تعتقد أنها ضد العقل أو العلم...» .

وطبع فإنني لم أعتقد يوما ما أنها ضد العقل والعلم : لقد كان من عادتي أن أطرح الموضوع على بعض الأساتذة ذوي الفكر المتفتح ، لاستكشاف مواقفهم إزاء مسائل لا تدرس عندنا في الجامعة مع أنها مطروحة في الغرب بحدة ، وكان الدكتور حسن حنفي ممن قمت باستشارتهم .

أجل إن الظواهر النفسية الجانبية ليست ضد العلم ، ولكن من الأكيد أن أدواته الحالية قاصرة عن مجرد إثبات أنواع من تلك الظواهر إذا ما قارناه بالعلم الباطني مثلا. وبعد كل شيء ، يبقى أن الواقع لا يمكن إنكاره ، وأن النظريات العلمية التي تحاول استيعاب كل ظواهر هذا الواقع ، يمكن إنكارها إذا لم تكن مفسرة بما فيه الكفاية. ولذلك فليس من شأن الواقع المباشر الملموس أن يكون ضد العلم. في حين أن العلم قد يكون ضد الواقع إذا لم يستوعبه بقوانينه ونظرياته .

أما بالنسبة للبعد الديني والعقائدي لموضوع هذا الكتاب فقد أبرزته من خلال عرضي لمختلف الرؤى والمواقف الدينية والروحانية. وأوردت في آخر المطاف ، التقويمات المنبثقة عن الاتصال الباطني الديني. ووضعي لكلمة «التقويمات» في عنوان الفصل الأخير يفترض

أن العلوم الدينية الباطنية تصحح غيرها ولا يصححها موقف آخر. وليس بعيدا أن يعترض بعض النقاد على وضعي لهذه العلوم في القمة. ولكنني لم أقم بصياغة الخطاطة المنهجية المقترحة في هذا الكتاب إلا لاستمرار الحوار ولبناء الموضوع انطلاقا من الصفر إن اقتضى الحال ذلك .

وأنا مستعد لتصحيح موقف العلوم الدينية الباطنية نفسه ، إن وجد موقف آخر يفوقه تفسيرا وتماسكا وشمولا. وأدع القارىء يستخلص بنفسه موقف هذه العلوم من التفاصيل الواردة في كتابات الكاهن البوذي لوبسانغ رامبا وأفكار الفيلسوف الهندي كريشنا وأتباع الروحية التجريبية الحديثة. وإن كانت المقارنة من هذا النوع لا تكتمل إلا باستطلاع مضمون كتب العلم الباطني بصفة مباشرة لأنني لم أعرض في هذا الكتاب إلا جزءا يسيرا من أفكارها الغزيرة .

إن موقف العلم الباطني لا يتجاهل الأحكام الدينية المقيدة للقوى الخفية ، كما لا يتجاهل الأبحاث العلمية الوضعية التي تنجز في هذا المجال. وبذلك يكون مستقيما مع الدين والواقع. ولسوء الحظ فإن هناك مواقف أخرى متعسفة يريد أصحابها أن يدافعوا عن الدين بإنكارهم للواقع ومعطيات العلم ، وتلك حيلة«الخروج من باب واسع» التي نددنا بها في أكثر من مناسبة...على سبيل المثال فإن الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الاسكندرية أصدر منذ سنة **1969** كتيبا تحت عنوان: «الروحية الحديثة...دعوة هدامة» يشير فيه إلى صلة تحضير الأرواح بالصهيونية العالمية ، وهي صلة تتجلى حسب ما يقول ، في دعوة جمعيات ومنظمات روحية إلى دين عالمي جديد يحطم الفوارق الدينية. والوطنية والجنسية ، وتريد الصهيونية أن يكون دينا. وينطلق المؤلف ليكشف عن العلاقة بين أهداف الصهيونية المبسوطة في بروتوكولات حكماء آل صهيون وما تدعو إليه حركات وجمعيات مثل جمعية العلم المسيحي ، والجمعية التيوصوفية ، وشهود يهوه ، والماسونية والتسلح الخلقي والروتاري والأسود(الليونز)، ويتهمها بخدمة أهداف الصهيونية. ثم يتطرق إلى مزاعم وترهات مستحضري الأرواح في مصر والعالم حيث إن البعض منهم يعتبرون الأنبياء والرسل عليهم السلام مجرد وسطاء ، ويمجدون الوثنيين من الفراعنة والهنود ، والشيوعية والصهيونية العالمية ، ويدعون أنهم استطاعوا استحضار جبريل عليه السلام وأرواح الأنبياء والرسل. ويزعمون أن الروح(سيلفربيرش) المستحضر هو المسيح ، في حين تزعم بعض الدوائر الروحية في بلاد المسلمين أنه الخضر عليه السلام!.. بل إن أحداً منهم ذهب إلى أن عطارد هو مهبط الأرواح الخاطئة ، أي أنه مقر جهنم...!!

ولكن الدكتور محمد محمد حسين ، بعد كل ذلك ، يرتكب خطأ«إلقاء الوليد مع ماء الاستحمام» كما يقول الأمريكيون. حيث أن دفاعه عن الإسلام يزج به إلى إنكار صحة ظواهر حجرة«تحضير الأرواح»، بل وإنكار وجود التخاطر والكتابة التلقائية والاستشفاف البصري والسمعي. وليست أدري ما سيكون موقفه الآن من تجارب العلماء الروس و الأمريكيين في هذا المجال.!!!

إن الأصح أن يعترف بوجود هذه الظاهرة كلها ، وتؤول تأويلا صحيحا...فالذي يستحضر هو القوة العقلية لأشخاص موتى لا أرواحهم. ومن الأشخاص المستحضرين(بفتح الضاد) من هم بالغون في اكتساب القوى الظلمانية ، مما يجعلهم يدعون الأولهية أو الملائكية أو النبوة فيغرون بالحاضرين...أما القوة العقلية للأنبياء والرسل عليهم السلام فهي محصنة بوسائل دينية ولا يمكن استحضارها .

وإذا فإن إنكار صحة الاستحضار وصحة وجود ظواهر موضوعية غريبة في غرفة الجلسات التحضيرية ، ليس حلا ، وليس دفاعا عن الدين .
كما ينزلق الدكتور محمد محمد حسين إلى أخطاء أخرى مشابهة : فهو على سبيل المثال يهاجم الشعر الذي تنسبه وسيطة الكتابة التلقائية حرم الدكتور سلامة سعد لروح أحمد شوقي ويصمه بالسخف والتفاهة. وهنا أترك الحكم للقارىء وأرجو أن يطلع بنفسه على ما نشر من هذا الشعر في أعداد مجلة(عالم الروح) المصرية وفي مقدمة كتاب الإنسان روح لا جسد) ليرى إن كان تافها كما يقول الدكتور أو قيما رفيع المستوى كما يقول أكثر من عشرين ناقدا عربيا. هنا أيضا يكون التأويل المقبول الذي تقدمه العلوم الدينية الباطنية : أن القوة العقلية لأحمد شوقي(لا روحه) لا تزال في الباطن تملي شعرا ، وتتصل بها الوسيطة المذكورة ، ومثل هذا كثير جدا ويمكن الوقوف على ما هو أشد غرابة منه في كتاب (الإنسان والعقل).

ومن جهة أخرى فقد أنكر المؤلف على دعاة الروحية الحديثة قولهم بوجود مس روحي يتجلى في «سيطرة روح شرير مشاغب على شخص ما ، بحيث يسبب له أمراضا وظيفية وعضوية أو يدفعه إلى ارتكاب جريمة قتل ضد غيره أو ضد نفسه ، أو يدفعه إلى تناول مخدر أو مسكر حتى ينهار فيه.» (1) ومرة أخرى وبالاعتماد على كتب العلم الباطني نقول إن هذه الظاهرة صحيحة ، ولكن يجب أن تؤول تأويلا سليما. فالذي يسبب كل ذلك ليس هو أرواح الموتى أو الأحياء وإنما «قوتهم العقلية». ويشرح العلم الباطني كيف أن القوى العقلية للموتى تبقى متجولة بعد وفاتهم وإذا لم يتم سجنها بطريقة خاصة في الدفن سبق أن ذكرناها في هذا الكتاب. كما أن القوة العقلية للأحياء هي الأخرى تنطلق للتجول أثناء النوم وقد تتصل بشخص آخر وتؤذيه دون وعي منهم .
وهكذا يكون التأويل الصحيح...أما إغماض العينين فهو ليس حلا...وخطأ الغربيين في هذا الصدد لا يمكن في طريقة إثباتهم للظواهر الجانبية ، بل كيفية تأويلهم لها. وتفوقنا عليهم في التأويل يرجع لتوافر علوم دينية باطنية ، لدينا ، مختصة في الموضوع ، تبرز عيوبهم وعيوبنا .
أما ما يخيف المؤلف من عودة الروحية الحديثة إلى دين واحد ، أو علاقة جمعيات روحية

---

(1) الروحية الحديثة ص 50 .هذا التعريف منقول عن مجلة «عالم الروح». من عدد خاص جمع بين العددين 129- 130

بالصهيونية العالمية ، فهو ليس داعيا لإنكار كل ما يتعلق باستحضار الأرواح أو ظواهر الحاسة السادسة. وهو شيء لا يخيفنا ولا يخيف الإسلام. لأن الإسلام يعطي أحسن تفسير في هذا المجال ويكشف عن أخطاء وانحرافات الروحية الحديثة وغيرها ؛ دون أن ((يلقي بالوليد مع ما الاستحمام))،أي دون إنكار منه للوقائع العلمية الثابتة في هذا المجال. فهو بحق وحقيقة، ذلك الدين الواحد الموحد الذي يجب أن يدعى إليه .

لقد قطع الغربيون أشواطا كبرى في دراستهم للظواهر النفسية الجانبية ، وما يتعلق بها كاليوجا والتصوف والتنويم المغناطيسي والسحر والروحانيات بصفة عامة ، وأجروا التجارب على الوسطاء وخرجوا بتوصيات وطرق خاصة من شأنها استثارة القوى الخفية لاستخدامها في الحياة اليومية بل وفي الميدان العسكري والفضائي وميدان المخابرات والقانون. ويتنبأ الغربيون والسوفيات بأن التماهي الاصطناعي(1) الذي يتحه التنويم المغناطيسي ، سيجد ثورة هائلة في ميدان التربية والتعليم. كما أن الأمريكي وليم براين وهو خبير نفساني ورجل قانون ، استخدم التنويم المغناطيسي في تحليل قرابة خمسة عشر ألف قضية قانونية...والحديث عن منجزات الغربيين في هذا الميدان ، يطول جدا. وليس من دون سبب إذا ، أن يقول الباحث الأنجليزي كولن ويلسون((إن السحر علم المستقبل)) ... أما نحن فلا زلنا نسخر ممن يتحدث عن التخاطر...ويقول مثقفونا وأساتذتنا إن التنويم قد تجاوزه التحليل النفسي الفرويدي،..وإنه - لهذا السبب- لعبة انتهى أجلها ، وطريقة استنفدت أغراضها...ويعتبرون قولهم هذا قولا فصلا لا اجتهاد بعده...ولعل كثيرا منهم لا يعرفون معنى التنويم ولا كيف يحدث...إنما يقلدون من يقول إن التنويم انتهى أمره. ولا يعلمون أن يوجد الآن في أوروبا وأمريكا مراكز بحث خاصة للتنويم... وهذا الأخير يستعمل في كثير من الميادين بدءا بالطب والقانون ومرورا بالتربية والتعليم وانتهاء بالفضاء والبحث العلمي...

ويطلعنا الغرب بمجلات تهتم بالروحانيات والقوى الخفية مثل **L'inconnu-inexpliqué** **Medium -Nostra-Astral –astes- L'autre monde-Horoscope** ، الخ الخ ...الخ الخ...
فها هو الغرب ((العقلاني)) مهد النزعة العلموية ، وصاحب الشأو الكبير في ميدان التكنولوجيا والسيطرة الآلية ، يعود لدراسة الروحانيان والخوارق. ونرى الأسلوب العلمي الذي يأخذ به في الدراسة ينجح ويخفق ، بحسب مدى صعوبة وتعقد المسائل المدروسة .

ولقد وجدت في نتائج الدراسات الغربية في هذا المجال ما يعيد الاعتبار لتراثنا ، وأقصد بالضبط ما يتعلق منه بالروحانيات والخوارق. حيث أصبح الآن من الممكن أن نقيم نوعا من الحوار والمنظرة بين الباراسيكولوجيا المعاصرة وما يرد في كتب من قبيل : ((شمس المعارف الكبرى))-((منبع أصول الحكمة))-((رسائل إخوان الصفا))-((شموس الأنوار وكنوز

---

(1) حيث نجعل الوسيط المنوم يعتقد بأنه شكسبير مثلا ، ونطالبه بقرض الشعر، فيكتب قصائد رائعة فوق مستواه المعهود .

الأسرار الكبرى»-«الجواهر اللماعة في استحضار ملوك الجن في الوقت والساعة»- «تاج الملوك» -«الدمياطي»-«النور الرباني في العلم الروحاني»- «السحر الأحمر»- «سحر الكهان

في حضور الجان»- «إحكام الحكيم في علم التنجيم»- «سحر هاروت وماروت»- وسائر مؤلفات عبد الفتاح السيد الطوخي وغيره في الروحانيات وعلم الرمل وعلم الكف وقراءة الفنجان الخ...
وكما سيلاحظ القارىء فإن هذا يدخل مهمة الباحث في المستوى الثاني إذا شئنا موضعه في الخطاطة المنهجية التي اقترحنها هنا .

إن هذا الكتاب يشكل الحلقة الأولى من مسلسل كبير أود انجازه ، أي الخطو الأولى من مشروع يتناول خمس مسائل متماسكة هي كالآتي : القوى الخفية للإنسان مستويات الوعي - الرؤية إلى العالم - الحقيقة - الاختلاف(الفكري والعقائدي) .

فالمسألة الأولى : استهدف بمعالجتها الكشف عن إمكانيات الإنسان الباطنية بصدد القوة والمعرفة. فالإنسان في الحقيقة أقوى مما يعتقد ، والجهل بذلك هو سر ضعفه وقلقه. والبحث في هذه المسألة يقودنا إلى الكشف عن العلاقة بين القوى الخفية ومستويات الوعي التي تستثيرها أو تلك التي تعمل على تجميدها .

المسألة الثانية : تتعلق بمستويات الوعي. ونحن نغبط الغربيين على علم جديد يضطلع بدراستها، هو السوفرولوجيا، ذلك العلم الذي لا يرد ذكره في جامعاتنا وأوساطنا الثقافية.. (1) وبدراسة مستويات الوعي يتضح ما لها من علاقة بالنظرة الكونية أو الموقف إزاء العالم. ذلك أن كل شخص يرى الأمور بحسب حالة وعيه وما تتيحه من معرفة أو قوة...ويكفيكم أن إحدى حالات الوعي هي التي جعلت كثيرا من المتصوفة يؤمنون بالحلول والاتحاد ويقولون بوحدة الوجود .

المسألة الثالثة : النظرة الكونية وهي مختلفة لدى الأشخاص ، وتنبع منها أحكامهم وقيمهم وسلوكهم بصفة عامة. ويمكن استشفاف الفرق بين المواقف إزاء العالم والوجود ، بقراءة الأنساق الفلسفية والعلمية والدينية أي باستقراء مثلث المعرفة(العلم- الفلسفة- الدين) .

المسألة الرابعة : تحدد الرؤية إلى العالم ما هي «الحقيقة» بالنسبة للرائي. فما يراه الإنسان في الوجود بصفة عامة ، يشير إليه باعتبار أنه الحقيقة. كما أن هذه الأخيرة - من باب التعدية-

---

(1) تأسست في المغرب جمعية للسوفرولوجيا الطبية سنة 1976 ، يترأسها الدكتور عبد السلام أحمد البقالي . لكنها تقتصر-كما هو ملحوظ على الجانب الطبي . وأنا أقصد هنا السوفرولوجيا بمعناها الشامل النبيل . أي كفلسفة ، وحركة اجتماعية وأداة بحث في المعرفة الخ..

ذات صلة بمستوى الوعي...حيث أن الحالة العقلية للمتصوف أثناء الكشف مثلا ، تـتيـح لـه رؤية الحقيقة التي يعجز عن رؤيتها عادة. وباختلاف مستويات الوعي والرؤى إلــى الــعالــم ،يختلف الناس حول ما هي«الحقيقة» ... ويجب أن يلاحظ بأن الحقيق في شأن المسألة الأولـى أي القوى الخفية ، حدا بنا في هذا الكتاب إلى وضع فصل يحمل عنوان«الحقيقة بين المذاهب والأديان»، وذلكم نموذج للمتماسك الآنف الذكر .

المسألة الخامسة : هي الاختلاف حول الحقيقة ، ويدخل ضمنها الاختلاف الفكري والعقائدي. نتساءل لماذا لا يتفق كل الناس حول أي فكرة وأي موضوع أو حكم ، على مستوى المعـرفة والوجود والقيم. هذه المسألة الأخيرة تشكل بالنسبة لي قناة أساسية للبحث في المسائل السالفة. وليلاحظ القارىء أن مسألة الاختلاف واردة بصفة ضمنية في الفصل الذي يـحـمل عـنـوان «الحقيقة بين المذاهب والأديان» وكذا في الفصل المتعلق«بالأحكام القيمية العقائديـة» حـيـث أنني أدعو إلى تأسيس علم الاختلاف أو أسباب الاختلاف ، ولست أدري إن كان أحد قد دعـا من قبل إلى هذا الأمر، فكل ما ذكرته كان نتيجة اجتهادي الشخصي...وأحب التنبيه إلــى أنــه يستوي لدي أن يظهر الحق على يدي أو يد الغير. ولكن فيما إذا ظهرت أسـباب الاخـتـلاف فهل يمكن أن تعرف أسباب الانحراف؟ إن ذلك يدخل بنا في أبعاد دينية تتـعـلـق بالإيـمـان والكفر والنور والظلمات. غير أن الذي أتمناه أولا وآخرا هو ألا نختلف حول طريقة تأسيـس علم الاختلاف...!

لقد كتبت هذا الكتاب في مرحلة حرجة من حياتي ، تتـمـيـز بالقـلـق والحـيـرة إزاء الدنيا والدين...إزاء الحقيقة والألم ، ومسؤولية الإنسان في الكون ، والمشكلة الكبرى : مـشـكـلـة الموت... وأتمنى بكل حرارة ألا أموت قبل أن ارى النور واليقين... فهذا الكـتاب إذا صـورة صادقة لنفسي وأنا بهذه المرحلة الحرجة باحثا عن الحقيقة وأسباب الاختلاف... وطريقتي في العرض أهداف متنوعة ؛ لأنني أكتب للخاصة والعامة على السواء . كما أني أضع الـقـاريء أمام بعض الإشكاليات التي سبق لي أن توقفت عندها حائرا متسائلا ، وأدعه يستخلـص مـن هذا الكتاب ما يراه حقا. أما أنا شخصيا فلي موقف يمكن استشفافه من طريقة العـرض ومـن تركيزي على أشياء دون أشياء. وأعلن بعد كل شيء أنني لازلت أبحث عن الحقيقـة ، وأنـي مستعد لتغيير أفكاري ومواقفي إن اقتضى الحال ذلك. ولكنني ، بالطبع ، لا أقبل أن أسـتـبدل احتمالا باحتمال آخر. لقد عشت تجارب شخصية ومثيرة أثبتت لي وجود قوى خـفـيـة فـي الإنسان ، ومارست الكاراتيه واليوغا والتصوف والتنويم المغناطـيسي ، مـما جـعـل لـدي استعدادا لتفهم وتقبل العلوم الدينية الـبـاطـنـيـة ، ولازلـت أقـرؤها وأجـيـل الـفـكـر فـي مضمونها...وربما لن يهنأ لي بال إلا بعد الدخول في المستوى الثالث للبحث بقـوى الـعـقـل مباشرة .

لقد تم إعداد مضمون هذا الكتاب وإنجازه..كل ذلك تم في شهرين تقريبا..وقد لا يصدق كثير من القراء هذا لكونهم لا يعرفون شيئا عن التركيز وفعاليته..والحقيقة أنني كنت في حالة طوارىء وجدانية ، أكتب ليل نهار..وكأنني مدفوع بقوة ما لتفجير صمتي وصمت الناس إزاء موضوع يعلق عليه الغربيون آمالا كبيرة ، ويستمدون من الدخول في غمرته القوة والمعرفة. وأخشى ما أخشاه أن يفوتنا الركب في هذا المجال...يقولون لنا إن تراثكم هو سبب تخلفكم ، ويعيبون علينا الإيمان بـ«الخوارق» والمعجزات ، ويقدمون لنا العقلانية والتكنولوجيا كبديل..مع أن لديهم مراكز وأبحاث وجامعات ومعاهد وكتبا ومجلات تدرس الخوارق والتصوف والسحر وتحاول الاستفادة منها نظريا وعلميا. فحريّ بنا ونحن في مجتمع تراثي ، أن نحذو حذوهم في ذلك ، دون الانزلاق إلى خطر التعرض لغزو فكري أو دعوة هدامة ، حتى لا نبقى بين الماء وبين النار....!

قائمة بأهم المصطلحات والمفردات الواردة في الكتاب وما يقابلها باللغة الأجنبية :

A

L'astrologie	التنجيم
L'autohypnose	التنويم الذاتي
L'aura	الهالة الإشعاعية
L'acuponctur-L'acupuncture	التأبير- الوخز بالإبر
Les annales akashiques	الحوليات الأكاشية
L'autosuggestion	الإيحاء الذاتي
Les apportées psychique	المجلوبات النفسية
L'alchimie	السيمياء
L'animisme	النزعة أو المذهب الإحيائي
La légitimité ontologique	المشروعية الأنطلوجية

B

La biologie cosmique	البيولوجيا الكونية

C

La chiromancie	علم الكف - قراءة الكف
Le corps éthérique	الجسم الإثيري
Le corps astral	الجسم النجمي
La communication ésotérique	الاتصال الباطني
La corde d'argent	الخيط الفضي
La cartomancie	الاستبصار بأوراق اللعب
Les chakras	نقط الوخز- مراكز الطاقة(في الجسم)
La clairvoyance	الاستبصار- الاستشفاف البصريس(البصيرة)
La clairudience	الاستشفاف السمعي
La clairorgane	الاستشفاف الحسي
La chicurgie psychique	الجراحة النفسية - الجراحة الجانبية

E

L' ésotérisme ———————— الباطنيات- المذهب الباطني
L'énergie orgonique ———————— الطاقة الأورغونية(عند ولهلم رايخ)
L'éther———————— الأثير
L'écriture automatique ———————— الكتابة التلقائية
Les emportées psychiques ———————— المأخوذات النفسية
Epiphénoménalisme ———————— ثانوية ظواهر الوعي

F

La force-pensée ———————— القوة العقلي
Les formes-pensées———————— الأشكال الفكرية
Les fontomes ———————— الأشباح
Les fréquence———————— الذبذبة
Les forces maléfiques ———————— القوى الشريرة

G

Le gouru ———————— المعلم الروحي
Les guérisseurs ———————— الشافون
La guérison paranormale ————————الشفاء الجانبي

H

L'hypnose ———————— التنويم المغناطيسي
L'hétérosuggestion ———————— الإيحاء الغيري – الإيحاء الدخيل

I

L'intuition ———————— الحدس(البدهية)
L'Irrationalisme ———————— اللاعقلانية
L'Identification artificielle———— التقمص الاصطناعي - التماهي الاصطناعي
L'inspiration ———————— الإلهام

K

Le koundalini ———————————— الكونداليني

L

Les lieux hantés ———————————— الأماكن المسكونة
La lecture des idées ————————————قراءة الأفكار
La lévitation ————————————السباحة في الهواء.الاسترفاع

M

Le médium———————————— الوسيط
La méddiumnité ———————————— الوساطة الروحية
La métempsychose ————————————تناسخ الأرواح
Le mysticisme ———————————— التصوف
La médeecine psychosomatique ———————————— الطب النفبدني
Les médecines parallèles ———————————— الطب الموازي
Le mesmérisme———————————— المسمرية- مذهب فرانز أنطون مسمر
La matérialisation ———————————— التجسيد
Le mécanime ———————————— الأوالية

N

La numérologie ———————————— علم الأرقام
Le Nirvana ———————————— الفناء المطلق(في التصوف والبوذية)
La néguentropie ———————————— قانون الانتظام المتصاعد

O

L' occultisme ———————————— مذهب الغيبيات أو الخفيات
L'omniscience ———————————— العلم اللدني

P

La parasychologie ———— علم النفي الجانبي – علم نفس الخوارق
La psychotronique ———— الباراسيكولوجيا الطاقوية
La prescience ———— سبق العلم
Panthéisme ———— وحدة الوجود
La projection ———— الاسقاط(في التحليل النفسي)
Les psychographies ———— الصور أو الرسوم النفسية
La psychométrie ———— التكهن النفسي- قياس الأثر الروحي
Les phénoménes psychiques paranomaux ———— الظواهر النفسية الجانبية
La perception extra-sensorielle ———— الإدراك فوق الحسي
La psychokinésie ———— التحريك النفسي-السيكوكينيزيا
Le poltergeist ———— الشبح الضاج- نشاط الأرواح
La penséographie ———— تصوير الأفكار

R

La réincarnation ———— التقمص- العودة إلى الجسد
Le rationalisme ———— العقلانية
Le reve prémonitoire ———— الحلم التنبؤي
La rectification sémantique et conceptuelle ———— التقويم الدلالي والمفهومي
La révélation ———— الوحي

S

La suggestion ———— الإيحاء
La sophrologie ———— السوفرولوجيا-علم مستويات الوعي
La suggestion posthypnotique ———— الإيحاء اللاحق التنفيذ -الإيحاء التنويمي المؤجل
Le spiritisme ———— استحضار الأرواح
Les soucoupes volantes ———— الأطباق الطائرة
Le spiritualisme ———— النزعة أو المذهب الروحاني
Singularisme ———— الفردانية
science interdisciplinaire ———— علم تضافريّ
Supernature ———— الطبيعة الفائقة

T

Le talisman ——— الطلسم
Le triangle des Bermudes ——— مثلث برمودة- مثلث الشيطان
La télépathie ——— التخاطر- الاتصال العقلي
Transcendental ——— متعال.محايث(عند كانط)

V

La voyace ——— العرافة
La vérité cosmique ——— الحقيقة الكونية
Les vibrations cosmiques ——— الاهتزازات الكونية
La vision extra-rétinienne ——— الرؤية بغير العين

W

Weltanschaung ——— الرؤية إلى العالم- الموقف من الكون

Discours paranormal ——— الخطاب الجانبي

L'Esprit ——— الروح
L'Ame ——— النفس

Le mental ——— العقل(في العلوم الدينية الباطنية)

Les forces mentales ——— قوى العقل

قائمة بأهم المراجع الواردة في الكتاب :

المراجع العربية :

* كولم ويلسون«الإنسان وقواه الخفية».ترجمة سامي خشبة. الطبعة الثالثة. بيروت **1980** .
* أمين طليع : «التقمص». منشورات عويدات بيروت **1980** .
* د. رؤوف عبيد : «الإنسان روح لا جسد».الطبعة الثالثة.دار الفكر العربي القاهرة**1971** جزءان .
* شيلا أوستراندا ولين شرودر: «علم نفس الحاسة السادسة».وهو الترجمة العربية لكتاب: **((Fantastiques recherches métapsychique en U R S S .))** لنفس الباحثين .
* د. سليمان النجار: «الحاسة السادسة والطاقة النفسية».
* (من جمع وتنسيق) يمنى زهار: «عالم غير منظور.خارج القواعد العلمية».
* (من جمع وتنسيق) مصطفى الزين: «الحقائق الروحية الكبرى».مختارات لراما كريشنا.
* د. مصطفى غالب: «التنويم المغناطيسي».الطبعة الثالثة. مكتبة الهلال بيروت **1981** .
* إبراهيم عبد الباقي: «الدين والعمل الحديث».
* سعيد حوى: «تربيتنا الروحية».
* عبد الرزاق نوفل: «أولياء الله الصالحون.أهل الكرامات والبركات».
* أنيس منصور: «ديانات أخرى».
* أنيس منصور: «الذين هبطوا من السماء».
* أنيس منصور: «الذين عادوا إلى السماء».
* ابن عجيبة: «إيقاظ الهمم في شرح الحكم».
* د. مصطفى محمود: «القرآن محاولة لفهم عصري».
* سيرل بيرت: «علم النفس الديني».ترجمة سمير عبده.
* د. محمد محمد حسين: «الروحية الحديثة...دعوة هدامة».
* المحجوب مزاوي: «فعاليات الإيحاء في التنويم المغناطيسي».

هذا بالإضافة إلى كتب العلم الباطني التي استخرجها وكتبها الباحثان المغربيان الدكتور التهامي محمد الوكيلي والأستاذ نور الدين عند الحق. ويبلغ عددها **999** كتابا كلها تستعرض موقف الإسلام من مختلف جوانب هذا الموضوع. وقد بدأت بالصدور عن مؤسسة دار الأعماق بالرباط سنة **1983**، ونذكر منها :

«سر الحركات» وهو الكتاب الأول من العشرة كتب الخاصة بسر حركات الإنسان «المهدي المنتظر»

((الاتصال الباطني))
((معناي المعاني في معنى المعنى))
((العدد التاسع بين الدراسة السحرية والتأويل بالكمبيوتر))
((تحدي الدين الإسلامي للتقدم الالكتروني))
((المهاد))
((الشيطان))
((الجن)).
((سر وليلي))
((الإلحاد)).
((ظلمات بظلمات))

- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.
- زكريا القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات)).
- سراج الدين أبو حفص عمرو بن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب.
- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا.في أربعة أجزاء.
- البوني: شمس المعارف الكبر.
- البوني: منبع أصول الحكم.
- ابن عربي:الفتوحات المكية.
- عبد الفتاح السيد الطوخي.
* اسم الله الأعظم: شرحه وفوائده- مجرباته
* إغاثة المظلوم في كشف أسرار العلوم.
* إحكام الحكيم في علم التنجيم.
* سحر هاروت وماروت.
* سحر الكهان في حضور الجان.
* السحر الأحمر
* السحر العجيب فيجلب الحبيب.
* البداية والنهاية.
* النجاح في علوم النفس والتنويم والأرواح(جزآن).
* مدهش الألباب في أسرار الحروف وعجائب الحساب.
* هداية العباد في أسرار الحروف والأعداد.
* ابن حاج المغربي((تاج الملوك)).
* ابن حاج المغربي((شموس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرى)).

أهم المراجع الأجنبية

◘ **Yannick Bourdoiseu : ((Dévelloppez vos pouvoirs invisibles)) éd : Marabout.paris.1979.**
◘ **Jaques Bergier ((La guerre secréte de l'occulte)). éd : j'ai lu .**
◘ **Lyall Watson : ((Histoire naturelle du surnaturel)).éd : j'ai lu .**
◘ **Lyall Watson : ((Histoire naturelle de la vie éternelle)).éd : j'ai lu .**
◘ **Dominique Webb : ((L'hypnose et les phénomènes)).éd : j'ai lu .**
◘ **M.manning. ((D'où me viennent ces pouvoirs)).éd : j'ai lu .**
◘ **Joseph.Murphy. ((La prière guérit)).éd : Dangles.**
◘ **Jean charon. ((L'esprit…cet inconnu)).éd Marabout**
◘ **Alexis Carrel. ((L'homme cet inconnu)).**
◘ **Lobsang Rampa. ((Les secrets de l'aura)).éd : j'ai lu**
◘ **Lobsang Rampa. ((Le troisième oeil)).éd : j'ai lu**
◘ **Lobsang Rampa. ((Histoire de Rampa)).éd : j'ai lu**
◘ **Philipp Vandenberg. ((La malédictio des pharaons)).éd : j'ai lu**

لقد اقتصرنا على أهم العناوين المذكورة في كتابنا هذا. ونحيل الراغب في الحصول على عناوين أخرى تتعلق بالباراسيكولوجيا والروحانيات والخوارق وألغاز الحضارات القديمة ، على منشورات مختصة في الموضوع مثل **J'ai lu : L'aventure mystérieuse** وسلسلة **Dangles** و **Univers secrets** ،... وكتب أخرى تستعرض عناوينها في مجلات مختصة أيضا مثل **((L'inconnu))** و **((L'autre monde))** الصادرتين في فرنسا (باريس)

أما المراجع التي تهم الباحث في هذا الموضوع والتي لم يرد ذكرها في الكتاب فنذكر منها :

* د أمين رويحة: التداوي بالإيحاء الروحي .
* أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية.
* الغزالي: المنقذ من الضلال.
* الغزالي: إحياء علوم الدين.
* الغزالي: الأوفاق.
* ابن عربي: فصوص الحكم.
* ابن سيرين: تفسير الأحلام الكبير
* جلال الدين السيوطي: الرحمة في الطب والحكمة.
* د علي زيعور: العقلية الصوفية ونفسانية التصوف.
* القاضي عياض: الشفا في تعريف حقوق المصطفى.

* الشعراني: الطبقات الكبرى
* ابن خلدون: المقدمة.
* ابن أياس: بدائع الزهور في واقع الدهور.
* عبد الكريم الجيلاني: الإنسان الكامل.
* سيدس أحمد بن المبارك: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز.
* عبد الجليل الرتابي: مقال تحت عنوان : موقف العلم من الصحون الطائرة نشر القسم الأول منه بجريدة الميثاق: العدد 2692.(14شتنبر1985) ونشر القسم الثاني بنفس الجريدة العدد 2736(5نونبر1982).
* عبد الجليل الرتابي: مقال تحت عنوان: في حدود المعقول واللامعقول. نشر بجريدة الميثاق.العدد 11 دجنبر 1985.العدد 2767.
* عبد الجليل الرتابي: مقال تحت عنوان-البالوعات الأربع- نشر بجريدة الميقاق. العددالصادر في 21 نونبر 1985.
* مجلة الأعماق.16 عددا كلها صادرة عن مؤسسة دار الأعماق بالرباط في أوائل السبعينات.
* عبد الحميد اليوسفي. على هامش البالوعات الأربع أو مثلث الشيطان –بين الظاهر والباطن. أمور في حاجة إلى تفسير. بحث نشر بجريدة الميثاق الوطني بتاريخ 6 دجنبر 1985.
* أبو طهاك الصويري: مقال عن كتاب«الإنسان والعقل» منشور بجريدة الأنباء عدد6219 بتاريخ3 أكتوبر 1983.
* المهدي زريوح:- لكي نعرف الإنسان والعقل لابد من معرفة كل القوى المحيطة بالإنسان- جريدة الميثاق الوطني العدد الصادر في 18 -19 دجنبر 1983.
* المهدي زريوح: -البحث عن الخير هدفنا- الميثاق الوطني .العدد الصادر في الأحد 26 الإثنين 27 فبراير 1984.
* أحمد تسوكي أحرميم: -الإنسان والعقل- جريدة الأنباء. العدد 6194.الصادر في الجمعة 2-9-1983.
* الدكتور التهامي محمد الوكيلي: مقال تحت عنوان –الجزئية في الإسلام- في جريدة الأنباء الاثنين 1985/2/25
* الدكتور التهامي محمد الوكيلي:قصة تحت عنوان - ليودا- نشرت بجريدة الميثاق. الأحد 25 الاثنين 26 مارس 1984.
* جريدة المسلمون العدد 11. السبت 20-26 أبريل 1985 في إطار موضوع تحت عنوان:- العلماء يفندون مزاعم الكمبيوتر- استطلاع رأي الدكتور التهامي محمد الوكيلي .
* عبد الحميد اليوسفي: - قراءات في كتاب «الشيطان».- مقال نشر بجريدة الأنباء. الأحد الاثنين 6 -7 أبريل 1986.
* مجلة -البلورة السحرية-(مجموعة من الأعداد).
* مجلة - عالم الروح-
* عبد السلام أحمد البقالي:- مدخل إلى الكمال الجسدي والروحي-

المراجع الأجنبية

* Hans Holzer : Les nouvelles sectes paiennes.Ed : Univers secrets.
* Hans Holzer : La sorcellerie renaissante. Ed : Univers secrets.
* Lobsang Rampa : La robe de sagesse : Ed J'ai lu.
* Lobsang Rampa : Crépuscule : Ed J'ai lu.
* Lobsang Rampa : Lama médecin : Ed J'ai lu.
* Revue ((inexpliqué)) .
* Edward Rosonfeld : Le livre des extases : Ed Marabout. Paris **1983**.
* H.Baruk : l'hypnose : Ed que sais-je
* J.Tondriaau et J.Devondel : Le guide Marabout du voga.Ed : Marabout.
* Dr : Grigoreiff : De l'ocupuncture à l'acupressing . Ed : Marabout.
* Dr :J.C Hachette et Dr : ch Houri : ((Acupuncture et psychanalyse)) . Ed : Marabout.
* M.Dijkstra : ((La conscience du corps)) . Ed : Marabout
* J.Dijkstra : exercice du Hatha-yoga. Ed : Marabout
* A.L Meyer : ((Kiai : guide pratique d'éeil et de relaxation)) . Ed : Marabout
* R. de Amorelli : ((Les teste psi)) . Ed : Marabout.
* P.Canavaggio : ((le dictionnaire des supertitions et croyances poputaires)) . Ed : Marabout.
* R.Chauvin : ((Les surdoués)) . Ed : Marabout.
* P.Daco : L'interpretation des reve : Ed : Marabout.
* P.Daco : ((Les voies étonnantes de la nouvelle psychologie)) .: Ed : Marabout.
* F.Maisonablanche : ((connaissez-vous par votre Typologie solaire)) . Ed : Marabout.
* J.Tondriau : Dictionnaire des science occultes Ed : Marabout.
* Robert Charroux : Le livre des secrets trahis. Ed J'ai lu
* M.Sabato : ((propheties jusqu'à la du siècle)) . Ed : Marabout.
* F.Maisonblanche : ((Le guide Marabout de la cartomancie)) . Ed : Marabout.

* M.Curcio : ((le dictionnaire de l’astrologie)) . Ed : Marabout.
* G.d’Ambra : ((Le guide Marabout de l’astropsychologie)) . Ed : Marabout.
* G.d’Ambra : ((guide astrologique des Carrières)) . Ed : Marabout.
* F.Ssuzzarini : ((Le guide Marabout de l’astrologie égyptinne)) .
* I.Virgatchik : ((Le guide Marabout de la lune et des influences lunaires)) . Ed : Marabout.
* F.Mmaisonblanche : ((Dodécalingue astrologique)) . Ed : Marabout.

-Claude Haumont : ((Le guide Marabout de la relaxation et de la sophrologie)) . Ed : Marabout.
-L.Chertok: ((L’hypnose)) . Ed : P.B Payot
- Mercea Eliade : ((Le yoga)) . Ed : P.B Payot
- Yvonne Kastellan: ((la parapsychologie)) . Ed : que sais je P.U.F
- Charles de Liduori : ((L’hypnotisme)) . Ed : vicchi
-Alfred Maury : La Magie et l’Astrologie dans l’antiquité et au Moyen age.éd : bibliotheca Hermetica.**1978**

Revues : -Nostra.
-ASTRAL
-ASTRES
-Horoscope
-Médium

* Mercea Eliade : ((initiation , rites, sociètès secrèts)) .éd :idées Gallimard France **1976 .**
* Titus Burck Hardt : ((Introduction aux doctrines ésotérique de l’Islam)) .éd :Dervy-livres Paris **1969 .**
* G.K Night : ((occulism :Exercices et pratiques)) .éd :Garancière. Paris **1985 .**
* S.Hutin : ((La télépathies de Nostradamus)) .Belfond **1962 .**
* Alice A.Bailey : ((La télépathies et le corps éthérique)) .Lucis Press Limited- **1960 .**
* Alice A.Bailey : ((Triaté sur les sept rayons)) .volume **1** psychologie éd : Lucis Suisse. **1973 .**
* Rudolf Stiener : ((Chroinque de L’Akasha)) .volume **1** anthropophiques Suisse. **1980 .**
* Ralph M.Lewis : Voyez le signe…un linre sur le symbolisme.

ancien.éd :Rosicruciennes Paris **1981** .
* Jean Roost : ((Le yoga :sciece de la connaissance)) . éd : Zoé.Genève. **1979**
* W.Klapp : ((Les glandes :Nos invisibles gardiennes)) .éd :Rosicruciennes. France **1984** .
* H.P/Blavatsky : ((La doctrine secrète)) .volumeII : ((Evolution du symbolisme)) .éd :Adyar. Paris **1980.**
* H.J Forman :Les prophèties à travers les siécles. payot **1941.**
* Nostradamus : prophèties pour Demain à l'an **2000** éd :Frorian Conférence : Nouvelle Eglise Chrétienne.France.
Claud Bruley : ((Introdution à la pensée de swedenborg)).
((L'énigne du Sphinx)).
((Le symbolisme du froid)).
((Le symbolisme de l'eau)).
((Le symbolisme de feu)).
((La sagesse du roi Salomon)) .
ECCE HOMO ou les mystères du corps humain.

الجدول أدناه للمهتمين بموضوع التصوف بوجه خاص ، وقد تضمن المراجع المتوفرة في هذا المضمار باللغتين العربية والفرنسية ، كما ورد ترتيبها وترقيمها بالخزانة العامة بالرباط .

عنوان الكتاب	اسم المؤلف	رقم الكتاب
1- الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية	القادري إسماعيل بن محمد	A.13925
2- الكواكب الدرية في ترجم السادة الصوفية	المناوي عبد الرؤوف-تصحيح وتعليق محمود حسن ربيع	E .918
3- الزاوية	الوزاني التهامي	20080
4- السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات	الشقيري محمد بن أحمد	9535
5- شخصيات صوفية	سرور طه عبد الباقي	20.107
6- أعلام التصوف الإسلامي	سرور طه عبد الباقي	30.000
7- صفوة التصوف	شرح وتعليق أحمد الشرباصي	10001
8- أبو الحسن الشادلي-عصره،تاريخه علومه ، تصوفه.	عمار علي سالم	C.10588
9- التشوف إلى رجال التصوف	ابن الزيات يعقوب يوسف التادلي،نشر ونصحيح أولف فور	J .21
10- في التصوف الإسلامي وتاريخه	ريتولد نيكلسون، ترجمة وتعليق نور الدين شريبة	C.10267
11- الصوفية في الإسلام	ريتولد نيكلسون، ترجمة وتعليق نور الدين شريبة	C.10150
12- مجموعة نبذ في تاريخ التصوف الإسلامي	لوي ماسينيون	A.9946
13- التصوف هل هو دين أم فلسفة	نقاش نشرته مجلة((عالم المكتبات))	J 8°.1338
14- نشأة التصوف	الخطيب عبد الكريم سلسل (الثقافة الإسلامية)	A.17.110
15- الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب	عبد العزيز بن عبد الله سلسلة(البينة)	J 8°.1376
16- الفكر الصوفي الإسلامي وأصوله	عبد العزيز بن عبدالله في اللسان العربي	J 4°.1577
17- المعجم الصوفي	عبد العزيز بن عبد الله في اللسان العربي	J 4°.1577
18- القرآن والمعجم الصوفي	عبد العزيز بن عبد الله في اللسان العربي	J 4°.1577
19- الصلة بين التصوف والتشيع ج.1 التشيع والزهد		C.20971
20- أبو الحسن الشادلي	الشيال جمال ((دعوة الحق))	J 4°.1240
21- التصوف الأندلسي، مبادئه وأصوله	محمود علي مكي ((دعوة الحق))	J 4°.1240
22-التصوف ،الثروة الروحية في الإسلام	عفيفي أبو العلاء	C.24149
23-ابن عربي ،شيخ الصوفية الأكبر	الطباع عبد الله أنيس ((دعوة الحق))	J 4°.1240
24- نظرات حول المذاهب والمعتقدات نشأة التصوف	هنطش محمد أحمد ((دعوة الحق))	J 4°.1240
25- دفتع عن الطرق الصوفية	القادري عبد القادر ((دعوة الحق))	J 4°.1240

26- رائد السلفية في المغرب المولى سليمان العلوي	ترجمة ((دعوة الحق))	J 4°.1240
27- عمر بن الفارض،الرائد الصوفي	محمد كمال شبانة ((دعوة الحق))	J 4°.1240
28- الأسرار الصوفية، ومواقف ابن عربي من علماء أهل الظاهر	محمد قاسم ((دعوة الحق))	J 4°.1240
29- نشأة التصوف الإسلامي	بسيوني إبراهيم	C.26927
30- الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي	النبال محمد البلهي	C.14456
31- التصوف في الإسلام	النصر طه سيف ((منبر الإسلام))	J 4°.15718
32- التصوف الإسلامي	السلطاني أحمد ((الوحدة))	J 4°.1489
33- الصوفيون يقيمون دولة	محمد حجي ((الإيمان))	J 4°.1408
34- الشيخ عبد القادر الجيلاني	عثمان بن خضراء ((الإيمان))	J 4°.1408
35- مولاي عبد السلام بن مشيش والعلم الروحي	محمد بن عبد الله الروداني مجلة ((الأعماق))	J 4°.1593
36- الزاوية الدلائية(ق13)	محمد حجي	
37- العكاكزة	عبد الله نجمي ((مجلة الآداب))	
38- الزاوية الشرقاوية	بوكاري أحمد	
39- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي	أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي تحقيق أحمد التوفيق كلية الآداب	218 -964

الظواهر النفسية الخارقة

بين العلم والفلسفة والدين

